



منشورات الجامعة الأردنية

موسم النبي موسى في فلسطين تاريخ الموسم والمقام



كامل حيل العسلي
عمان - ١٩٩٠





منشورات الجامعة الأردنية

مؤتمر النبي موسى في فلسطين

تاريخ الموسم والمقام

كامل جميل العسلي

عمان - الأردن

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

٣٢٢١ ر ٥ ع ٩

كامر كامل جميل العسلي

موسم النبي موسى في فلسطين : تاريخ الموسم والمقام / كامل جميل
العسلي . - عمان : الجامعة الأردنية ، ١٩٩٠

(٢٤٠) ص

ر. أ (١٤٥ / ٣ / ١٩٩٠)

١ - القدس - تاريخ أ - العنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة دائرة مكتبات والوثائق الوطنية)

حقوق الطبع والنشر والتوزيع والترجمة محفوظة
للجامعة الأردنية

مطبعة الجامعة الأردنية

عمان - ١٩٩٠

لو لم يكن لفلسطين هذا الموسم «موسم النبي موسى»
لكانت جديرةً أن تخلقه، فهي في حاجةٍ إليه اليوم كما
كانت في حاجةٍ إليه قبله.

خليل السكاكيني

صحيفة الشورى - (القاهرة ٧ مايو (أيار) ١٩٢٥)

المحتويات

- مقدمة

ت

القسم الأول

مقام النبي موسى : تاريخ المقام وصفته في الوقت الحاضر

الفصل الأول

- مقام النبي موسى في كتابات القدماء، متى وكيف نشأ الاعتقاد بوجود قبر النبي موسى قرب القدس؟

٣

٣

منطقة المقام - وصف عام

٤

كيف نشأ الاعتقاد بالقبر عند جمهور المسلمين في جنوب بلاد الشام؟

١٩

المعتقدات والحكايات الشعبية عن معجزات النبي موسى وكرامات المقام .

الفصل الثاني

٢٥

- صفة مقام النبي موسى من الوجهة المعمارية

٢٥

تاريخ بناء المقام وتعميراته على مدى القرون

٢٩

صفته في الوقت الحاضر

٤٩

هل كان هناك بناء قديم في مكان المقام؟

الفصل الثالث

٥١

- أوقاف النبي موسى عليه السلام والتولية عليها.

القسم الثاني

موسم النبي موسى
تاريخ الموسم ووصف رسومه واحتفالاته .

الفصل الرابع

- ٧٥ - الجذور التاريخية لموسم النبي موسى عليه السلام .
نشأة الموسم وتطوره في عهد المماليك وبعده .

الفصل الخامس

- ٩٠ - المقام والموسم في العصر العثماني .

الفصل السادس

- ١٠١ - تفاصيل الاحتفالات بموسم النبي موسى في القرن العشرين .
١٣٣ - كلمة ختامية .

ملحق

- ١٥١ - نصوص من كتب الرحالة والمؤرخين عن وفاة النبي موسى ومكان دفنه
ومقامه وزيارته وموسمه (مرتبة حسب التسلسل التاريخي) .
٢٠٦ المصادر والمراجع العربية
٢١٤ المصادر والمراجع الأجنبية
٢١٧ الكشافات

• المقدمة •

الكتابة عن الأصول التاريخية لمقام النبي موسى وموسمه في فلسطين ليست بالأمر السهل، فمصادر المعلومات المتاحة في هذا الشأن، على الأقل ما عثرت عليه منها، قليلة للغاية. والكتب والمخطوطات العربية القديمة ان ذكرت شيئاً عن الموسم والمقام، فهي لا تذكر سوى لمع وشذرات ليس فيها غناء كبير. فضلاً عن أنها كثيراً ما تحتوي على معلومات متناقضة من الصعب تمييز صحيحها من فاسدها، كما أنها تحتوي أحياناً على تعليقات ساذجة للوقائع التاريخية، أو تسكت عنها. والمهم أن الكثير من هذه الكتب خلو من الإشارة للموسم والمقام.

والمصدر الثاني للمعلومات، وهو الوثائق (بما فيها النقوش) والسجلات هو أيضاً مصدر شحيح. هناك وثائق عثمانية، ومنها سجلات محكمة القدس الشرعية، تورد معلومات تتعلق أساساً بأوقاف النبي موسى، وليس فيها إلا القليل المتصل بغير ذلك من الشؤون. أما النقوش فهناك ثلاثة منها في مبنى المقام نفسه، أحدها وهو نقش الظاهر ببيرس، باني المقام، في غاية الأهمية. غير أن أياً من هذه المصادر المكتوبة ليس فيه إجابات عن أسئلة حاسمة تنشأ في ذهن المؤرخ، ولذلك فلا بدّ له أن يجمع معلومات صغيرة من هنا وهناك، ولا بدّ له أن يستنتج لدى محاولته الإجابة عن هذه الأسئلة. وهذه عملية دقيقة لا تخلو من مزالق. ومن هذه الأسئلة على سبيل المثال:

- متى بدأ الاعتقاد بوجود قبر النبي موسى بين القدس وأريحا وما هي أسبابه؟
- هل كانت هناك منشآت في موقع المقام قبل بنائه؟
- متى بدأ موسم النبي بشكله الجماهيري المعروف؟
- ما علاقة موسم النبي موسى بعيد الفصح عند المسيحيين، وهل هو ردّ إسلامي عليه؟
- هل هناك صلة بين موسم النبي موسى وأعياد الربيع القديمة في فلسطين وغيرها من بلاد الشرق، وما هي هذه الصلة؟

وموضوع مقام النبي موسى موضوع هام، ليس من زاوية حب الاستطلاع فحسب، بل من زاوية التأريخ لفلسطين وتراثها أيضاً. فالمقام بناء أثري هام يتجاوز عمره الآن

سبعمائة سنة، وبانيه سلطان من أشهر، إن لم يكن أشهر، سلاطين الممالك وأعظمهم على الإطلاق. والموسم عيد احتفالي هام كانت له آثار كبيرة في الحياة الاجتماعية للشعب الفلسطيني على مر القرون، وساهم في إذكاء الوعي المشترك وتنمية الشعور بالانتماء لدى هذا الشعب. وقد كنت ممن شاهدت احتفالات النبي موسى وأدركت شموليتها للمدن والقرى الفلسطينية ودورها الكبير في بعث المشاعر الوطنية ضد المشروعات البريطانية والصهيونية، وكذلك في بلورة الشخصية الوطنية الفلسطينية في المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها.

وكانت سلطات الانتداب البريطاني والهيئات الصهيونية ترهب هذا المظهر من مظاهر الوحدة الوطنية الفلسطينية فتستعد له بإجراءات الأمن الاستثنائية، كما سعى الصهاينة غير مرة إلى تعكير الاحتفالات بالأعمال الاستفزازية.

ويستطيع الكثيرون من الفلسطينيين الآن أن يتحدثوا بأسهاب عن الموسم الذي توقف منذ اثنين وأربعين عاماً، وفي حديثهم غناء فيما يتعلق بوصف الموسم كما عرفوه، ولكن قد لا يكون فيه غناء بالنسبة لتاريخه القديم، حيث يضطر المرء إلى أن يسير على أرض شائكة لم يساهم في تمهيدها له إلا كتابات قليلة عابرة لا تعطي المقام ولا الموسم ما يستحقان من الدراسة المتأنية. وليس موسم النبي موسى في حاجة إلى دراسة واحدة بل هو في حاجة إلى دراسات تخصص كل واحدة منها في الجوانب المختلفة للموسم وتعطيها حقها من البحث والتحليل *.

ومن هنا نشأت لديّ فكرة وضع دراسة مطولة عن موسم النبي موسى ومقامه تبحث في مكان وفاة النبي موسى وما ورد في كتب الأقدمين بهذا الشأن، وتتناول القبة التي بناها الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م. والأوقاف التي وقفت على المقام خلال

★ لا بد أن نشير إلى عدد من الدراسات الحديثة الجيدة، ولكن الجزئية، التي كتبها كل من: توفيق كنعان، وعبدالله مخلص و H. Spoer و I. Mayer وهناك وصف تفصيلي لاحتفالات الموسم كتبه الدكتور صبحي غوشة في كتاب صدر مؤخراً بعنوان «شمسنا لن تغيب». وكلها مدرجة في قائمة المصادر والمراجع.

وهناك بحث حديث نسبياً كتبه باحث اسرائيلي هو سادان J. Sadan باللغة العبرية في مجلة: Hamizrah Hahadash, Vol. XXVIII (1979) بعنوان مقام النبي موسى. ويقع في جزئين، الجزء الأول يتناول التنافس بين الأقاليم حول الأماكن المقدسة (ص ٢٢ - ٣٨ من المجلد المذكور أعلاه) والجزء الثاني يتناول تضارب الآراء حول مقام النبي موسى كما تعكسه المصادر الإسلامية (ص ٢٢٠ - ٢٣٨ من المجلد نفسه).

القرون، كما تبحث في الجذور التاريخية للموسم وتطوره وتاريخه في عصري الممالك
والعثمانيين وتورد أوصاف الاحتفالات التي كانت تقام في عصر الانتداب البريطاني على
فلسطين، وتتحدث أخيراً عن أهمية الموسم من خلال الحديث عن جوانبه المختلفة، وتختتم
الدراسة بملحق وثائقي يشتمل على أقوال الرحالة والمؤرخين في شأن مقام النبي موسى
وموسمه.

ولا أودّ أن أدعي أن هذه الدراسة شاملة لموضوعات البحث كلها، ولا أنها تفي كل
موضوع منها حقّه، وإنما هي محاولة لالقاء أضواء على جوانب متعددة من تاريخ الموسم
والمقام، على أنني أؤكد أنني بذلت جهد الطاقة في تحري صحة المعلومات وكذلك في تحليل
الظواهر ووضع الاجتهادات واستخلاص النتائج. ومع ذلك فلا آمن ألا تكون بعض
المعلومات أو الاجتهادات في حاجة الى مراجعة واعادة نظر، فالموضوع غير سهل، والمصادر
الموثوقة قليلة، والدرب غير ممهد من قبل.

وعلى أية حال فاني أرجو أن تسدّ هذه الدراسة ثغرة في هذا المجال بل وأن تستدعي
دراسات أخرى يقوم بها المختصون في فعاليات الموسم المختلفة فيسدون بذلك خدمة لتراث
فلسطين وتاريخها.

كامل العسلي

نيسان / ١٩٨٩ م.

القسم الأول

مقام النبي موسى

تاريخ المقام وصفته في الوقت الحاضر

الفصل الأول

مقام النبي موسى في كتابات القدماء

متى وكيف نشأ الاعتقاد بوجود قبر النبي موسى قرب القدس؟

منطقة المقام - وصف عام :-

يقع مقام النبي موسى في المنطقة الجغرافية المعروفة ببرية القدس على مسافة زهاء ٣٠ كيلومتراً شرقي مدينة القدس. فعند الكيلو ٢٨ من الطريق الرئيسي القادم من القدس والمتجه إلى البحر الميت ومدينة أريحا، التي تبعد عن القدس حوالي ٣٥ كيلومتراً، هناك طريق فرعي يتجه جنوباً طوله ٤ كيلومترات ويؤدي إلى مقام النبي موسى^(١)، ويقع المَنَام على تلة ترابية في هذه المنطقة المنعزلة، ويبعد عن مدينة أريحا ٧ كيلومترات.

وبرية القدس منطقة شاسعة يتراوح طولها بين بضعة كيلومترات وعشرين كيلومتراً. وعند جروف التصدع الممتدة في هذه المنطقة تسقط الوديان المتجهة إلى البحر الميت بشدة فوق أعتاب صخرية عظيمة المقاومة مما يحصر أقينتها في خنادق أرضية غائرة.

لهذا كانت المنحدرات الدنيا من المنطقة بمثابة ملاجئ طبيعية اعتصمت بها الجماعات البشرية والطوائف التي آثرت حياة الانطواء والعزلة^(٢).

وتتكوّن برية القدس في معظمها من أراض جيرية، تحتوي على كتل من الدولوميت، وتكثر حول مقام النبي موسى الحجارة الجيرية القطرانية. والعامّة تستعمل هذه الحجارة لايقاد النار هناك. ومن أقوالهم في هذا الشأن «دستور ابن عمران الي ناره من حجاره»^(٣). وتتكون قمم الجبال المحيطة من الجير الأبيض الذي يخالطه الصوّان. وتشير الجبال الشاهقة والوديان السحيقة المليئة بالشعاب والأفاجيج الى أزمان حفلت بالهزات الأرضية وتغيرات عنيفة في قشرة الأرض.

(١) تمّ تعبيد الطريق من القدس الى أريحا سنة ١٨٩٠، أما الطريق الفرعي الى النبي موسى فقد عبّد سنة ١٩٠٦.

(٢) د. صلاح الدين بحيري، جغرافية الأردن، ص ٤٣.

(٣) كانت تصنع من حجر موسى الاقداح وصحاف الطعام ودوايات الحبر. وكان يبيع هذه الأدوات يروّج بالزعم بأن السوائل التي تشرب منها تسبغ على الجسم العافية والشفاء.

والبرية بجملتها أرض قفراء إلا أن هناك بعض الأعشاب التي تنمو في فصل الربيع ، وهي تتأخم أرض الغور وتشمل بطاحاً ووهاداً خضراء ومنظرها في الربيع رائع ، وقد أشاد به كثير من الرحالة . وهي خالية من الناس اجمالاً باستثناء عدد قليل من مضارب البدو في صحرائها ، ويلف المنطقة صمت عميق يثير الخيال وعزلة تغذي الاعتقاد بكائنات غير منظورة في أرجائها ، فلا عجب أن غدت مكاناً أثيراً لدى النسك والمتعبدين والرهبان منذ الأزمنة القديمة وأن أصبحت في العصر البيزنطي مدرسة للرهايين من لاتين وفرس وهنود وأحباش وأرمن . وكان لهؤلاء الرهبان أحياناً نفوذ كبير على القبائل البدوية ، وذكر أن القديس افيميوس أحد كبار الرهبان الأرمن في القرن الخامس^(٤) ، نصر أحد مشايخ القبائل القاطنة في البرية وجعله أسقفاً على قبيلته . ودعيت أبرشيته بالمخيم^(٥) .

وعلى امتداد العصر البيزنطي انتشرت الأديرة في برية القدس ، وأشهرها دير قرنطل ، ودير حجلة ودير القديس يوحنا ، ودير القلط ، ودير مارسابا ودير ابن عبيد . واشتهر من أعلام الرهبان فيها افيميوس ومار سابا^(٦) ومار ثيودوسيوس^(٧) وغيرهم .

في هذه المنطقة المنعزلة النائية عن العمران نشأ الاعتقاد بوجود قبر النبي موسى على نشز من الأرض يطل على البحر الميت وقرية أريحا .

كيف نشأ الاعتقاد بالقبر عند جمهور المسلمين في جنوب الشام ومتى؟

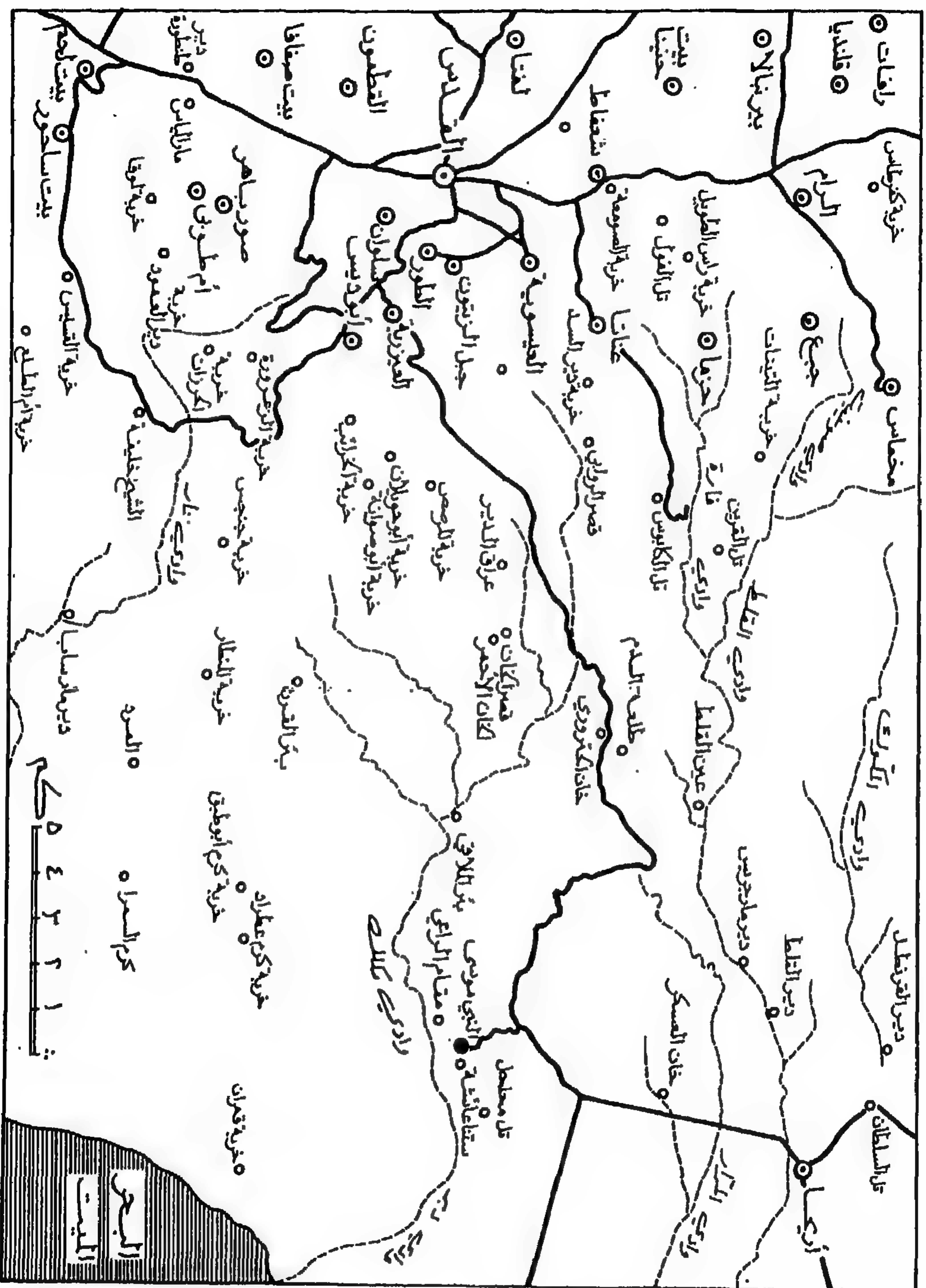
لقد حاولت أن أتبع ذلك فيما ورد في الكتب القديمة عن المكان الذي توفي فيه النبي موسى ومكان قبره بنوع من التفصيل ، بدءاً بالتوراة . والتوراة هي أقدم المصادر التي بين أيدينا .

(٤) القديس افيميوس (افثيموس) St Euthymius ناسك مشهور وأحد آباء التصوف الأرثوذكسي . وهو أرمني الأصل ولد في ميليتين بأرمينيا سنة ٣٧٧ وتوفي في برية القدس سنة ٤٧٣ . وقد أسس هو وجماعته بعد أن قدم الى فلسطين سنة ٤١١ تقريباً ديراً انقطعوا فيه للعبادة والتأمل ، ثم انشأ أديرة أخرى بين القدس وأريحا ، كان أحدها قرب البحر الميت وسمي باسمه .

(٥) Jerusalem in History, ed. by K. Asali, Buckhurst Hill, 1989, p. 9٥.

(٦) مار سابا : قديس مشهور ولد في كابا دوكيا (بآسيا الصغرى) سنة ٣٣٩ ونزل فلسطين وبنى فيها ديره المعروف (١٥ كم جنوب شرق القدس) حوالي سنة ٤٨٤ . قضى أكثر من خمسين سنة في العبادة والتقشف وتوفي ٥٣١ أو ٥٣٢ ودفن في ديره ، ثم نقل جثمانه الى البندقية .

(٧) قديس مشهور عاش في فلسطين في القرن الخامس أيضاً وبنى فيها ديراً قريباً من دير مارسابا شرقي بيت لحم هو دير ابن عبيد ، ويعرف أيضاً باسم دير دوسي (ثيودوسيوس) . وقد بناه في أواخر القرن الخامس . توفي ثيودوسيوس سنة ٥٢٠ ودفن في ديره .



ماذا في التوراة ؟

جاء في سفر التثنية (الاصحاح الرابع والثلاثون من ١ - ٦) ما يلي :

(وصعد موسى من عربات^(٨) مؤاب الى جبل نبو إلى راس الفسجة^(٩) الذي قبالة أريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان وجميع نفتالي وأرض أفرايم ومنسى وجميع أرض يهودا إلى البحر الغربي والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوغر^(١٠) . وقال له الرب : هذه هي الأرض التي أقسمت لأبراهيم واسحق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها قد أريتكم أياها بعينيك ولكنك إلى هناك لا تعبر . فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب ودفنه^(١١) في الجواء^(١٢) في أرض مؤاب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم) .

هذه شهادة التوراة إذن صريحة بأن النبي موسى لم يدخل أرض فلسطين وأنه مات في أرض مؤاب ، وعلى هذا الاعتقاد درج اليهود والمسيحيون . . . أما المسلمون فكان معتمدتهم في مكان قبر النبي موسى الحديث الشريف الذي أورده البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه حول ما شهدته الرسول ليلة الاسراء :

(قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صهّ فرجع إلى ربه فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت . قال : إرجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال أي رب ثم ماذا قال : ثم الموت قال فالآن قال : فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال أبو هريرة رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ لو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب^(١٣) الأحمر^(١٤) .

وبالطبع فإن تلال الرمال الحمراء موجودة في أماكن عديدة في سيناء وبلاد الشام وقرب المدينة المنورة أيضاً . ولذلك فانه قد يتعذر من هذا الحديث تحديد مكان بعينه ، على أن علماء المسلمين جاهدوا في تحديد البقعة المقصودة كما سنرى بعد ، ولكن ذلك حدث بعد مئات السنين من تناقل الحديث . . . أما أقدم المؤرخين المسلمين فقد آثروا اتباع الرواية التي

(٨) براري . (٩) القسم العلوي من جبل نبو أو قمته . (١٠) صغر أو زغر على البحر الميت

(١١) أي الرب . (١٢) الوادي

(١٣) الكثيب هو مجتمع الرمل

(١٤) صحيح البخاري ، محمد بن اسماعيل البخاري التوفي سنة ٢٥٦ هـ . الجزء الثاني ، ص ١٧٧ - باب وفاة موسى .

جاءت في التوراة حول مكان وفاة النبي موسى وقبره.

فأحمد ابن اسحق اليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م قال في تاريخه: «ثم صعد موسى إلى جبل نابون فنظر إلى الشام وقال الله له: هذه الأرض التي ضمنت لابراهيم واسحق ويعقوب أن اعطيها خلفهم وقد أريتكها بعينك، ولكنك لن تدخلها، فمات موسى في ذلك الموضع، فقبره يشوع بن نون، ولم يدر أين قبره». (١٥).

أما الطبري، محمد بن جرير، المتوفى سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م فقد أورد في تاريخه (١٦) حول وفاة موسى عليه السلام جملة روايات ذهب أكثرها إلى أن موسى إنما مات في التيه: «عن ابن حميد مات موسى عليه السلام في التيه» (١٧). «أما أهل التوراة فانهم يقولون هلك هارون وموسى في التيه. وإن الله أوحى إلى يوشع بعد موسى وأمره أن يعبر الأردن» (١٨).

غير أن من الروايات التي أوردها الطبري ما يذهب إلى أن موسى ع. س. عبر الأردن وفتح أريحا كقوله: «قال آخرون إنما فتح أريحا موسى ولكن يوشع كان على مقدمة موسى حين سار اليهم». (١٩) وقوله: «ثم دخلها (أي أريحا) موسى ببني اسرائيل، فأقام فيها ما شاء الله أن يقيم ثم قبضه الله اليه، لا يعلم بقبره أحد من الخلائق». (٢٠) ويضيف الطبري: «أما السدي (٢١) فذكر أن الذي قاتل الجبارين (في أريحا) يوشع بن نون بعد موت موسى» (٢٢).

وفي صدد حديث الطبري عن وفاة موسى في التيه، نذكر أن جبال الشراة ومؤاب كانتا عند الجغرافيين العرب عند حدود التيه أي انهما متاخمان.

قال ياقوت: «التيه. . أرض بين ايلة ومصر وبحر القلزم وجبل السراة (الشراة) من

(١٥) أحمد بن اسحق اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، المجلد الأول، ص ٤٥/٤٦.

(١٦) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، المجلد الأول، دار سويدان، بيروت، ١٩٦٧.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٤٣٤.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٤٤١.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٤٣٦.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ٤٣٩.

(٢١) اسماعيل بن عبد الرحمن السدي المتوفى سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م. تابعي سكن الكوفة، صاحب التفسير والمغازي والسير، كان اماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس (الزركلي، الاعلام، ٣١٧/١).

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٤٣٩.

أرض الشام . . . يتصل حد من حدودها بأرض بيت المقدس وما اتصل به من فلسطين» .
وذهب إلى القول بذلك صاحب «مراصد الاطلاع» صفى الدين ابن عبد الحق .^(٢٣) ويقول
المقدسي في أحسن التقاسيم «وأما الشراة فجعلنا قصبته صغر ومدنها مؤاب ، معان ، تبوك ،
أذرح ، أيله ، مدين» .^(٢٤)

وأما رواية الطبري عن دخول موسى أريحا وموته فيها ، فهي التي تلفت النظر ولا
ندري مصدره في ذلك . وربما كانت هذه الرواية من الدواعي التي أدت إلى الاعتقاد بوجود
قبر النبي موسى في موضع المقام الحالي قرب أريحا والبحر الميت من الغرب .

ويكرر المسعودي القول ب وفاة موسى في التيه وفي أرض مؤاب : «كانت وفاة موسى
وهارون وأختها مريم بالتية في سنة واحدة» .^(٢٥) «ومات موسى في سبعة أيام من آذار في
أرض مؤاب ودفن في الوادي من أرض مؤاب» .^(٢٦)

أما المقدسي البشاري من أهل القرن الرابع الهجري أيضاً (والمتوفى سنة
٣٨٠هـ / ٩٩٠م) فلا يحدد موقعاً معيناً لوفاة النبي موسى ودفنه ، وإنما يكتفي بالقول إن من
بين مشاهد اقليم الشام قبر موسى .^(٢٧)

وفي القرن الخامس ، وفي سنة ٤٣٨ هـ بالتحديد ، زار القدس الرحالة الفارسي ناصر
خسرو وكتب عن مشاهدتها ومشاهد فلسطين الأخرى ، فقد كانت زيارة المشاهد المقدسة
همّه الأول ، ومع ذلك فانه لم يأت على ذكر قبر للنبي موسى في ديار القدس .

ومن الكتاب المعاصرين لناصر خسرو / أبو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم
النيسابوري المعروف بالثعلبي والمتوفى سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٤ - ١٠٣٥ م . وقد كتب الثعلبي
كتاباً مشهوراً عنوانه «قصص الأنبياء» اعتمد فيه اعتماداً كبيراً على القصص المتوارثة عن
الأقدمين والتي شكلت الاسرائيليات عنصراً قوياً فيها . وهو يروي فيما يروي قصة زيارة
ملك الموت لموسى التي سبق ذكرها .

ومن مواضع مختلفة في روايته لقصة النبي موسى يتضح أنه كان يتبع رواية التوراة .

(٢٣) أ . س . مرمجي الدومنيكي ، بلدانية فلسطين العربية ، ص ٧٩ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .

(٢٥) علي بن الحسين المسعودي المتوفى ٣٤٦هـ / ٩٥٧م ، كتاب التنبيه والاشراف ، ص ١٩٩ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ .

(٢٧) المقدسي (البشاري) محمد بن احمد ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٥١ .

قال الثعلبي :

[قال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ قالوا : بينما موسى عليه السلام يمشى وفتاه يوشع بن نون إذ أقبلت ريح سوداء ، فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة ، فقال : يا قوم أظن أنها الساعة ، واني ملتزم بموسى نبي الله ، فانسئ من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع ، فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو اسرائيل وقالوا : قتلت نبي الله ، فقال : والله ما قتلته ولكنه انسل مني ، فلم يصدقوه وأرادوا قتله ، فقال لهم : إذا لم تصدقوني فأخروني ثلاثة أيام ، فدعا الله ، فأتى كل رجل ممن كان يحرسه آت في المنام وأخبره أن يوشع لم يقتل موسى وانما قد رفعناه إلينا ، فتركوه .]^(٢٨)

ويضيف الثعلبي قصة طريفة عن ظروف اختفاء النبي موسى أسندها إلى وهب بن منبه الذي أدخل كثيراً من الاسرائيليات في التراث الاسلامي .

[قال وهب بن منبه : خرج موسى ليقضي حاجة ، فمر برهط من الملائكة فعرفهم ، فأقبل اليهم حتى وقف عليهم ، فإذا هم يحفرون قبراً لم ير شيئاً قط أحسن منه ، ولم ير مثله قط في الخضر والنضرة والبهجة ، فقال لهم : يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر؟ فقالوا : نحفره لعبد صالح كريم على ربه ، فقال موسى : إن هذا العبد لمن الله بمنزلة عظيمة ، ما رأيت كاليوم أحسن منه مضجعاً ، فقالت الملائكة : يا صفى الله أتحب أن يكون لك؟ قال : وددت ذلك ، قالوا : فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك ، ثم تنفس أسهل نفس تنفسه ، فنزل فاضطجع فيه ، ثم توجه إلى ربه ، ثم تنفس ، فقبض الله روحه ، ثم سوت الملائكة عليه التراب . وقيل إنه أتاه ملك الموت بتفاحة من الجنة ، فشمها فقبض الله روحه .]

والمهم في هذا كله أن الثعلبي لم يشر من قريب أو بعيد الى وفاة النبي موسى في مكان قريب من أريحا أو إلى دفنه بجوارها .

ونأتي بعد ذلك إلى القرن السادس الهجري حين نجد أول ذكر في الكتب لقبر النبي موسى قرب أريحا عند أبي الحسن علي بن أبي بكر الهروي المتوفى سنة ٦١١هـ / ١٢١٤م :

(٢٨) ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي ، قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس ، ص ٢٤٧ و ٢٤٨ .

فعند الحديث عن ربحا (أربحا) قال الهروي : (ربحا قرية بها قبر ذكروا إنه لموسى بن عمران عليه السلام وورد أن ربحا مدينة الجبارين المذكورة في القرآن).^(٢٩)

ولا ريب أن الهروي الذي زار القدس وفلسطين سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م، أي في فترة الاحتلال الصليبي، كان يردد ما سمعه من الناس أثناء زيارته للقدس. ومعنى ذلك أن الناس كانوا يتحدثون عن وجود قبر لموسى عليه السلام في منطقة أربحا منذ القرن السادس الهجري (١٢ ميلادي) وربما منذ أوائل ذلك القرن.

ويعد الهروي بعشرات قليلة من السنين نصادف الفقيه والمؤرخ والمحدث ضياء الدين المقدسي محمد بن عبد الواحد المتوفى سنة ٦٤٣/٧١٥م بدمشق يتحدث عن قبر موسى عليه السلام بلهجة أقوى من لهجة الهروي. فيفند زعم ابن حبان (أبو حاتم البستي المتوفى ٣٥٤هـ/٩٦٥) أن قبر موسى بمدين بين المدينة وبيت المقدس ويتعقبه بالقول بأن أرض مدين ليست قريبة من المدينة ولا من بيت المقدس ثم يضيف الضياء قوله: «وقد اشتهر قبره في الأرض المقدسة وهو قريب من أربحا. . ان ذلك القبر الذي اشتهر انه قبر موسى عنده كتيب أحمر وطريق». ^(٣١)

ونجد هنا لأول مرة تحديداً لموقع الكتيب الأحمر الذي ورد ذكره في الحديث النبوي وأنه في المنطقة القريبة من أربحا.

(٢٩) الهروي، علي بن أبي بكر، الاشارات الى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل - طومين، ص ١٨. وفي الصفحة ذاتها يتحدث الهروي أيضاً عن بلد مؤاب فيقول (به قرية يقال لها شيخان بها قبر ينزل عليه النور ويراه الناس، وهو علي جبل فيزعمون انه قبر موسى بن عمران عليه السلام، والله أعلم). ويرد اسم شيخان أيضاً في هذا الصدد في معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي المتوفى ٦٢٦هـ/١٢٢٩م. (معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٤١) حيث يقول: (شيخان أو شيخان جبل مشرف على جميع الجبال التي حول القدس، وهو الذي أشرف منه موسى فنظر الى بيت المقدس فاحتقره وقال: «يا رب هذا قدسك؟» فنودي انك لن تدخله أبداً فهاث ولم يدخله).

ويرجح أن كلمة شيخان محرفة عن سيحون، وهو ملكي عموني قديم حكم بلاد مؤاب. وهناك جبل وخربة بهذا الاسم اليوم على بعد حوالي ٥٠ كم من مادبا ومن جبل نبو.

وقول الهروي، وكذلك قول يافوت يؤيدان، كما هو ظاهر، الرواية المأثورة عن التوراة.

(٣٠) مؤرخ وجغرافي ومحدث. ولد في بّست من بلاد سجستان وتنقل في الأقطار. من كتبه «المسند الصحيح في الحديث» و«الأنواع والتفاسيم» جمع فيه ما في الكتب الستة مع حذف الأسانيد.

(٣١) انظر محمد بن ابراهيم بن عبدالله بن جماعة، أبو البقاء نجم الدين المتوفى بعد سنة ٩٠١هـ/١٤٩٦م، الدر النظيم في اخبار سيدنا موسى الكليم، مخطوط تشستريتي رقم ٣٤٦١، الورقة ١١٠.

وقد يصح لنا أن نربط أحاديث الناس في بلاد فلسطين بشأن وجود قبر النبي موسى بين ظهرائهم بالاحتلال الأجنبي للبلاد.

إن أهل فلسطين لم يسلموا باحتلال الفرنجة لبلادهم . وأهم ما في بلادهم بالطبع هي المقدسات . فغير غريب أن ينبعث اهتمام قوى بالأمكن المقدسة ومقامات الأنبياء والأولياء في فترة الاحتلال هذه بالذات ، إثارة للهمم من أجل استنقاذ البلاد والدفاع عنها وتحريرها ، وخير دليل على ذلك انبعث أدب فضائل بيت المقدس في القرن الخامس والسادس الهجريين ثم في القرون التالية عندما كانت البلاد مهددة بالاحتلال أو محتلة .^(٣٢) وكان وصف المشاهد المقدسة في فلسطين ، وتمجيدها ، أهم عنصر في كتب الفضائل . ولم تكن كل المشاهد المذكورة في هذه الكتب قائمة على حقائق تاريخية موثوقة بطبيعة الحال ، بل إن كثيراً منها كان يعتمد على مآثورات نسجتها المخيلة الشعبية ، أو كان لها سند ضعيف من الواقع ، ونشأت في أوائل العصر الاسلامي أو حتى في العصور السابقة للاسلام . ولكن في كل حين كان لاهياء هذه المقدسات وإبرازها هدف ديني أو سياسي أو اجتماعي . وإذا كان الهدف الأساسي للحكام الأيوبيين والمماليك استنقاذ البلاد من أيدي الفرنجة فقد رحّبوا بالتسليم بما كان يتردد في الأوساط الشعبية من أقوال عن المشاهد المقدسة ، ومن ثمّ اهتموا بهذه المشاهد المقدسة وتعميرها أو بنائها حيث لم يكن فوقها بناء ، ولم يكن من شأنهم استقصاء حقيقة هذه المشاهد من وجهة تاريخية ، وهو أمر كان على أية حال متعذراً في أكثر الأحيان . . . ونذكر على سبيل المثال فقط مما فعله الأيوبيون والمماليك في هذا الشأن بناء قبر ومنارة على مسجد النبي يونس في حلحول سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م . وبناء مقام لسلمان الفارسي في اسدود ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م وبناء قبر البشير في مغارة الأحزان بصفد سنة ٨٠٥ / ١٤٠٢ ، وبناء مقام الفضل بن عباس ابن عم الرسول في الرملة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م . . . وكان من ذلك أيضاً بناء قبة على قبر النبي موسى بين القدس وأريحا سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م . لقد زرعت البلاد بالمزارات والمقامات والمساجد والزوايا والربط تثبيتاً للمسلمين في البلاد وحفزاً للهمم للدفاع عن أولى القبلتين وموطن الاسراء .

قد يكون من المعقول اذن ، على ضوء ما ذكرنا ، أن الاعتقاد بوجود قبر النبي موسى قرب أريحا وفي مكان مشرف على البحر الميت من جهة الشرق نشأ في القرن السادس الهجري ، ما دمنا لم نجد في المصادر الأقدم عهداً أي ذكر أو إشارة إلى وجود القبر في هذا

(٣٢) راجع كتابنا : «مخطوطات فضائل بيت المقدس» .

المكان . ولكن لنا أن نتساءل مع ذلك عن أصول الاعتقاد بوجود قبر النبي موسى بالذات في هذا المكان وأسباب نشوئه؟

إنه سؤال صعب .

يقول المستشرق الفرنسي كليرمون جانو الذي عاش في القدس في القرن الماضي إنه سأل عدة أشخاص من العربان الذين يقيمون في تلك المنطقة و«يخلفون بحياة ابن عمران» ، ليتأكد من منشأ هذا الاعتقاد بوجود قبر النبي موسى في هذا الجانب الغربي من نهر الأردن فأجابوا بأن الملائكة عندما جاءوا إلى موسى ليخبروه بأن ساعته قد حانت كان على الجانب الشرقي من نهر الأردن ثم هرب من الشرق لينجو من الموت إلى أن وصل إلى المكان الذي يسمى اليوم بالنبي موسى . وفي ذلك المكان رأى بعض الملائكة يحفرون قبراً فأغروه بالدخول فيه ، وعندما حاول الخروج منه جاءه ملك الموت فأسلم الروح .^(٣٣)

وهذه الرواية فيها عناصر (الملائكة الذين يحفرون القبر الخ .) من الروايات التي وردت في الكتب القديمة ، ومنها رواية الثعلبي عن وهب بن منبه التي مر ذكرها ، وفيها إضافة وتحوير لهذه الروايات من حيث تعليلها لوجود قبر النبي موسى في هذا المكان بالذات قرب القدس .

وهناك افتراضات أخرى جاء بها الرحالة الأجانب الذين زاروا البلاد في أوقات مختلفة . . والذين كانوا ينطلقون من الاعتقاد بالصحة المطلقة لما جاء في التوراة ، وبينون افتراضاتهم على هذا الأساس . وأقدم هؤلاء الراهب فيليكس فابري Felix Fabri من مدينة ألم Ulm بألمانيا . وقد زار فلسطين مرتين في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، التاسع الهجري . قال فابري : إنه عندما كان في سهول أريحا رأى أكواماً من الحجارة وضعها الشرقيون تكريماً للنبي موسى لأنه كان ممكناً من هناك رؤية جبال اباريم (Abyrim) (وأحدها جبل نبو في مؤاب) ورأس الفسجة . . لهذا السبب كانوا يكوّمون الحجارة عندما يأتون إلى هذا المكان ويصلون ويبحثون على ركبهم وهم ينظرون إلى تلك الجبال التي رأى موسى منها أرض الميعاد . وعلى مقربة من هذه الأكوام رأينا هرمأً عالياً حديث البناء في المكان الذي يعتقدون خطأ أن موسى دفن فيه .^(٣٤)

(٣٣) C- Ganneau, Archeological Researches in Palestine, Vol II, pp 49,50.

(٣٤) Palestine Pilgrims Text Society, Vol 9 and 10, The Wanderings of Felix Fabri, p. 188.

ويذهب إلى هذا الرأي أيضاً الزوار والمرسلون الأوروبيون في القرن التاسع عشر ومنهم تشارلز وارن Ch. Warren (من صندوق اكتشاف فلسطين) والقس جورج بوست G. Post . يقول وارن انه يعتقد أن فسجة هي اللسان أو الرأس المعروف باسم المشقر شرقي البحر الميت والذي يقع قبر موسى على مقربة منه ، ثم يضيف قائلاً : « وافترض أن هذا القبر يمكن رؤيته من الموقع الحالي للنبي موسى . وفي الأيام المضطربة التي كان يعسر على الحجاج أن يعبروا فيها نهر الأردن أصبح من دأبهم أن يأتوا إلى هذه البقعة ويشخصوا ببصرهم إلى القبر التقليدي للنبي موسى (في شرق الأردن) ويقيموا نصب الحجارة فيها ، كما كان يفعل الآباء (الأنبياء المذكورون في التوراة) في قديم الزمان عند الوفاء بالندور. . . وأصبح الموقع (الحالي لمقام النبي موسى) مقدساً لهذا السبب. . . »^(٣٥)

ويتابع القس جورج بوست تشارلز وارن فيما ذهب إليه ويضيف إلى ذلك أن مقام النبي موسى إنما جعل في موقعه الحالي مراعاة لراحة الحجاج (أي زوار القبر) الذين كان من العسير عليهم القيام بالزيارة والذهاب إلى جبل نبو.^(٣٦)

أما المهندس كونراد شيك (Conrad Schick) الألماني السويسري الذي عمل مدة مع صندوق استكشاف فلسطين وتوفي في القدس سنة ١٩٠١ فيطالعنا بنظرية أخرى يفترض فيها أنه كانت تقوم في مكان مقام النبي موسى في زمن ازدهار إقامة المستوطنات (أي في القرنين الخامس والرابع الميلاديين) بيعة قديمة تحولت فيما بعد إلى دير كان مؤسسه يدعى «موسى» ودفن هذا في الدير. وعندما جاء المسلمون واحتلوا الدير ظنوا أن موسى المشار إليه هو موسى نفسه الذي كانوا يجلّونه كنبى وأن قبره هو قبر موسى النبي.^(٣٧)

وسوف نرى أن افتراض شيك كان وهماً لا أساس له .

ومن ناحية أخرى فان المصادر العربية المبكرة التي ذهبت إلى وجود قبر النبي موسى في هذا المكان قرب أريحا اكتفت بالقول بأنه اشتهر وجود قبر النبي قرب أريحا . أي أن ذلك

(٣٥) Ch. Warren, Underground, Jerusalem, p. 280, 281.

(٣٦) George E. Post, A Narrative of Scientific Expedition in the Transjordanic Region In the Spring of 1886 (PEFQS, October, 1888, p. 178).

ويخلط بوست هذا خلطاً شديداً حين يقول : ان الحكومة التركية هي التي ابتدعت موسم النبي موسى لمواجهة احتفالات عيد الفصح عند المسيحيين واليهود .

(٣٧) C.Schick: Die Alten Lauren und Klöster in der Wüste Juda, ZDPV, Vol. III (1880), p. 16.

كان ذائعاً بين الناس (الهروى وضياء الدين المقدسي) لكنها لم تورد تعليلاً تاريخياً لذلك .
 إلا أنه ينبغي أن نشير في هذا الصدد إلى ما أورده العمري في مسالك الأبصار (القرن الثامن الهجري) ونعقب على ذلك بالاشارة إلى بعض «التعليلات» التي أوردتها مصادر أخرى في أواخر العصر المملوكي وفي العصر العثماني .
 يؤخذ من قول العمري أن الذي ثبت الاعتقاد بوجود قبر النبي موسى قرب أريحا هو رؤيا شيخ في موضع القبر المفترض . قال العمري تحت عنوان :

[قبر موسى بن عمران عليه السلام]

قبر موسى الكليم بالقرب من أريحاء . وتعرف القرية بشيخان .

رواية في تحقيق موضعه ومنام عجيب

رأيت بخط علاء الدين آبن الكلّاس ما صورته : «قال الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبدالله بن يونس الأرموي عن والده قال : زرت قبر موسى (عليه السلام) الذي بالقرب من أريحاء . قال الشيخ إبراهيم : وكان إذ ذاك لم تُبنَ عليه قُبَّةٌ ولا مشهدٌ . قال : فقلت في نفسي : اللهم أرني ما ازداد به يقيناً في صحة هذا القبر . قال : فيينا أنا نائم رأيت كأن القبر انشق وخرج منه إنسان طوال . قال : فجئتُ إليه وسلّمتُ عليه ، وقلتُ له : من أنت ؟ قال : موسى بن عمران . وهذا قبري . وأشار إليه . ثم قعدنا . وإذا بالقرب منا رجل يطبخ في قدره فلما استوى طعامه ، أحضره إلينا وإذا هو شورباء أرز . فأكل موسى عليه السلام منها ثلاث ملاعق ، وأنا ثلاث ملاعق ، والرجل ثلاثاً ، ثم تداولناها بيننا إلى أن فرغَتْ . قال الشيخ عبدالله : وكنتُ على عزم العود إلى بلاد العجم إلى عند شيخى . فقال لي موسى عليه السلام : أنت لا تسافر إلى شيخك . وكيف تسافر؟ وأنت تريد تتزوج بامرأة من نسل الرسول وترزق منها أربعة أولاد . وأقام الشيخ إبراهيم أصابع يده اليمنى الأربعة ، وضم الإبهام إلى باطن كفه ، يحكيه . قال الشيخ إبراهيم : فكان كما ذكر موسى عليه السلام . فلم يسافر والدي ، وتزوج بامرأة شريفة ، وهي أمي . ورزق أربعة أولاد ، أنا أحدهم . ولما حضرته الوفاة ، قلت له : يا سيدي أنت راضٍ عني؟

فقال : كيف لا أرضى عنك ، وقد بشرني بك موسى عليه السلام .^(٣٨)

إن هذه الحكاية الطريفة في حاجة إلى تعليق : فالقول بأن قرية شيخان قرب أريحا ، ينطوي على خطأ ظاهر ، لأن شيخان المعروفة هي في جبال مؤاب . أما رواية الحكاية علاء الدين بن الكلاس فهو علي بن محمد الدواداري المعروف بابن الكلاس وكان جندياً وشاعراً وناثراً . وقد توفي بحطين سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٨م .^(٣٩) . ولتحديد الزمن الذي أثرت منه الحكاية نقول إن الشيخ ابراهيم ، الذي رواها عن والده ، هو ابراهيم بن عبدالله بن يونس (في الأصل الذي نقلنا عنه وهو فوات الوفيات : يوسف ، وهذا في ظننا خطأ والصحيح يونس كما ورد في العمري وابن جماعة) بن ابراهيم بن سليمان أبو اسحق الأرموي . وكان هو ووالده عبدالله بن يونس من الزهاد العباد المقصودين للتبرك ، وقد ولد (أي الابن) سنة خمس عشرة وستمئة بجبل قاسيون وتوفي سنة اثنتين وتسعين وستمئة .^(٤٠) ويضيف ابن العماد الحنبلي إلى ذلك ما يؤخذ منه أن ابراهيم كان كبير القدر في زمانه إذ «حضر جنازته الملوك والأمراء والقضاة ، وحمل على الرؤوس» .^(٤١)

ومن هذه المعلومات يتبين لنا أن الحادثة التي رواها عبدالله بن يونس لابنه الذي ولد سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م . قد حدثت قبل ذلك التاريخ (لأن موسى عليه السلام قد بشر أباه بمولده كما يقول . .) ربما في أوائل القرن السابع الهجري ، أي قبل بناء قبة بيبرس على القبر (سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) بأكثر من نصف قرن . ونقدّر أن حكاية الشيخ الأرموي عن الرؤيا التي رآها في المنام كان لها أثرها في الناس في تلك الأزمان . فثبتت عندهم الاعتقاد بصحة القبر . وربما كانت من الدوافع الهامة التي حدت بيبرس إلى بناء القبة فوق القبر قرب أريحا . وما من شك في أن بناء القبة قد ثبت بدوره الاعتقاد بصحة القبر لدى عامة الناس ، ولدى بعض العلماء أيضاً . ولكن يبدو أن التسليم بصحة القبر ظلّ أمراً بعيد المنال ، حتى بعد بناء القبة سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م ، عند كثير من العلماء . فالكثير الأحر الذي ورد ذكره في

(٣٨) ابن فضل الله العمري المتوفى ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، الجزء الأول ، ص ١٧٦ و ١٧٧ . وتورد هذه الحكاية أيضاً في مخطوطة «الدر النظيم في أخبار موسى الكليم» لابن جماعة (تسستريتي رقم ٣٤٦١ ، ورقة ١١٠)

(٣٩) محمد بن شاكر الكتبي المتوفى ٧٦٤/١٣٦١م ، فوات الوفيات ، الجزء الثالث ، ص ٩٤ .

(٤٠) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١ .

(٤١) عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى ١٠٨٩هـ / ١٦٦٩ - ١٦٧٠م . شذرات الذهب ، الجزء الخامس ، ص ٤٢٠ .

الحديث الشريف كان يمكن أن يطلق، كما قلنا، على أماكن كثيرة تمتلئ بها هذه البلاد ابتداء من سيناء وانتهاء ببادية الشام، وهناك أيضاً كثيب أحمر قرب المدينة. وصحيح أن هناك تربة حمراء في موقع الخان الأحمر (الآن جنوب الكيلو ١٦ على طريق القدس وأريحا)، لكن ليس هناك كثيب من الرمال بل هناك أرض صلصالية جيرية صلبة.

ولدى استعراض أقوال الرحالة والعلماء المسلمين بعد بناء القبة، وبالترتيب الزمني، نجد أن أول من أشار إلى قبر النبي موسى في الكثيب الأحمر مرة أخرى، بعد أكثر من نصف قرن على بناء القبة، هو ابن بطوطة الذي زار الشام سنة ٧٢٦/١٣٢٥ م. قال ابن بطوطة: «وبمقربة من بيت المقدس وأريحا موضع يعرف بالكثيب الأحمر تعظمه اليهود». ^(٤٢) ولا ندري من أين جاء ابن بطوطة بالقول «تعظمه اليهود»؟. وعلى أية حال فإن روايته لا تدل على أنه كان يعلم بوجود قبة بناها بيبرس في هذا المكان.

ولعل أول مؤلف ذكر قبة بيبرس صراحة هو ابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩/١٣٤٨ م/ في «مسالك الأبصار» في حديثه الذي اقتبسناه من قبل حين قال عن قبر موسى: «وكان إذ ذاك لم تبني عليه قبة ولا مشهد»، ثم في حديثه عن دير السيق (دير مار سابا) إلى الجنوب الشرقي من القدس إذ قال: «دير السيق قبلي بيت المقدس على نشز عال مشرف على الغور، غور أريحا يطل على تلك البساتط الخضر ومجرى الشريعة، وبه رهبان ظراف أكياس ولا يأتيهم إلا قاصد لهم أو مار في مزارع الغور، تحتهم وفوقهم الطريق الآخذة إلى الكثيب الأحمر، وقبر موسى عليه السلام في القبة التي بناها الملك الظاهر بيبرس». ^(٤٣)

وبعد العمري بقليل قال الكتبي في «فوات الوفيات» الذي كتبه في سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢ م. بصدد حديثه عن الظاهر بيبرس:

«وبني على قبر موسى عليه السلام قبة ومسجداً، وهو عند الكثيب الأحمر، ووقف عليه وفقاً». ^(٤٤)

وردّ مثل هذا القول عن الظاهر بيبرس صاحب النجوم الزاهرة حين قال بعد الكتبي

(٤٢) محمد بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج ١، ص ١١٣ - ١١٤.

(٤٣) مسالك الأبصار، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٠ - ٣٤١.

(٤٤) فوات الوفيات، المصدر السابق، مجلد ١، ص ٢٤٣.

بأكثر من مائة عام: «وبنى على قبر موسى عليه السلام قبة ومسجداً، وهو عند الكتيب الأحمر قبل أريحا ووقف عليه وقفاً». (٤٥).

ونلاحظ من ناحية أخرى أن الكثيرين من كبار المؤلفين الذين كتبوا بعد بناء قبة بيبس قد أغفلوا ذكر القبة والقبر إغفالاً تاماً، ومن هؤلاء شهاب الدين أحمد بن هلال بن سرور المقدسي مؤلف «مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام» المتوفى ٧٦٥هـ/١٣٦٣م. فمع أن هذا المؤلف عرض لذكر الكتيب الأحمر في كتابه المذكور^(٤٦) إلا أنه لم يقل إن هذا الكتيب كائن في الموقع المعروف بين القدس وأريحا.

والشيء نفسه يقال عن جلال الدين السيوطي الشهير (٨٤٩ - ٩١١هـ/١٤٤٥ - ١٥٠٥م) إذ لم يورد السيوطي ذكراً لقبر النبي موسى في شرح الحديث النبوي عن الكتيب الأحمر في كتابه المعروف في شرح سنن النسائي^(٤٧).

أما ابن خلدون المتوفى ٨٠٨/١٤٠٥م فقد التزم برواية التوراة حيث قال: «دفن (أي موسى) بالوادي في أرض مؤاب، ولم يعرف قبره لهذا العهد». (٤٨).

وعندما أشار أحمد بن محمد القسطلاني (٨٥١ - ٩٢٣/١٤٤٨ - ١٥١٧) إلى الحديث النبوي الشريف حول الكتيب الأحمر في المجلد الثاني من «إرشاد الساري» قال: (وهذا ليس صريحاً في الاعلام بقبره الشريف، ومن ثم حصل الاختلاف فيه فقليل بالتيه وقيل بباب لد بيت المقدس أو بدمشق أو بواد بين بصرى والبلقاء أو بمدين بين المدينة وبيت المقدس أو بأريحا، وهي من الأرض المقدسة). (٤٩).

لكن القسطلاني قال في المجلد الخامس من الكتاب نفسه: «وقد اشتهر قبر بأريحا عنده كتيب أحمر أنه قبر موسى». (٥٠)، وكلمة «اشتهر» كان يستعملها المؤلفون، عندما لم

(٤٥) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف المتوفى سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م. النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٠٤

(٤٦) أحمد الخطيمي، مثير الغرام، رسالة دكتوراة مخطوطة تتضمن تحقيقاً لكتاب مثير الغرام، ص ٢٦٤.

(٤٧) جلال الدين السيوطي، زهر الربى في شرح سنن النسائي، المجلد الأول، ص ٢٩٦.

(٤٨) عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد الثاني، ص ٨٦/٨٧.

(٤٩) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، بولاق ١٢٦٧، المجلد الثاني، ص ٤٩٤.

(٥٠) المصدر نفسه، المجلد الخامس، مطبعة بولاق، ١٣٠٤، ص ٣٨٨.

يكونوا يرغبون في الزام أنفسهم بالاعتقاد بصحة القبر. ويبدو مع ذلك أن القسطلاني أصبح يرجح الرواية القائلة بصحة القبر الكائن قرب أريحا. وهذا الترجيح أصبح السمة الغالبة عند المؤرخين والعلماء، بعد بناء القبة وإن كانت درجة الشك واليقين تتفاوت فيما بينهم.

فابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ / ١٣٧١ - ١٤٤٨ م) ردّ زعم ابن حبان أن قبر موسى بمدين، وأورد قول الضياء المقدسي: وقد اشتهر عن قبر بأريحا عنده كتيب أحمر أنه قبر موسى. (٥١)

ووقف موقف ابن حجر في تفنيد زعم ابن حبان وتأييد قول الضياء المقدسي نجم الدين ابن جماعة المتوفى ٩٠١/١٤٩٦ في الدر النظيم، وقال «فالقبة المذكورة (أي قبة بيبرس) اشتهر أمرها وصار ذلك الموضع علماً يقصده الزوار والناس من العلماء والصلحا». (٥٢)

ومن يرجح صحة القبر الذي قرب أريحا مجير الدين الحنبلي. فبعد أن أشار الحنبلي إلى القول القديم المأثور من أن موسى مات دون أن يدري أحد أين قبره ولا أين توجه، وأنه، فيما نقل، دفن في الوادي من الأرض التي مات فيها، مضى يقول: «واختلف الناس في محل قبره فقليل - وهو المشهور عند الناس - أنه شرقي بيت المقدس بينه وبين بيت المقدس مرحلة». (٥٣)

وتحدث الحنبلي بعد ذلك عن المعجزات التي يستدل بها أن موسى مدفون في القبر الذي بنى عليه بيبرس القبة حديثاً يدل على الايمان والتصديق.

وتلا الحنبلي في هذا الشأن أكثر العلماء والرحالة الذين جاءوا البلاد في العصر العثماني، ومن أبرزهم الشيخ عبد الغني النابلسي (٥٤). وكانت المعجزات هي المستند الأول

(٥١) أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح الامام ابي عبدالله محمد ابن اسماعيل البخاري، ج٦، ص ٤٤٢.

(٥٢) الدر النظيم، المخطوط السابق الذكر، الورقة ١١٠.

(٥٣) مجير الدين الحنبلي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج١، ص ١٠٢.

(٥٤) يكشف لنا الشيخ عبد الغني النابلسي في معرض تفنيده لادعاءات اولئك الذين يشكون في صحة قبر النبي موسى قرب أريحا وجود مدرسة شامية قوية وقديمة كانت ترى أن قبر النبي موسى هو في مسجد القدم أو مسجد الاقدام قرب دمشق. وقد زاد هذا في البلبلة والشكوك حول القبر المجاور لأريحا. فقد أشار النابلسي

الذي عولوا عليه في اثبات «صحة» القبر.

والحديث عن المعجزات والكرامات التي تروي القصص والحكايات الشعبية حدوثها عند مقام النبي موسى والتي اعتبرت دليلاً على صحة القبر حديث طويل. وقد كانت هذه القصص والحكايات تتردد منذ أوائل عصر المماليك وكان لها أثر كبير في تثبيت الاعتقاد بالقبر عند سواد الناس. وننتهز الفرصة هنا لتحدث عن هذه الحكايات الشعبية حول المعجزات، ونورد طرفاً منها :

المعتقدات والحكايات الشعبية عن معجزات النبي موسى وكرامات المقام

أبدت الجماعات والشعوب التي اعتنقت الاسلام همة عظيمة من أجل إعادة تفسير

= أولاً إلى رسالة للشيخ محمد بن طولون الصالح المتوفى سنة ١٥٤٦/٩٥٣م «تحفة الحبيب باخبار الكتيب» يذكر فيها أن قبر السيد موسى عليه السلام في مسجد القدم قبالة الكتيب الأحمر في دمشق الشام. واستند ابن طولون إلى حديث منسوب للرسول (ﷺ) يقول: إن قبر موسى عليه السلام بين عايلة وعويلة، وهما محلتان كانتا بقرب مسجد القدم، وكذلك استشهد في هذا الشأن بما ذكره أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر في تاريخ دمشق والرحالة محمد بن جبير الأندلسي، كما أورد ابن طولون روايات تؤيد وجود قبر موسى عليه السلام بدمشق لعبدالله بن سلام وكعب الأحبار. وادف عبد الغني النابلسي بذكر رسالة أخرى للشيخ برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضيا بن سباع الفزاري المتوفى ٧٢٩هـ/١٣٢٩م عنوانها «تبيين الأمر القديم في تعيين قبر الكليم» وجزم فيها الفزاري بأن قبر موسى عليه السلام في دمشق الشام. وقد استند النابلسي في تفنيده لهاتين الرسالتين - فيما استند إليه - إلى رواية الطبري حول دخول موسى عليه السلام أريحا وموته فيها (الحضرة الأنسية، ورقة ٧٩ و٨٠). والواقع أن هناك روايات قديمة كثيرة حول وجود قبر موسى عليه السلام قرب دمشق أيضاً، وكان الرحالة الهروي قد أشار في القرن السادس إلى هذه الروايات ورفضها. قال الهروي: مشهد الاقدام قبلي دمشق به آثار أقدام في الصخر. إنها أقدام الانبياء عم. ويقال إن القبر الذي به قبر موسى بن عمران وليس بصحيح. والصحيح أن قبره لا يعرف والله أعلم. (الهروي، الاشارات، ص ١٣).

وقال ابن جبير في رحلته بعد حوالي نصف قرن من رحلة الهروي : (ومن المشاهد الشهيرة، أيضاً مسجد الاقدام، وهو على مقدار ميلين من البلد مما يلي القبلة على قارعة الطريق الأعظم الأخذ إلى بلاد الحجاز والساحل وديار مصر، وفي هذا المسجد بيت صغير فيه حجر مكتوب عليه «كان بعض الصالحين يرى النبي (ﷺ) في النوم فيقول له: ها هنا قبر أخي موسى (ﷺ) والكتيب الأحمر على الطريق بين غالية وغويلية كما ورد في الاثر، وهما موضعان.

وشأن هذا المسجد في البركة عظيم، ويقال إن النور ما خلا قط من هذا الموضع الذي يذكر أن القبر فيه حيث الحجر المكتوب، وله أوقاف كثيرة. فأما الاقدام ففي حجارة في الطريق إليه معلّم عليها، تجد أثر القدم في كل حجر، وعدد الاقدام تسع، ويقال انها أثر قدم موسى عليه السلام. والله أعلم بحقيقة ذلك لا اله سواه). (محمد بن جبير المتوفى سنة ٦١٤، رحلة ابن جبير ص ١٩٧). وكان ياقوت الحموي قد ذكر بين المواضع الشريفة التي يستجاب فيها الدعاء في دمشق «مسجد القديم عند القطيعة، ويقال إن هنا قبر موسى عليه السلام». (معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦٥)، ونظن أن المقصود هنا هو مسجد القدم (أو الاقدام).

المظاهر الوثنية تفسيراً يقبله الإسلام.^(٥٥) وأدرك الفقهاء عبث التصدي بالمقاومة لاتجاهات العامة. وكان أن نجحت الشعوب في الحفاظ على مزاراتها القديمة، وأماكنها المقدسة، بعد أن أعادت نسبتها إلى نبي أو ولي إسلامي أو ربطتها بحدث ديني إسلامي. وفي نابلس مثلاً عمود حجري مقدس أسمته العامة بقبر الشيخ العمود. وعلى هذا فإن كثيراً ممن ذكر أنهم من أولياء الله الصالحين، لم يكونوا في الحقيقة إلا قادة أو حكاماً أو عبّاداً قدماء، سابقين للإسلام، أو أنهم لم يكونوا شخصيات حقيقية في التاريخ.

وقد أحلّ الإسلام كما هو معروف، النبي موسى عليه السلام مكانة عالية من الاجلال، فهو كلم الله وهو من أولي العزم من الرسل. إلا أنه، كما نسبت في أزمان متأخرة نسبياً معجزات شتى للنبي محمد عليه السلام، نسبت إلى النبي موسى، معجزات رددتها الأساطير القديمة أو نسجتها نخيلة الأفراد والجماعات، في مسعاهم للتقرب من الله عن طريق أنبيائه أو أوليائه. وفي الحق أن أكثر ذلك لا يمكن التوفيق بينه وبين روح الإسلام ونصه الذي يصرح بأن الأنبياء بشر، ولذلك فليس لهم القدرة على خرق قوانين الطبيعة.

وقد تحول تقديس النبي موسى لدى سواد الشعب الفلسطيني أحياناً إلى مبالغات متطرفة لا يقبلها العقل، ومع ذلك فإن هذا كان يعكس عواطف دافئة من الاجلال لكليم الله وإيماناً عميقاً بخوارقه ومعجزاته. وما من شأننا أن نناقش الحكايات التي تروى عن خوارق النبي بميزان العلم، فهي نتاج فترة زمنية طبيعية في تطور العقل البشري، حين كان الايمان بالخوارق هو الطريق الوحيد لمحاولة فهم الأشياء الغريبة أو لجلب المنافع ودرء الشرور.

وفي الكتب التي وصلت إلينا من عصر المماليك والعصر العثماني كثير من الصور التي رسمها الوجدان الشعبي عن معجزات النبي موسى، ومنها الكثير مما هو متكرر ينقله الجيل عن الجيل الذي قبله، ويأخذه الكتاب واحد منهم عن الآخر.

من أوائل المعجزات التي تحدث عنها المؤلفون الخيالات والأشباح التي كانت ترى عند ضريح النبي موسى. وكان من أوائل من أشار إليها مجير الدين الحنبلي إذ قال: «وقد ظهر في هذا المكان أشياء من أنواع المعجزات منها أن عند الضريح الذي بداخل القبة لا يزال

(٥٥) حين أراد الخليفة المنصور نقل حجارة من أطلال العاصمة الفارسية القديمة برسيبولس لاستخدامها في بناء عاصمته الجديدة احتج وزيره الفارسي خالد بن برمك بأنها كانت مصلّى علي بن أبي طالب (انظر حسين أحمد أمين، دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين، ص ٩١).

يرى فوق المحراب أشباح ألوانهم مختلفة منهم صفة الراكب ومنهم صفة الماشي ومنهم من على كتفه رمح ومنهم لا بس أبيض ومنهم لا بس أخضر يصافح بعضهم بعضاً وغير ذلك من الصفات . وللناس في ذلك أقوال مختلفة فيقال إنهم ملائكة ويقال إنهم الصالحون . وينظرهم كل الناس من الرجال والنساء والأطفال ولا يخفون على أحد» .^(٥٦)

وبعد مجير الدين تتردد قصة الأشباح والخيالات هذه عند عبد الغني النابلسي (١١٥٠ - ١٢٤٣هـ / ١٦٤١ - ١٧٣١م)، ومصطفى أسعد اللقيمي الدمياطي (١١٠٥ - ١١٧٨هـ / ١٦٩٣ - ١٧٤٦م)، وقد تحدّث عبد الغني النابلسي عنها بشيء من التفصيل وبذل الجهد في تفسيرها حتى خرج من ذلك الى القول بأنها أشباح الملائكة تنزل بصور جسمانية لتكون دليلاً على صحة قبر النبي موسى .^(٥٧) واستشهد اللقيمي بأقوال عبد الغني النابلسي بشأن الخيالات والأشباح بوصفها دليلاً على صحة القبر^(٥٨) . وردد آخرون هذا التفسير للأشباح والخيالات، والذي ورد عن الحنبلي والنابلسي واللقيمي .^(٥٩)

ومن الكرامات والمعجزات الأخرى التي ذكر أنها تحدث في المقام الزوابع والأعاصير التي كانت تعصف بالخيام فتقتلعها وتجتاح الناس فتشردهم في كل اتجاه . وقد علّل الحنبلي ثوران الزوابع والأعاصير بأنه «إذا دخل المسجد امرأة من الناس يكون عليها حيض أو جنابة أو فعل أحد حول المسجد منكراً من المعاصي يثور هواء في تلك البرية حتى لا يقدر الرجل على رؤية من بجانبه وتنقطع جبال الخيام وتقلع الخيام من مكانها . وغير ذلك من الخوارق الباهرات التي يستدل بها على أنه ﷺ مدفون هناك»^(٦٠) وهذا التفسير لثوران العواصف

(٥٦) مجير الدين، الانس الجليل، ج ١، ص ١٠٢ .

(٥٧) عبد الغني النابلسي، الحضرة الانسية في الرحلة القدسية، مخطوط مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، ورقة ٧٤ - ٧٨ ومنه نسخة ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية رقمها ٨٢٠ (انظر ملحق هذا الكتاب) .

(٥٨) اللقيمي، «موانع الانس برحلي لوادي القدس»، مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٥٢٤٨، ورقة ٥٦ - ٥٧ .

(٥٩) غني عن البيان أن هذه الأشباح ليست شيئاً آخر غير السراب الذي يشاهد عند اشتداد الحرّ كأنه ماء تنعكس فيه صور الأشياء المحيطة . وهو ناشئ عن انحراف أشعة الضوء لدى انتقالها من طبقات الهواء الكثيفة إلى تلك الأقل كثافة وبالعكس . ومعروف أن توزيع الضغط العادي في الجو، في الصحراء خاصة، يختل بسبب السخونة الشديدة لطبقات الهواء القريبة من الأرض . وينشأ عن ذلك أن الضوء الصادر عن الأجسام البعيدة يرتد مرة أخرى عن الأرض بسبب انكسار الأشعة وانعكاسها ويؤدي ذلك إلى ظهور صور منعكسة لامعة ومشوهة خادعة للنظر وموهومة .

(٦٠) مجير الدين الحنبلي، الانس الجليل، ج ١، ص ١٠٣ .

نجدّه أيضاً عند شيخ الاسلام البرهان بن أبي شريف أخي الكمال بن أبي شريف أستاذ مجير الدين اذ ينقل القسطلاني عن برهان الدين قوله : «انه اذا وقع هناك فعل ما لا يجوز تحصل ظلمة واضطراب حتى يزال ذلك فتنجلي .»^(٦١) وأخذ بذلك أيضاً عبد الغني النابلسي ، وروى قصة سمعها في هذا الشأن ، قال : «أخبرني رجل أنه كان مرة في صحبة بعض العلماء الكبار في ذلك المزار سنة من السنين فثارت الريح الشديدة وتحرك العجاج الكثير واضطربت تلك الأماكن على-العادة المعهودة فعرفوا أن شيئاً وقع ممن هو حاضر هناك من الزوار ففتشوا على ذلك واذا رجل جاء عندهم من المكاريّة وأخبرهم أنه أكرى امرأة من بيت المقدس إلى السيد موسى مع الزوار دابة له وأنه طمع في إيقاع الفاحشة بها وصدر منها ما عصا الله به وجاءت المرأة فاعترفت بذلك وتابا الى الله تعالى وأقلعا عن المعصية . ومعلوم أن ذلك الاقرار بالزنا لا يوجب الحد لعدم كونه عند حاكم شرعي وعدم تكراره أربع مرات كما هو مقرر في كتب الفقه . . .» ويضيف النابلسي : «ثم إن ذلك الرجل العالم سأل المرأة هل لها مانع من النكاح من الموانع الشرعية فلم يكن لها مانع فعقد النكاح بينهما وقرأوا الفاتحة لحضرت موسى عليه السلام ودعوا الله تعالى فما استتموا ذلك حتى انجلت تلك الحالة وسكن ذلك الريح وذلك العجاج الثاير وصار كأن الأمر لم يكن . وهذه أيضاً من الأمور الدالة على تحقيق أن قبر موسى عليه السلام هناك .»^(٦٢)

وفضلاً عن ظهور الاشباح والخيالات وعن هبوب العواصف ، فقد اعتبر الناس من كرامات المكان اشتعال الحجارة الكائنة فيه وامكان استعمالها كوقود . ومن هنا كان القول السائر «دستور ابن عمران اللي ناره من حجاره» . غير أن الشيخ البكري الصديقي قد فسّر اشتعال الأحجار تفسيراً صحيحاً حين قال إن ذلك يحدث «لأن أرضه كبريتية الاجرام وبذا أحجارها توقد ويجعل منها تنوراً فيتأجج ويتوقد» .^(٦٣)

ومعروف أن التلة التي يقوم عليها المقام تتكون من حجارة من الحمّر أو القار تحترق بسهولة وتنبعث منها رائحة أسفلتية كريهة . ولكن الشيخ البكري حدّثنا عن معجزة حدثت له شخصياً في المقام ألا وهي شفاؤه الفوري من الصداع الشديد الذي ألمّ به عندما رفع

(٦١) القسطلاني ، ارشاد الساري ، المجلد الخامس ، ص ٣٨٨ .

(٦٢) عبد الغني النابلسي ، الحضرة الأنسية ، المخطوط ورقة ٧٧ - ٧٨ .

(٦٣) مصطفى البكري الصديقي ، الحمرة المحسية ، ص (٤) عن نسخة منقولة بخط مؤلف هذا الكتاب (ك . ع) عن مخطوط مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، رقم (٣٨٤) .

الستر الذي يغطي الضريح ووضعه على رأسه،^(٦٤)

ولم يفت الشيخ البكري أن يورد أيضاً كرامة كانت تحدث بعد انتهاء موسم الزيارة، وسمعتها عن بعض التقاة الأخيار قال: «بعد مضي الزوار من تلك الساحة الأنيسة والبقعة المباركة النفيسة تأتي طيور بيض بمناقير طوال يأخذون بها القاذورات ويرفعونها من تلك المحال، ويعقبهم لا محالة غمامة هطالة تغسل تلك الأرض بالطول والعرض». وعلق البكري على ما سمعه قائلاً: «لا تستكثر هذه العجبية وعلى مثل هذا السيد ليست بغريبة». ^(٦٥)

ويروي لنا الرحالة المغربي ابو سالم عبدالله العياشي الذي زار فلسطين سنة ١٠٧٤هـ/١٦٦٢م ما سمعه عن «كرامة وقعت في بعض الأزمنة القريبة. . . وذلك أن المحل الذي هو فيه (أي المقام) ليس فيه عمران. . . وعلى المزار أبواب عظيمة مغلقة لا يتمكن أحد من فتحها. . . ثم إن الستر الذي على قبره وكانت له قيمة عظيمة وجد مبيعاً في بعض أسواق الشام وعرفه الناس فسألوا عن بئعه فاذا هو أعرابي فقير فأخذ، وأتى به الى والي البلد، فبعث إلى المشهد فوجدوا الستر قد أخذ منه والأبواب على حالها مغلقة فأمر بعقوبة الاعرابي فأقر أنه هو الذي سرقه فسأله كيف تمكنت من أخذه مع غلق الأبواب، فقال. . . انه لما حان وقت موسم من مواسم السنة وأنا فقير ذو عيال ولا مال جئت الى المشهد فناديت يا نبي الله يا كلیم الله إني فقير ومضطر قد أقبل الموسم ولا شيء عندي فأعطني ما أنفق على بناتي. . . قال فمددت يدي إلى أول مغلق فانفتح، وكلما وقعت عيني على مغلق انفتح حتى وصلت إلى القبر وأخذت الستر. فلما خرجت غلقت الأبواب كما كانت. وظهر لهم أثر صدقه في ذلك فأطلقوه ولم يعاقبوه». ^(٦٦)

ومن الحكايات التي يحدثنا بها عبد الغني النابلسي الحكاية التالية التي وقعت عند زيارته المقام. قال: «وكان معنا رجل صالح من أهل مصر يقال له الشيخ علي بن علي الديصطي نسبة إلى ديصط. . . قرية من قرى ريف مصر كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فقال اكتبوا من حفظي هذا الموال في هذا المكان. . . (فكتبوا ذلك الموال). . .

(٦٤) المصدر نفسه ص ٣٥. (٦٥) المصدر نفسه، ص ٤٠ - ٤١.

(٦٦) عبدالله بن محمد العياشي المتوفى سنة ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م، رحلة الشيخ الامام أبي سالم عبدالله العياشي، ج ٢، ص ٣١٨ - ٣١٩.

ثم ان ذلك الرجل دعا الله تعالى كما أخبرنا في ذلك المقام الشريف بأنه لا يعود إليه إلا وهو يعرف أن يقرأه بنفسه، ثم انه رجع معنا إلى دمشق الشام واشتغل في قراءة القرآن إلى أن فتح الله عليه في مدة يسيرة مقدار الأربعة أشهر وصار يعرف القرآن ثم اشتغل في حفظ القرآن عن ظهر قلب وهذا ببركة دعاية (دعائه) هناك في ذلك المقام المبارك^(٦٧).

وأخيراً يروي لنا الدكتور توفيق كنعان^(٦٨) قصة يتبين منها أن الاعتقاد بكرامات النبي موسى كان متغلغلاً في الوجدان الشعبي في أوائل هذا القرن قال: «دخل بدوي المقام ذات مرة في غيبة الحراس ليسرق ستائر القبر. وعندما حاول الخروج من الشباك نفسه الذي دخل منه بسهولة اقتربت القضبان بعضها من بعض فعصرته عصاراً شديداً مات على أثره. وفي الليلة نفسها ظهر النبي موسى إلى موسى يونس (القيم على المقام) وقال له ثلاث مرات: موسى اذهب وأزل الجثة من مقامي. وفي اليوم التالي ذهب موسى برفقة بعض الموظفين ووجد البدوي الميت»^(٦٩).

(٦٧) النابلسي، الحضرة الانسية، ورقة ٨١.

(٦٨) توفي الدكتور كنعان سنة ١٩٦٤. وقد أوردنا ترجمة حياته بما في ذلك أهم مؤلفاته في الفصل السادس من هذا الكتاب.

(٦٩) T. Canaan, Mohammadan Saints and Sanctuaries in Palestine, p. 207.

الفصل الثاني

صفة مقام النبي موسى عليه السلام من الوجهة المعمارية

- تاريخ بناء المقام.
- تعميراته على مدى القرون
- صفة المقام في الوقت الحاضر
- هل كان هناك بناء قديم في مكان المقام؟

للملك الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦) سلطان مصر المملوكي الكبير، فضلاً عن بطولاته الحربية الباهرة، أعمال عمرانية جليلة وحسنات عميمة في طول البلاد الشامية وعرضها. وهو قد أحب بيت المقدس وزارها أربع مرات سنة ٦٦١هـ وسنة ٦٦٢ وسنة ٦٦٤هـ وسنة ٦٦٨هـ، وجدد بناء ما كان تهدم من قبة الصخرة، وجدد قبة السلسلة وزخرفها، ورتب برسم مصالح المسجد في كل سنة خمسة آلاف درهم، وأنشأ بجوار القدس خاناً كبيراً للمسافرين. وكان من مآثره أيضاً أنه بنى قبة ومسجداً على قبر النبي موسى عليه السلام قبلي أريحا ووقف عليه وفقاً سنة ٦٦٨.

ففي سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م، أدى الملك الظاهر بيبرس فريضة الحج وآثر أن يعرج في طريق العودة على فلسطين فقدم إليها سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٨م. ومرّ بيبرس في طريقه بدير السيّ (دير مار سابا) في برية القدس، ثم زار من بعد قبر النبي موسى القريب من الدير المذكور فأصدر أمره بإنشاء قبة ومسجد فوقه وخصص أوقافاً تنفق عليه. وقد ذكر زيارة بيبرس هذه كثير من المؤرخين.^(١)

غير أن أهم مصدرين لدينا بشأن الزيارة وإنشاء المقام انهما النقش المائل حتى الآن في المقام، وكذلك كتاب الوقف الذي أنشأه بيبرس على المقام وهما مصدران أصيلان في غاية الأهمية. وسوف نتحدث عن كتاب الوقف ونورد نصّه الكامل لدى حديثنا عن أوقاف النبي موسى. أما الآن فسنحدث عن نقش بيبرس الكائن في المقام نفسه.

(١) انظر في ذلك: الحنبلي، الانس الجليل ١٠٢/١ و ٨٧/٢، وكذلك: النويري احمد بن عبد الوهاب المتوفى ٧٣٣هـ/١٣٣٣م، «نهاية الأرب في فنون الأدب» (مخطوط ليدن رقم Or 2m. ورقة ٢٩٤^٥) وأبا الفداء، اسماعيل بن علي المتوفى ٧٣٢/١٣٣١، «المختصر في أخبار البشر»، المجلد الخامس، ص ٢٦ (تحقيق رايكة Relske)

نقش بيبرس مائل حتى الآن على لوحة من الرخام في خارج الجدار الشرقي لغرفة الضريح . وهو الجدار الفاصل بين غرفة الضريح والمسجد في مقام النبي موسى عليه السلام . وهذه اللوحة مكتوبة بالخط النسخي المملوكي وأطوالها ٩٠×٩٢ سم . وتحت هذه اللوحة لوحة صغيرة من الرخام كتب عليها سطر واحد . فلنقرأ نص هذه اللوحة :

- ١ . بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . أمر بإنشاء هذا المقام الكريم على ضريح موسى الكليم عليه الصلاة والتسليم مولانا السلطان الملك الظاهر السيد الأ
- ٢ . جلّ العالم العادل المؤيد المظفر المنصور ركن الدنيا والدين سلطان
- ٣ . الإسلام والمسلمين سيّد الملوك والسلاطين فاتح الأمصار مبيد الفرنج والتتار مقتلع القلاع من أيدي الكفار وارث الملك سلطان العرب
- ٤ . والعجم والترك
- ٥ . إسكندر الزمان صاحب القرآن مستر
- ٦ . دّ ضوال الإسلام من أيدي الطغيان ملك
- ٧ . البحرين مالك القبلتين خادم الحرمين الشريفين
- ٨ . الأمر ببيعة الخليفين أبو الفتح بيبرس
- ٩ . قسيم أمير المؤمنين خلّد الله سلطانه وذلك
- ١٠ . بعد عود ركابه العزيز من الحجّ المبرور وتوجّهه
- ١١ . لزيارة القدس الشريف تقبّل الله منه في نيابة
- ١٢ . عبده وولّيه الأمير الكبير المثار جمال الدين
- ١٣ . آقوش النجيبى^(٢) كافل الممالك الشاميّة أعزّه الله .

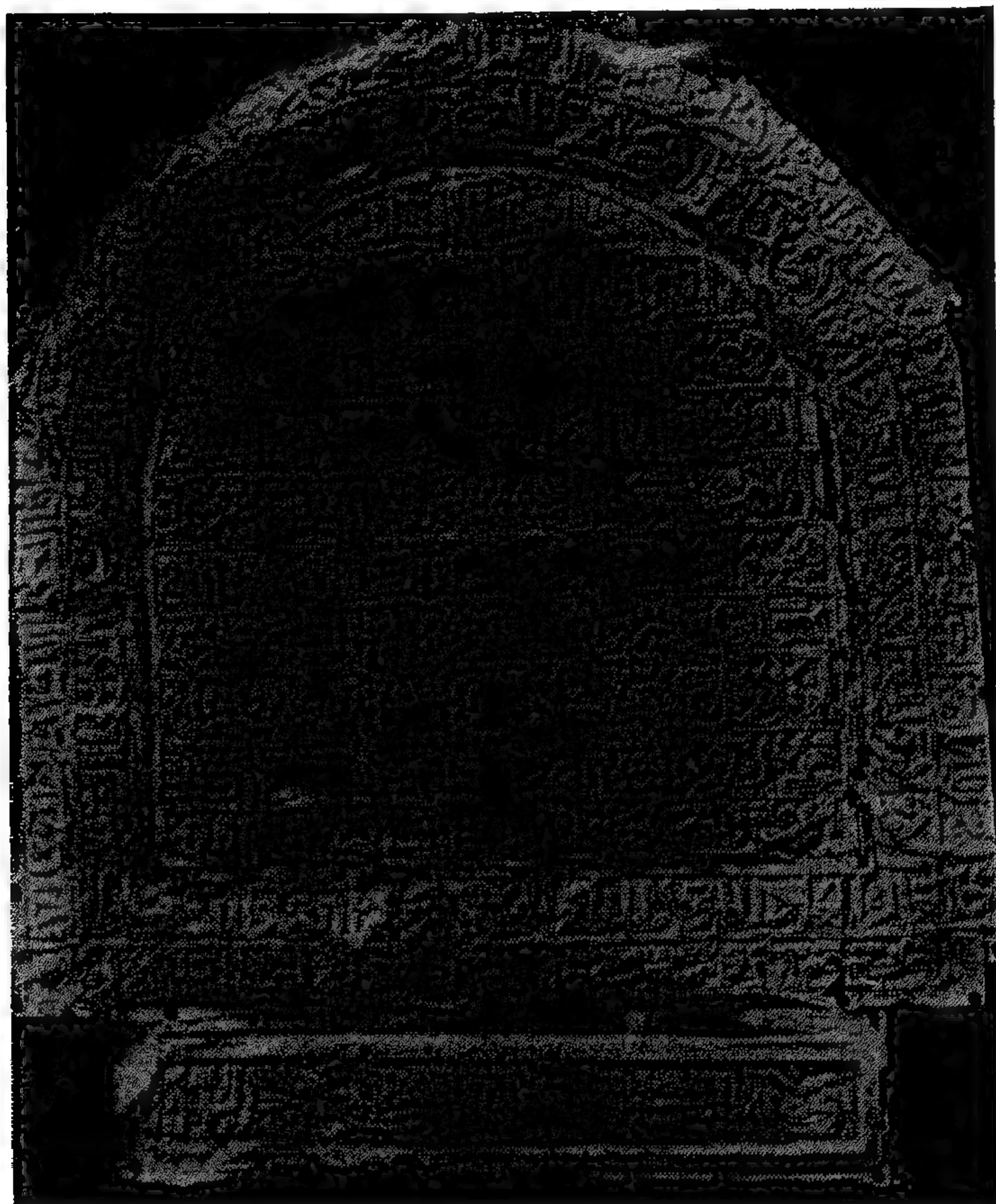
(٢) وردت نسبة جمال الدين آقوش «النجمي» أحياناً والنجيبى أحياناً أخرى . فالذهبي (دول الاسلام، ج ٢، طبعة حيدر اباد، ص ١٣٣) يدعوه النجيبى، وأبو الفدا في تاريخه، تحقيق رايسكة ج ٥، ص ٣٠ يدعوه النجمي . وورد «النجمي» أيضاً في وقفية بيبرس التي سنورها بعد قليل، كما نقلها عبد الله مخلص . كان جمال الدين آقوش مملوكاً للملك الصالح نجم الدين ايوب، ثم أصبح استاداراً له (أي مدبراً لشؤون قصره)، وانتقل الى خدمة الظاهر بيبرس في ١٩ ذي القعدة سنة ٦٥٨ (٢٦ أكتوبر ١٢٦٠) وأصبح استاداراً له أيضاً . وفي سنة ٦٦٠ أصبح كافلاً للممالك الشامية، أي نائباً للملك في الشام، ثم عزل في ربيع الأول سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م . وتوفي في ٥ ربيع الأول سنة ٦٧٧/١٢٧٨، وقد أناف على السبعين .

انظر : L.A. Mayer, Two Inscriptions of Baybers, Quarterly of the Dept. of Antiquities, Vol 2, no. 1 (1932), pp. 27-33.

١٤ . في شهور ثمان وستين وستمئة (من) الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلوة
(...)

١٥ . بولاية العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن رحال عفا الله عنه^(٣).

وفيما يلي صورة لهذا النقش :



وقد رسم هذه اللوحة المرحوم عبدالله قاسم الجزائري سنة ١٣٨٥ هـ . وفيما يلي صورة
لهذا الرسم :

(٣) تم تدقيق نص النقش بمساعدة النص الذي نشره ماير في مقاله المشار اليه اعلاه، واستفدنا من التعليقات التي وضعها ماير عليه .



والذي يبدو لنا، كما نستدل عليه من أقوال الكتبي في «فوات الوفيات» وابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» التي سبقت الإشارة إليها، أن بيبرس بنى القبة التي فوق الضريح والمسجد المجاور لها، وهما اللذان يكونان المقام الأصلي، بيد أنه طرأ على هذا المقام الأصلي زيادات وتعميرات كثيرة في عصر المماليك والعصر العثماني. يقول مجير الدين «ثم بنى بعده (أي بعد بيبرس) أهل الخير وزادوا زيادات في المسجد وحوله فحصل النفع بذلك للزائر، ثم في سنة خمس وسبعين وثمانمائة (١٤٧٠م) وسع داخل المسجد من جهة القبلة ولم تكمل عمارته إلى سنة خمس وثمانين وثمانمائة (١٤٨٠م). ثم بنى به منارة بعد الثمانين والثمانمائة (١٤٧٥)»^(٤).

(٤) مجير الدين، الانس الجليل، ١٠٢/١.

وجرت في العصر العثماني تعميرات واضافات للمقام في سنة ١١٥٠/١٧٣٧ ، وفي سنة ١٢٣٥/١٨١٩ ، وفي سنة ١٣٠٣/١٨٨٥ . ويشير إلى التعمير الأول نقش كتابي فوق المدخل الغربي الرئيسي لسور المقام.^(٥) أما التعمير الثاني فقد تمّ بإشارة من عبدالله باشا والي عكا وصيدا^(٦) . ويشير إليه نقش على باب المقام نفسه (أي القبة والمسجد) يفيد أن عبدالله باشا عمّر المكان سنة ١٢٣٥هـ/١٨١٩م^(٧) .

أما التعميرات والاضافات المعمارية التي حدثت سنة ١٣٠٣/١٨٨٥ فقد جرت بمبادرة مفتي الديار المقدسية السيد محمد طاهر بن مصطفى الحسيني^(٨) . ويبدو أن حالة المقام قبل هذه التعميرات كانت سيئة . فقد وصفه تشارلز وارن ، المهندس الذي كان يعمل مع صندوق استكشاف فلسطين ، في السبعينات من القرن الماضي ، بأنه كان في حالة خراب^(٩) . وردّد القول نفسه العالم الأثري الفرنسي كليرمون جانو الذي زار المقام في السبعينات إذ قال أنه كان في حالة خراب تام .^(١٠)

ولا شك أن هناك تعميرات واضافات أخرى كثيرة ، صغيرة وكبيرة ، تمّت في المقام طوال القرون السبعة الماضية ، لا نهدف إلى استقصائها هنا ، فهي تحتاج إلى بحث معماري تاريخي خاص .

وفي عهد العثمانيين اتخذ المقام صورته المعمارية النهائية وتحول بفعل الاضافات الكثيرة والتعميرات الواسعة إلى مجمع بنائي ضخم أصبح يتسع لعدد كبير من الزوار الذين كانوا يفدون اليه أيام الموسم .

صفة المقام في الوقت الحاضر

تحدثنا في الفصل الأول عن المنطقة الواقعة بين القدس وأريحا بصورة عامة ، والتي يقع في الجزء الشرقي منها القريب من أريحا والبحر الميت مقام النبي موسى عليه السلام ،

(٥) عبدالله كلبونة ، تقرير مرفوع الى وزير الأوقاف بعمان (مقام النبي موسى - أريحا) بتاريخ ١/٨/٩٨٣ ، ص ٢ .

(٦) كان عبدالله باشا والياً على عكا بين سنتي ١٢٣٤ و ١٢٤٧/١٨١٨ و ١٨٣١ .

(٧) T. Canaan, Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine, p. 194.

(٨) تقرير عبدالله كلبونة المشار اليه اعلاه ، ص ١ .

(٩) Charles Warren, Underground Jerusalem, p. 281.

(١٠) Clermont - Ganneau, Archeological Researches in Palestine, Vol II, p. 47.

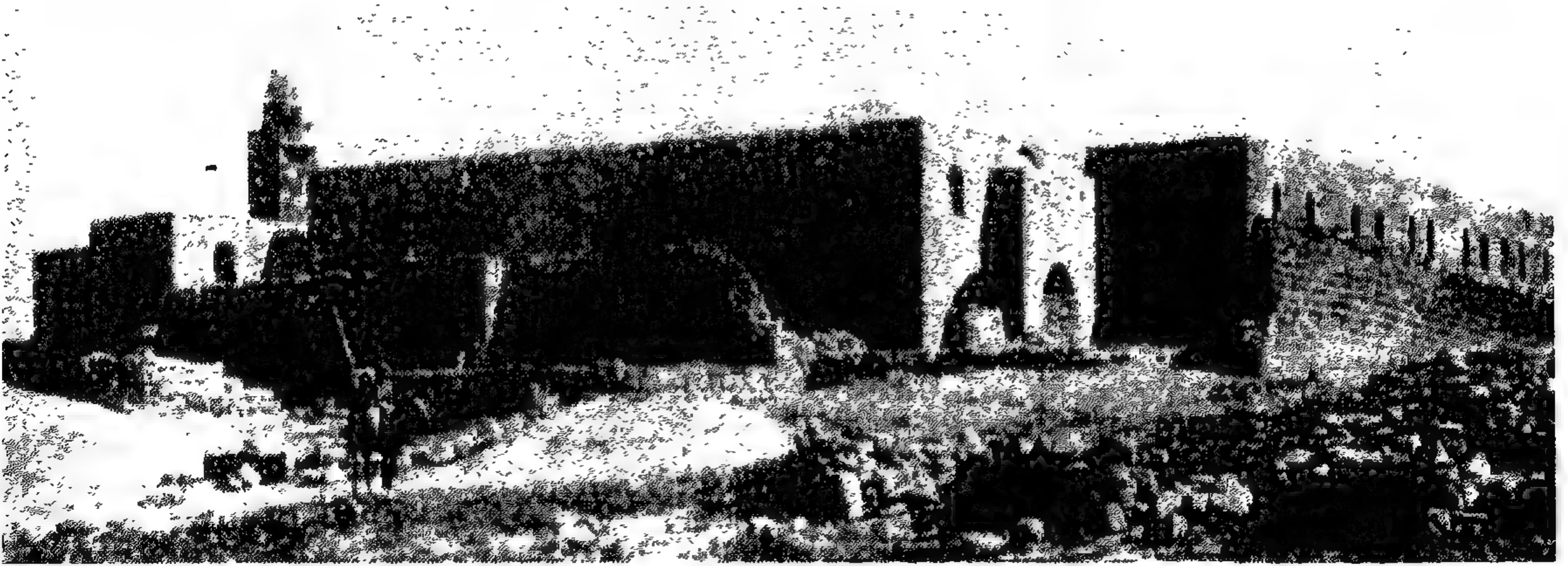
في محاذاة الكيلو متر ٢٨ على الطريق الرئيسي بين القدس وأريحا، وعلى بعد كيلومترات قليلة من هذا الطريق . وستحدث الآن عن منشآت المقام من وجهة معمارية ونؤيد حديثنا بصور فوتوغرافية ومخططات .

يقع المقام على تلة ترابية مخروطية الشكل ، يتكون ترابها من صلصال وجير . وهي ليست حمراء اللون ولا هي بكثيب من الرمل ، إلا أن منطقة مجاورة لها من الشمال هي منطقة الحان الأحمر، تتكون من تربة حمراء ، وهذا في ظننا هو السبب الذي دعا إلى تسمية منطقة النبي موسى نفسها بالكثيب الأحمر .

إن الطريق الفرعي الذي يتجه إلى النبي موسى جنوباً من الطريق الرئيسي من القدس ، يصل إلى مقام النبي موسى من جهة الغرب ، ولذلك فإن الزائر يصادف أول ما يصادف الباب الغربي للمقام ، وهو الباب الرئيسي له .

وهذا الباب هو باب في سور المقام الغربي وذلك أن هناك سوراً يحيط بالمقام من جهاته الأربع ، الغرب والشمال والشرق والجنوب ويضم المنشآت الكبيرة القائمة فيه ، بحيث يبدو المقام من بعيد كقلعة من القلاع . وبين أيدينا الآن ثلاث صور للمقام أخذت في أزمنة مختلفة نوردتها الآن :

الصورة الأولى قديمة أخذت في أواخر القرن التاسع عشر ، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، وهي من ضمن مجموعة السلطان الخاصة ^(١١) وقد التقطت للمقام من الزاوية الجنوبية الغربية .



صورة (١)

(١١) عن كتاب : Jacob Landau, Abdul Hamid's Palestine, page, 69.

والصورة الثانية أخذت للمقام سنة ١٩٤٢ من الزاوية الجنوبية الغربية أيضاً،
ويظهر فيها في مواجهة الكاميرا السور الجنوبي والسور الغربي

الشمال

الشرق



الغرب

الجنوب

(صورة ٢)

أما الصورة الثالثة فهي صورة حديثة نسبياً أخذت للمقام في السبعينات من هذا
القرن من جهة الشرق، ويظهر فيها في مواجهة الكاميرا السور الشرقي للمقام :

الغرب

الجنوب

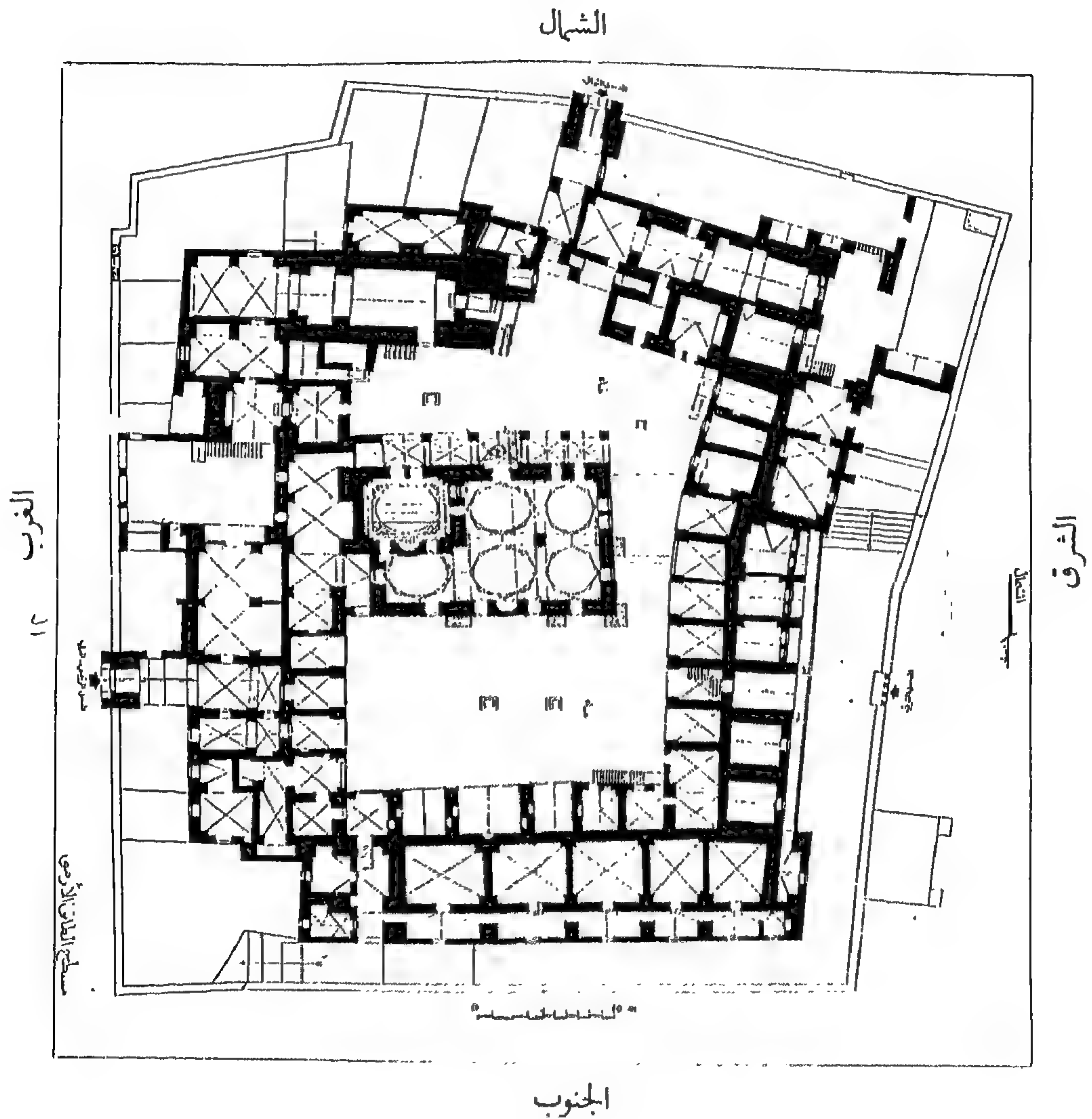
الشمال



الشرق

صورة (٣)

وهذه الصورة أوضح من سابقتها، ويظهر فيها الطريق الفرعي المؤدي إلى المقام من جهة الغرب. ويظهر في الصور الثلاث السور الذي يحيط بالمقام، والذي يتخذ شكلاً قريباً من المربع، مع بعض الانحناءات هنا وهناك خصوصاً عند الزاوية الشمالية الغربية. (انظر المخطط رقم ١ فيما يلي).

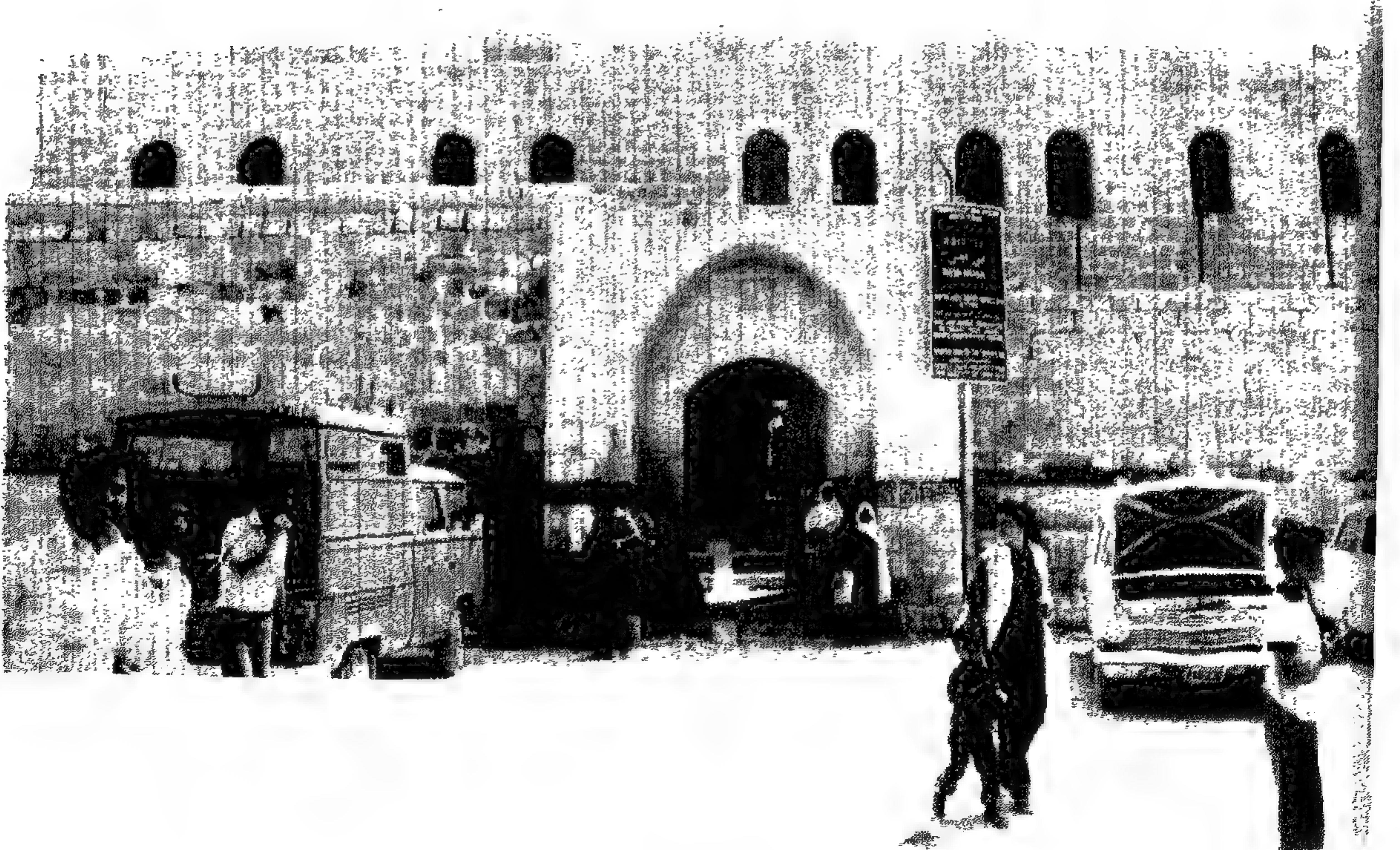


المخطط رقم ١
مسطح الطابق الأرضي

والأطوال التقريبية للأسوار هي كما يلي :

السور الشرقي ٦٨ متراً، السور الشمالي ٧٤ متراً، السور الغربي ٧٠ متراً، والسور الجنوبي ٥٥ متراً. أي أن هذا السور الأخير هو أقصرها، بينما تكاد الأسوار الثلاثة الأخرى تتساوى في الطول.

وتبلغ مساحة المسطح داخل الأسوار زهاء أربعة دونمات ونصف (٤٥٠٠ متر مربع). بينما يبلغ عدد الأبواب التي تُفُضي إلى المقام خمسة: اثنان منها في السور الغربي (أحدها الباب الرئيسي) واثنان في السور الشمالي وواحد في السور الشرقي. وباستثناء الباب الغربي الرئيسي فإن الأبواب كلها مغلقة الآن. وقبل أن ندخل المقام لنلق نظرة على الأسوار الأربعة بادئين بالسور الغربي. أهم معالم السور الغربي الباب الرئيسي للمقام، وهو يقع على بعد حوالي ٢٥ متراً من الجهة الجنوبية من هذا السور، غير أن هناك باباً آخر (وهو مغلق الآن) في الطرف الشمالي للسور أيضاً. وفيما يلي صورة للباب الغربي الرئيسي أخذت في أوائل الثمانينات.

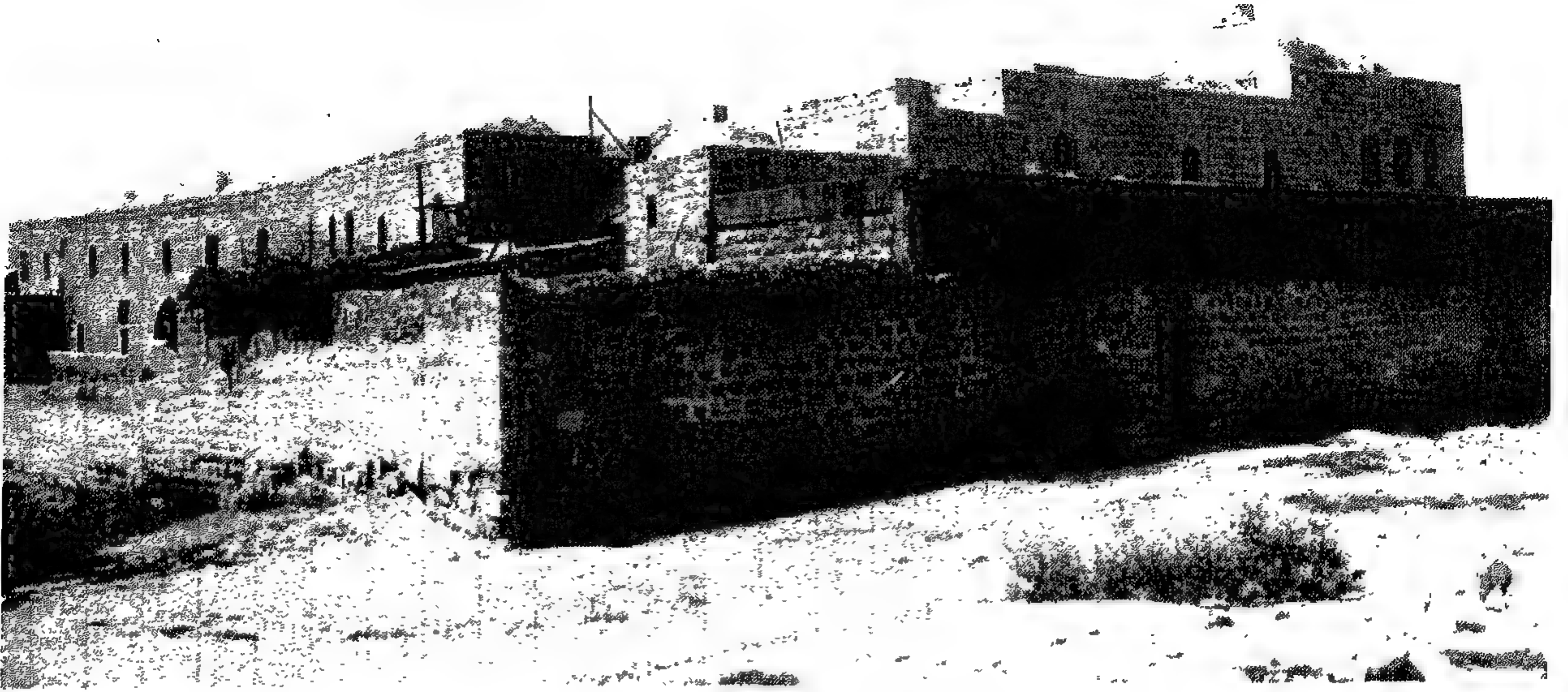


الصورة (٤)

ويلاحظ وجود نقش كتابي فوق هذا الباب ، وهو واحد من نقوش ثلاثة موجودة في
المقام . ويشير هذا النقش إلى إضافات وترميمات جرت في المقام سنة ١١٥٠هـ / ١٧٣٧م .
ولنتقل بعد ذلك إلى السور الشمالي الذي تحف به الآن أكوام من الأتربة والأنقاض
كما يظهر في الصورتين التاليتين لهذا السور .



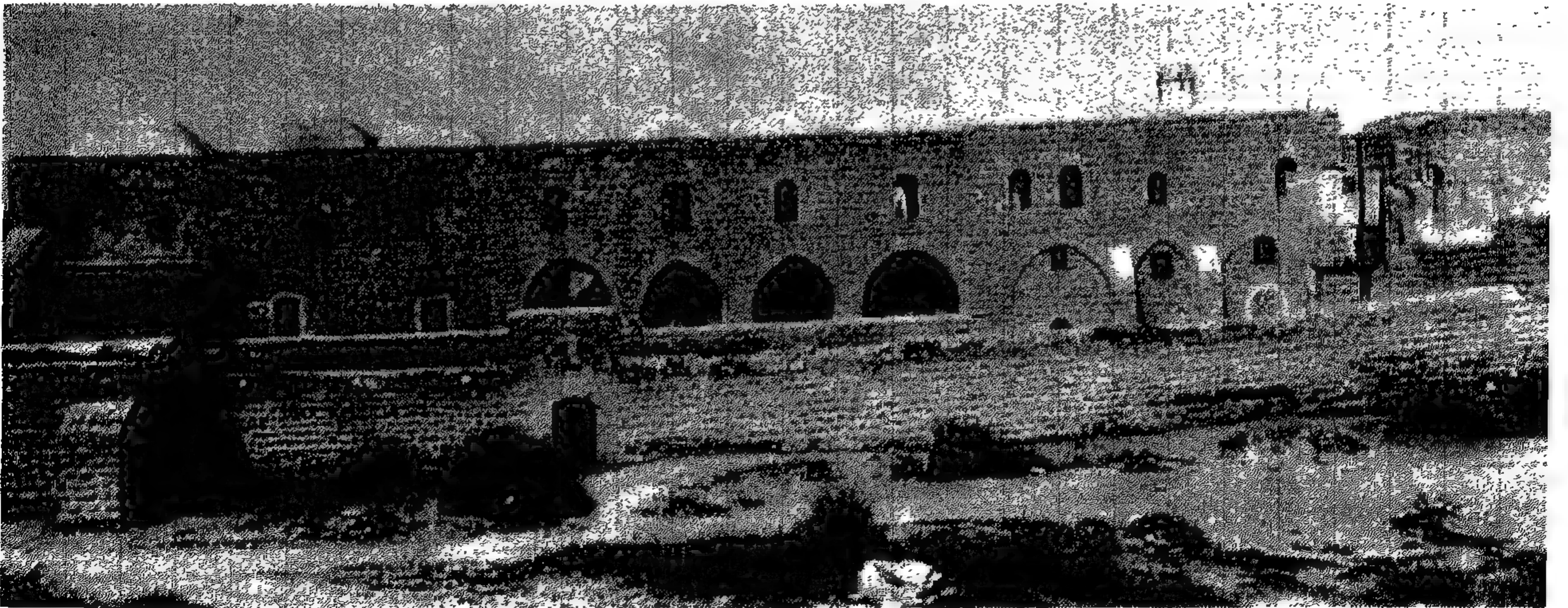
الصورة رقم (٥) ، السور الشمالي



صورة رقم (٦) الطرف الشرقي من السور الشمالي

ويظهر بابان في السور: باب رئيسي وباب فرعي ، كما ذكرنا سابقاً .

وترينا الصورة التالية الصورة رقم (٧) السور الشرقي وفيه باب . وفي آخره من جهة الجنوب يظهر بناء صغير مربع خارج السور كان يستعمل فرناً للمقام .

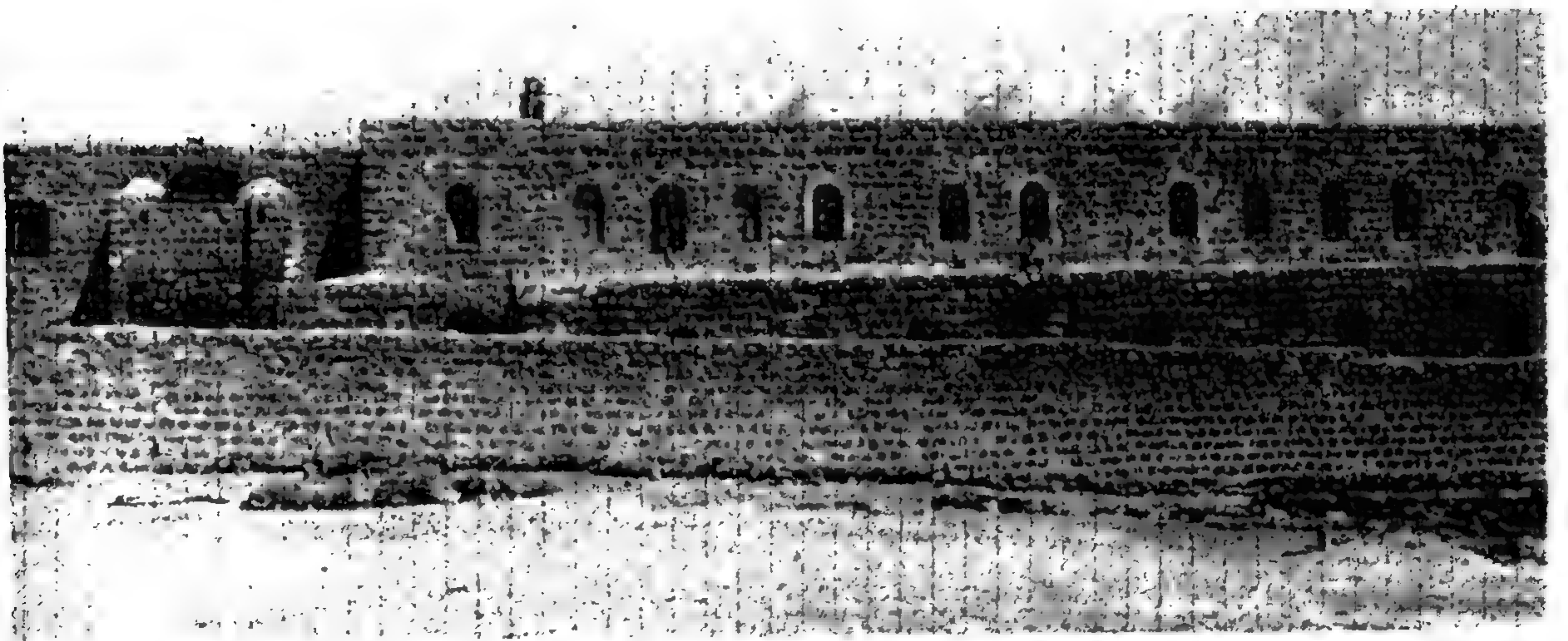


الصورة رقم (٧) / السور الشرقي

وتمثل الصورة رقم (٨) السورين الشرقي والجنوبي . أما الصورة رقم (٩) فترينا السور الجنوبي وحده . وليس في هذا السور أي باب .



الصورة رقم (٨) / السوران الشرقي والجنوبي



الصورة رقم (٩) السور الجنوبي (تكملة ما ظهر منه في الصورة رقم ٨).

ولنتقل بعد الحديث عن الأسوار إلى الحديث عما بداخلها من منشآت . وهذه المنشآت تقسم في الحقيقة الى قسمين ، القسم الأول والأهم هو المقام نفسه (الضريح والمسجد) الذي يقع في الوسط ، والقسم الثاني ، هو الغرف والمنشآت الأخرى المحيطة من الجهات الأربع كما يظهر لنا في المخطط رقم (١) التالي .

ولنبداً الحديث عن المقام نفسه الذي يظهر في وسط المخطط : أي الضريح والمسجد الملاصق له ، وتغطيها ست قباب ، وتفصلها عن المباني والمنشآت الأخرى ثلاث ساحات من الجنوب والشرق والشمال .

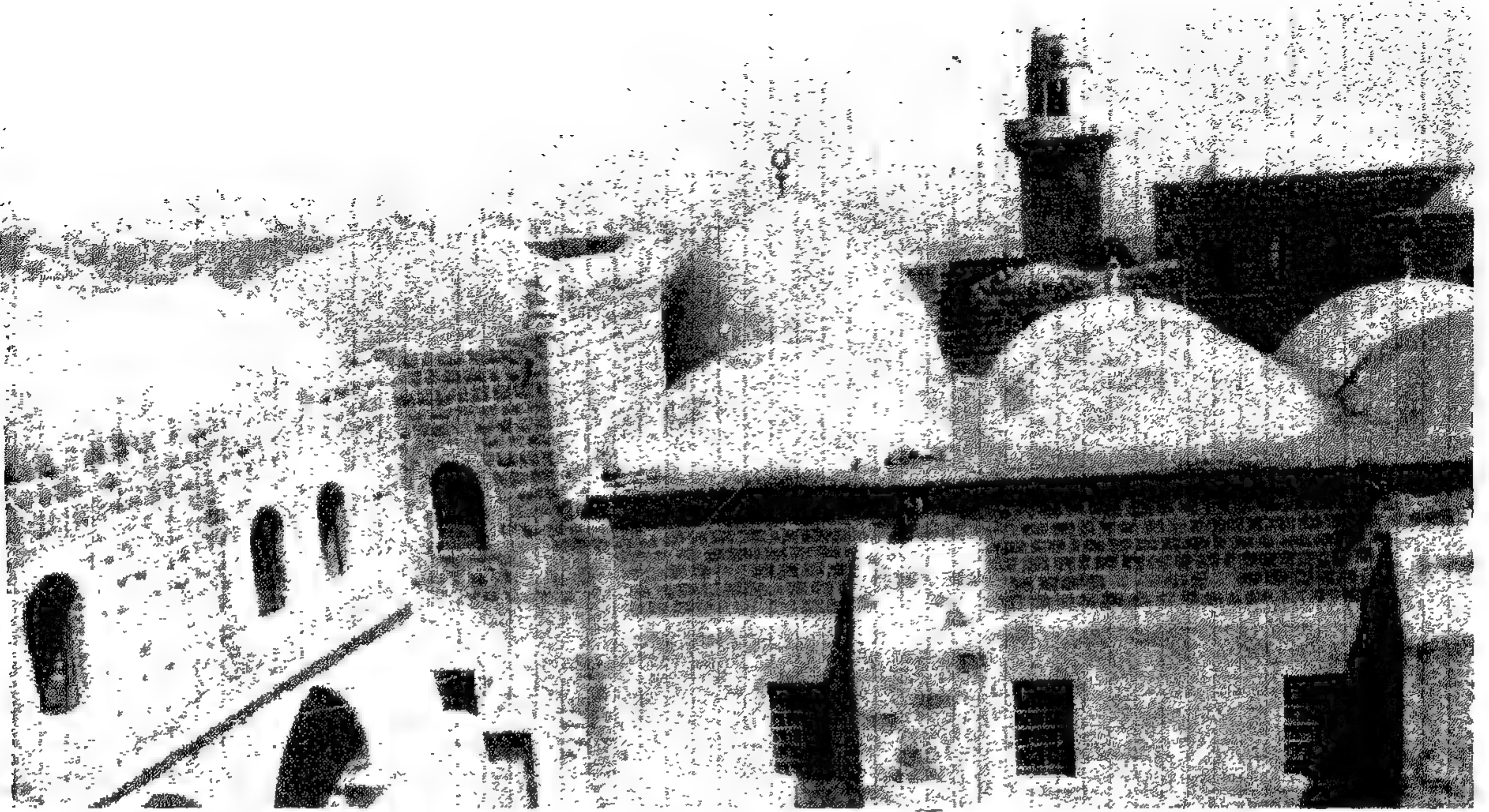
ندخل إلى المقام من الباب الغربي الرئيسي الظاهر في المخطط ، ونسير في ممر يفضي إلى ساحة طولها حوالي ٢٢ متراً وعرضها ١٥ متراً وفي وسطها بئر ذو فتحتين . عندما ندخل الساحة يكون الضريح والمسجد على يسارنا والغرف على يميننا ، ونجتاز هذه الساحة إلى ساحة أخرى ، تقع شرقي الضريح والمسجد ، وهذه تفضي بدورها إلى ساحة ثالثة تقع شمالها وفي هذه الساحة الأخيرة بئران .

واليكم صورة الساحة الأولى التي ندخل منها إلى المقام .



الصورة رقم (١٠) الساحة الرئيسية

في هذه الصورة يظهر الجدار الجنوبي للضريح والمسجد وفيه نوافذ عليها قضبان من حديد تظهر أيضاً في الصورة التالية :



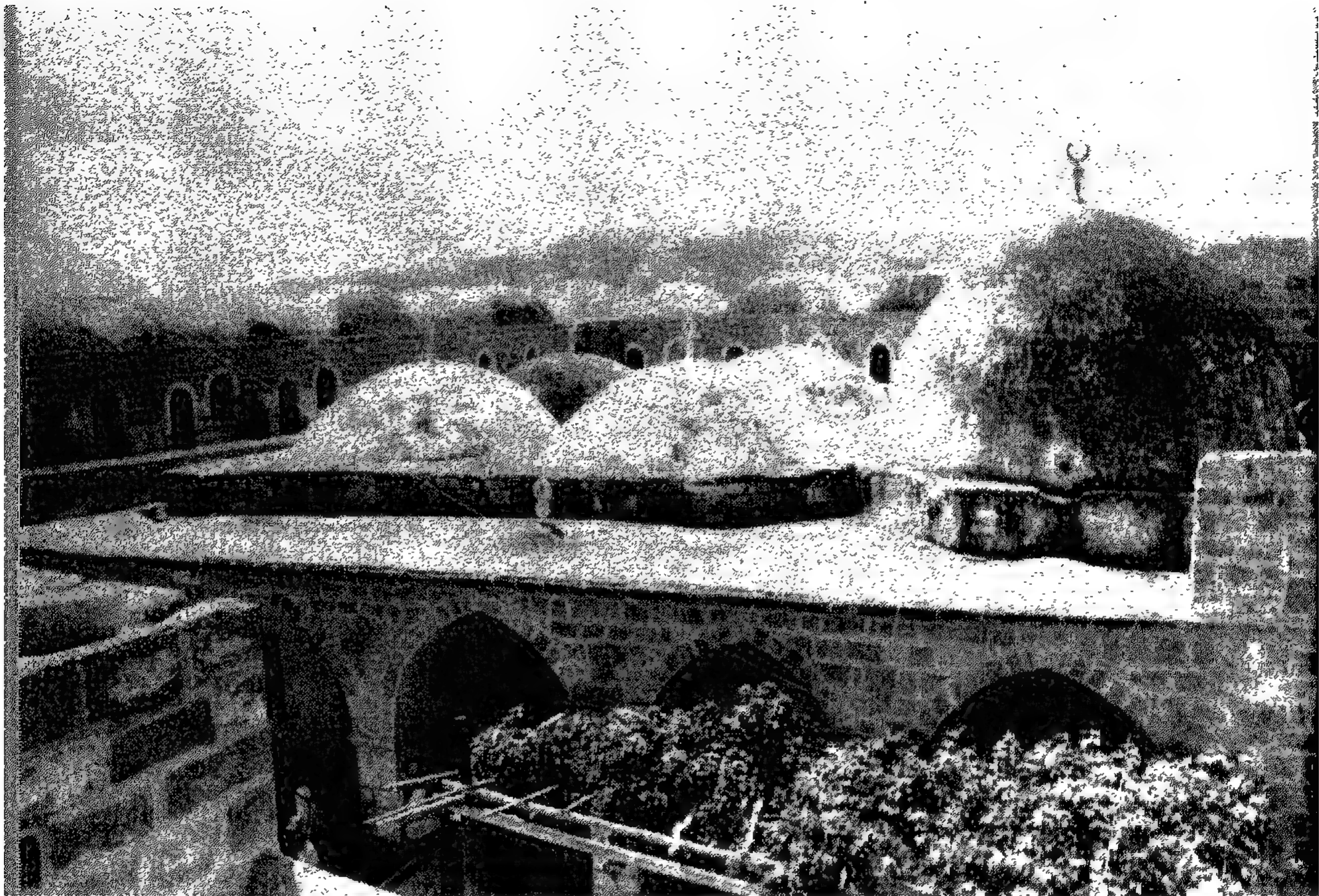
الصورة رقم (١١)

ولنتحدث الان عن الضريح والمسجد ببعض التفصيل :

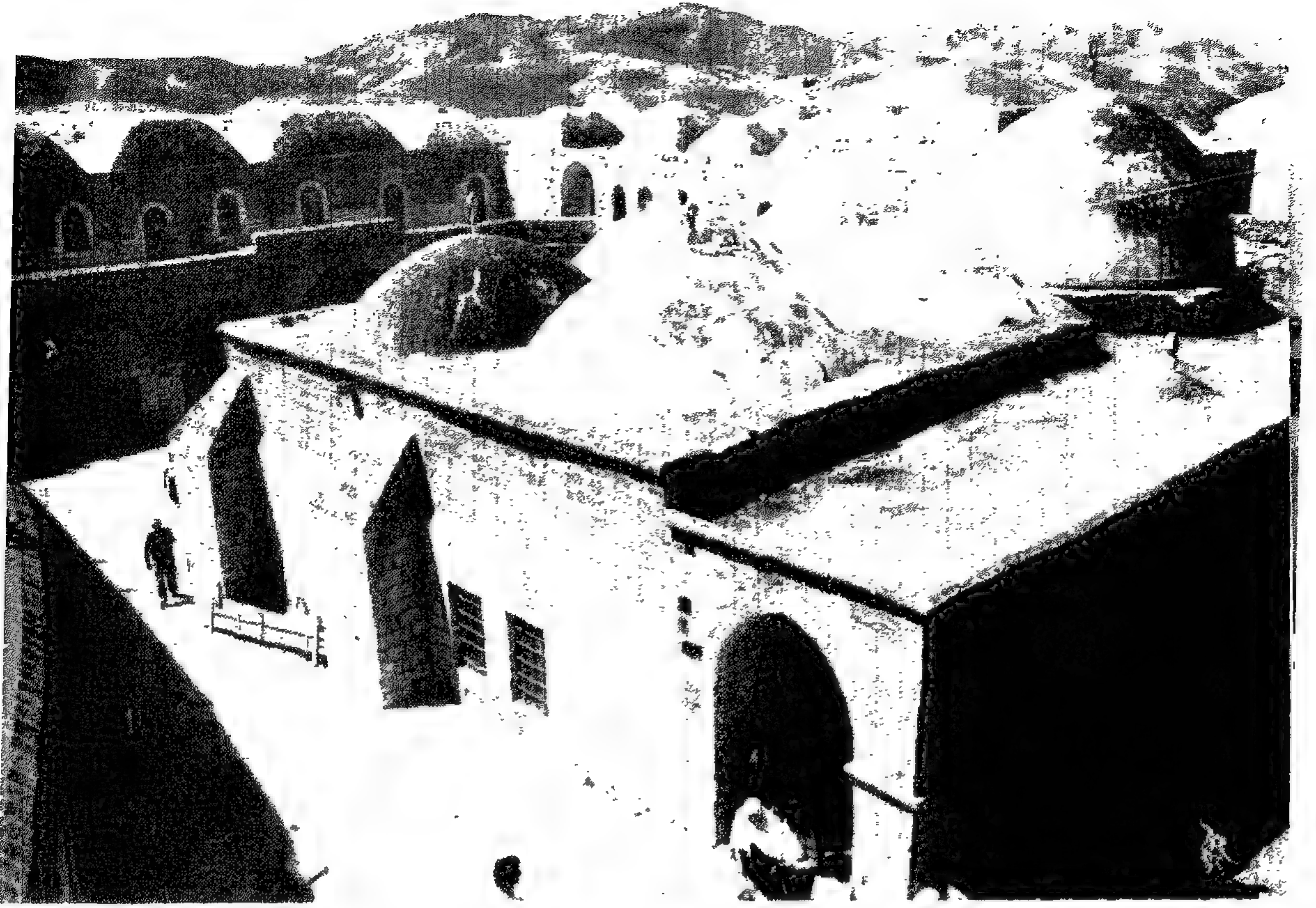
نرى في المخطط (رقم ١) ، كما أسلفنا ، الساحات الثلاث المحيطة بالضريح والمسجد من الشمال والشرق والجنوب ، كما نرى رواقاً يحف بمبنى المسجد والضريح من الناحية الشمالية . ويقع المدخل المؤدي لهما في منتصف هذا الرواق . ويلفت نظرنا فوق المدخل نقش يفيد أن عبد الله باشا والي صيدا وعكا (١٢٣٤ - ١٢٤٨ / ١٨١٨ - ١٨٣٢) قد عمر المقام سنة ١٢٣٥ هـ / ١٨١٩ م . وعندما نجتاز المدخل يواجهنا المسجد ، الذي يقع الضريح في زاويته الشمالية الغربية ، أي أن غرفة الضريح تكون على يميننا بعد أن ندخل المسجد ، وهي تشكل جزءاً صغيراً منه ، إذ تبلغ مساحة المسجد (بما فيه غرفة الضريح) من الداخل حوالي ١٥٠ متراً مربعاً (١٥ × ١٥ م) ، بينما تبلغ مساحة غرفة الضريح ٣٠ متراً مربعاً $\frac{1}{4} \times ٥$ م). والضريح فيها على مستوى الأرض .

ونلاحظ أن غرفة الضريح لها قبة عالية تميزها عن القباب الخمس الضحلة التي تغطي سطح المسجد . وهذه الغرفة نافذة واحدة ذات قضبان حديدية ولها باب صغير في

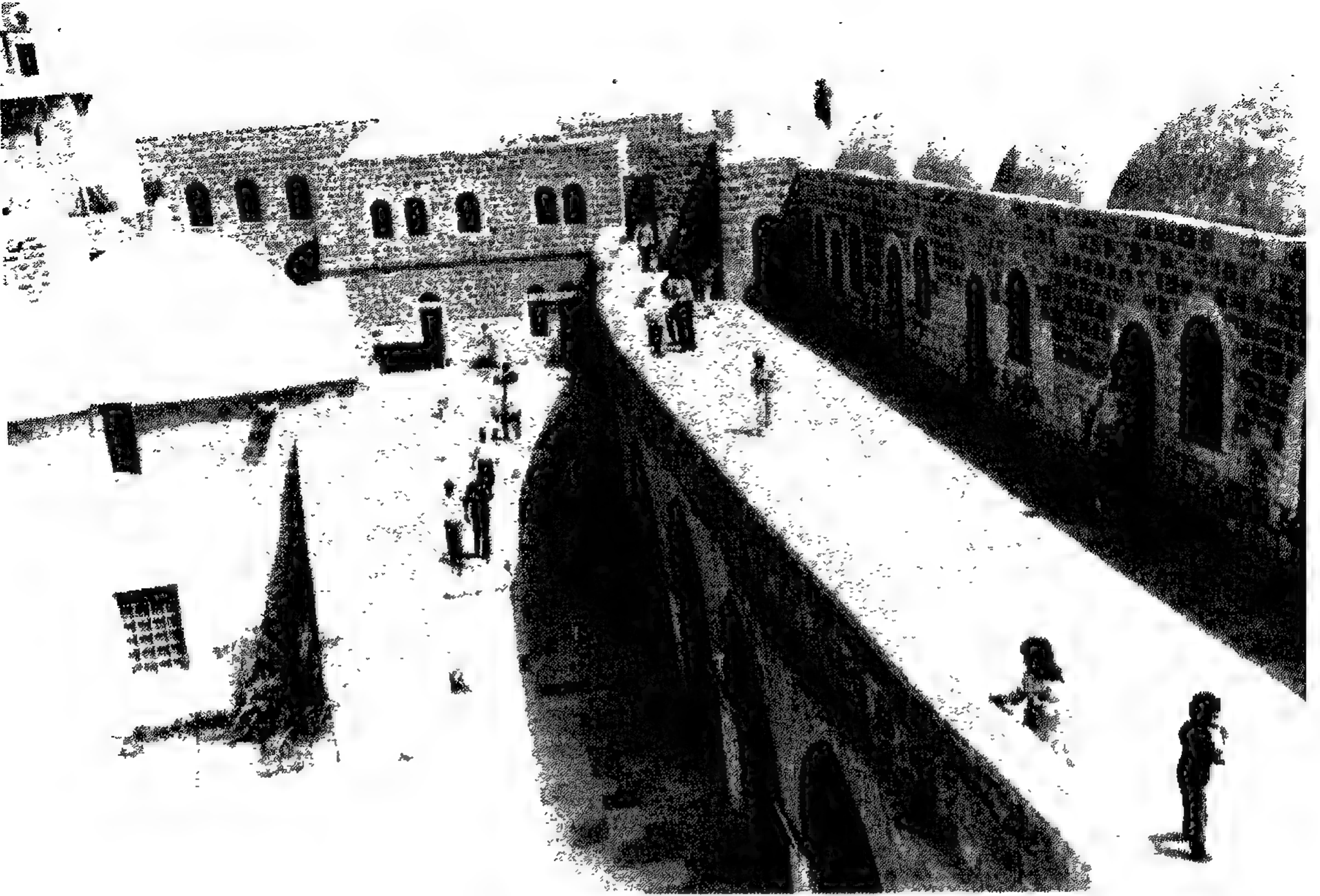
جدارها الشرقي ندخل منه إلى الضريح . وفي الطرف الجنوبي من هذا الباب نرى لوحة
الرخام التي كتب عليها نقش التأسيس الذي يشير إلى بناء بيمرس للمقام ، والذي أوردنا
نصه أعلاه . وفيما يلي ثلاث صور للمسجد والضريح أخذت من جهات مختلفة :



الصورة رقم (١٢) ونرى فيها منظر غرفة الضريح والمسجد
من جهة الشمال والرواق الذي يلاصقه من هذه الجهة



الصورة رقم (١٣) يظهر فيها الجداران الشمالي والشرقي للمقام
(الضريح والمسجد) وقبة الضريح العالية، والقباب الخمس التي تغطي المسجد.



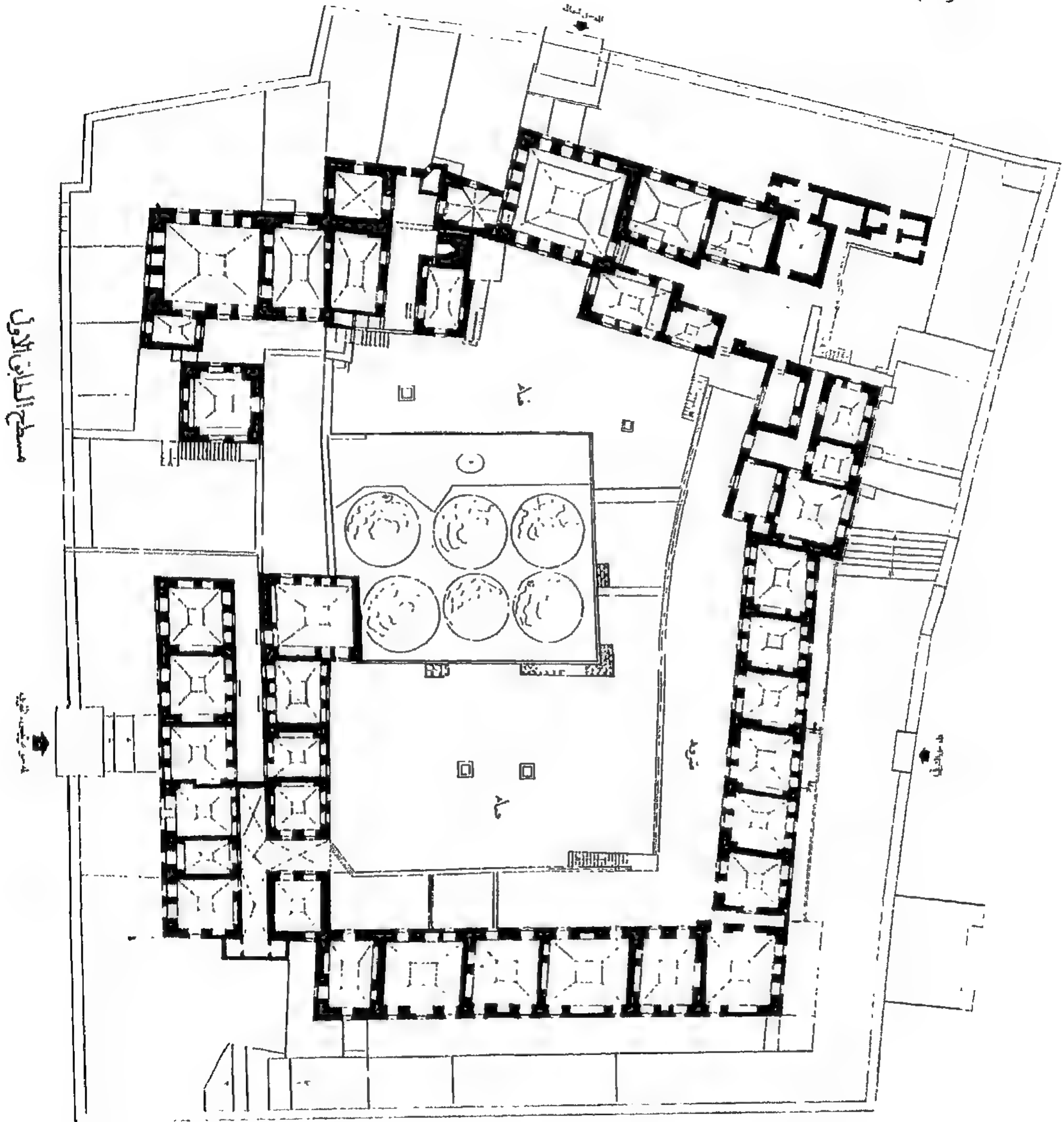
الصورة رقم (١٤) صف الغرف التي تحيط بالمقام (الضريح والمسجد) من جهة الشرق.
وجزاء من حائط المقام الجنوبي من جهته الشرقية.

وننتقل الآن الى القسم الثاني، وهو المنشآت المحيطة بالضريح والمسجد من الجهات الأربع. ويتألف هذا القسم من غرف للنوم وقاعات ومطابخ وغرف للتخزين وفرن واسطبل ومنازة أو مثذنة ومرافق أخرى. ونبادر إلى القول إن هذه الغرف تقع في مبان من ثلاثة طوابق في الجهات الأربع: طابق أرضي (المخطط رقم ١)، وطابق أول (المخطط رقم ٢)، وطابق تسوية (المخطط رقم ٣).^(١٢)

ويبلغ عدد الغرف ٣٠٠ غرفة.

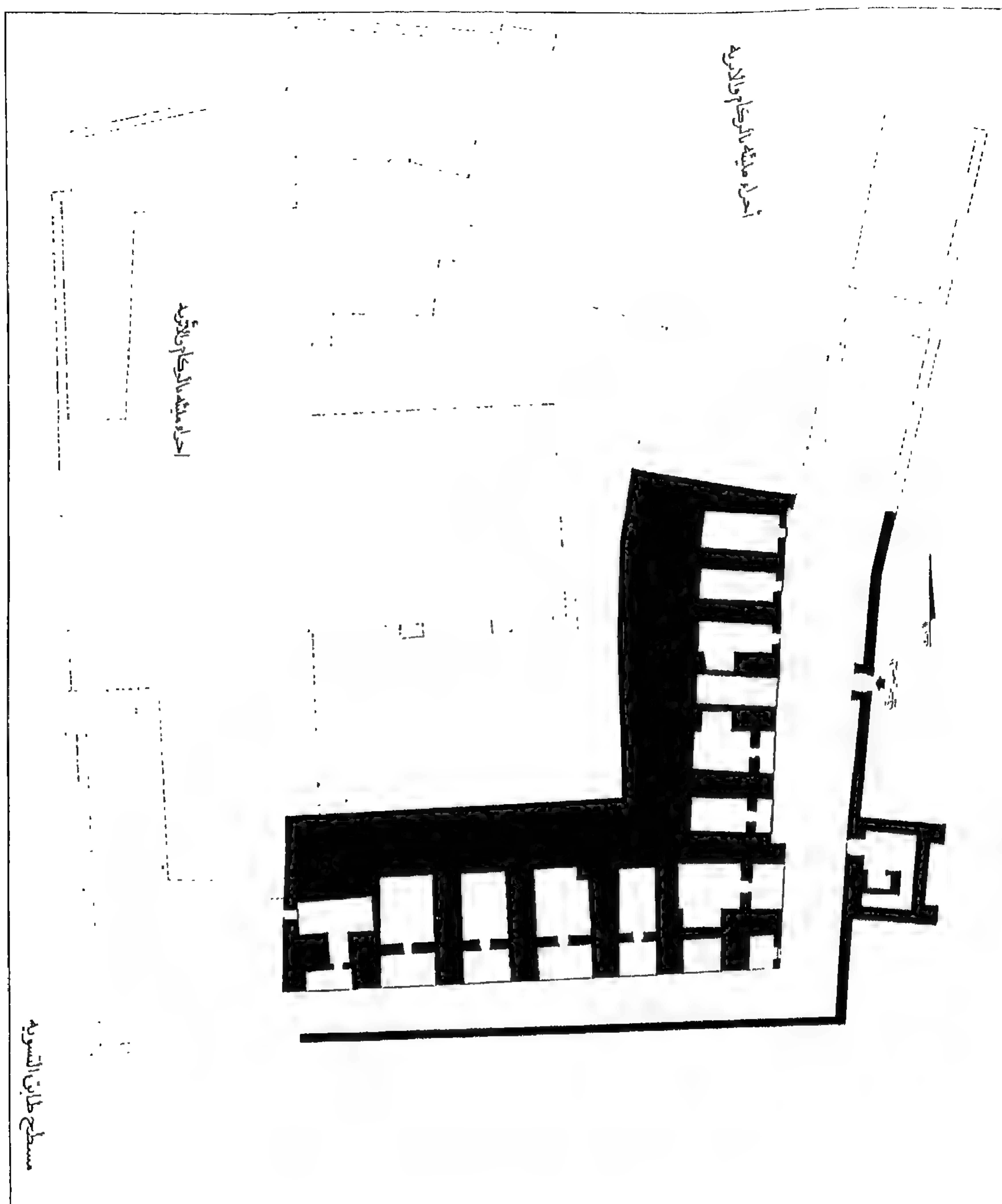
(١٢) هذه المخططات من اعداد ادارة الأوقاف بالقدس، وقد زودتنا بها مشكورة وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية بعمان، وقد قام بتصغيرها مكتب المهندس بلال حماد في عمان.

وفيما يلي صورتان للمخططين رقم (٢) ورقم (٣) (الطابق الأول وطابق
التسوية).^(١٣)



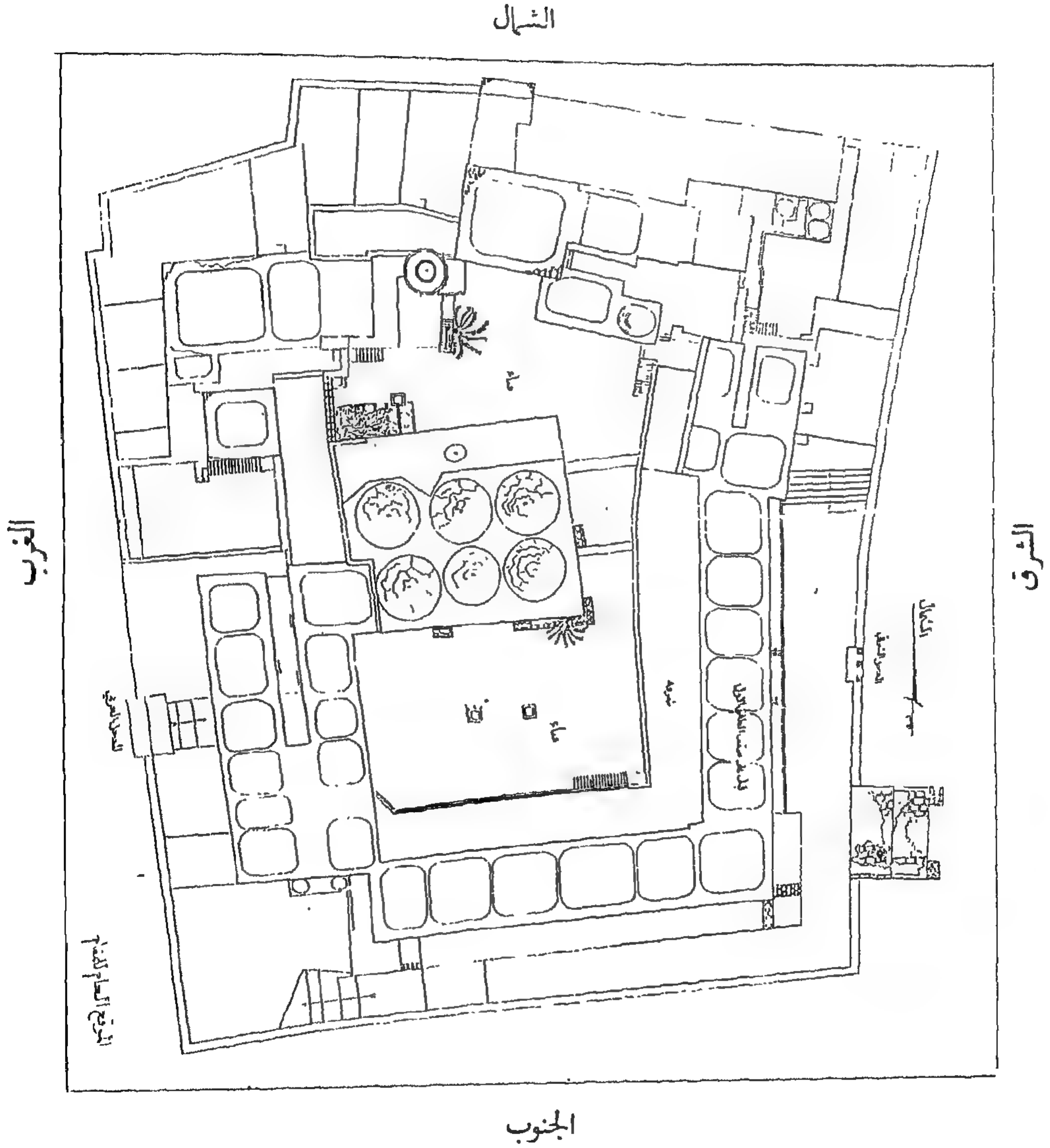
المخطط رقم ٢ : مسطح الطابق الأول

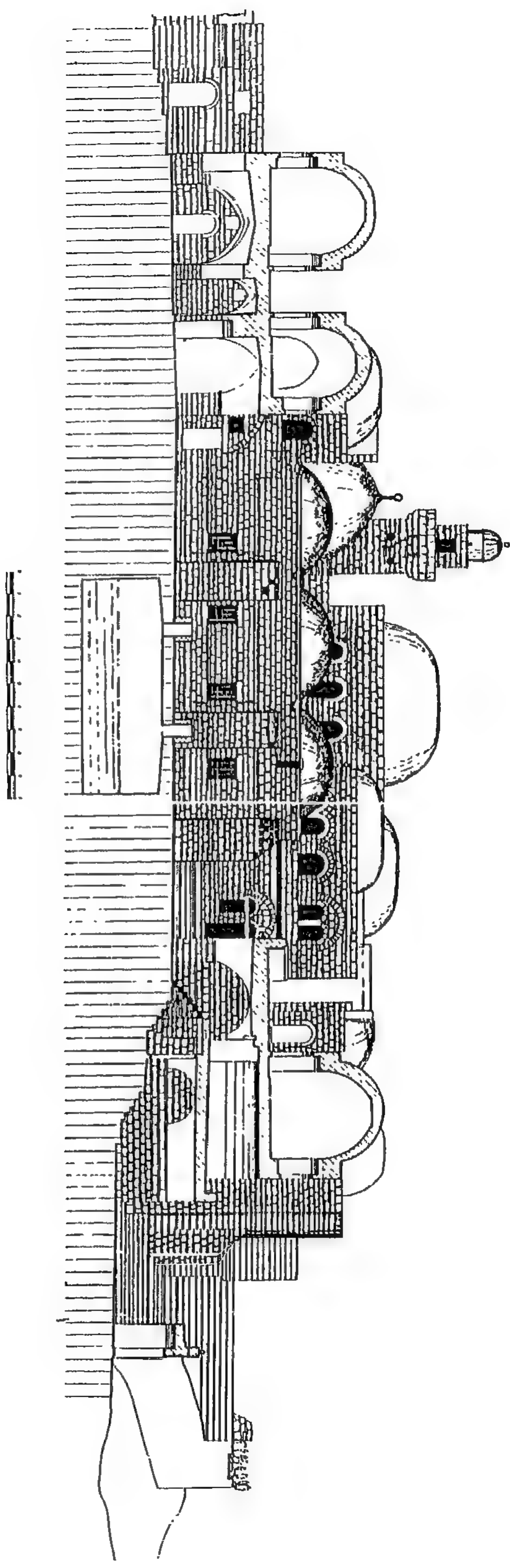
(١٣) مقياس الرسم في المخططات الأصلية هو (١/١٠٠) والرسامون : حسين كاتبة، وتوفيق الشريف، ومرشد
الجميل. والمهندس : بسام الحلاق.
وقد تمّ الرفع عن الطبيعة في نيسان ١٩٨١ م.



المخطط رقم ٣ مسطح طابق التسوية من الجهتين الجنوبية والشرقية

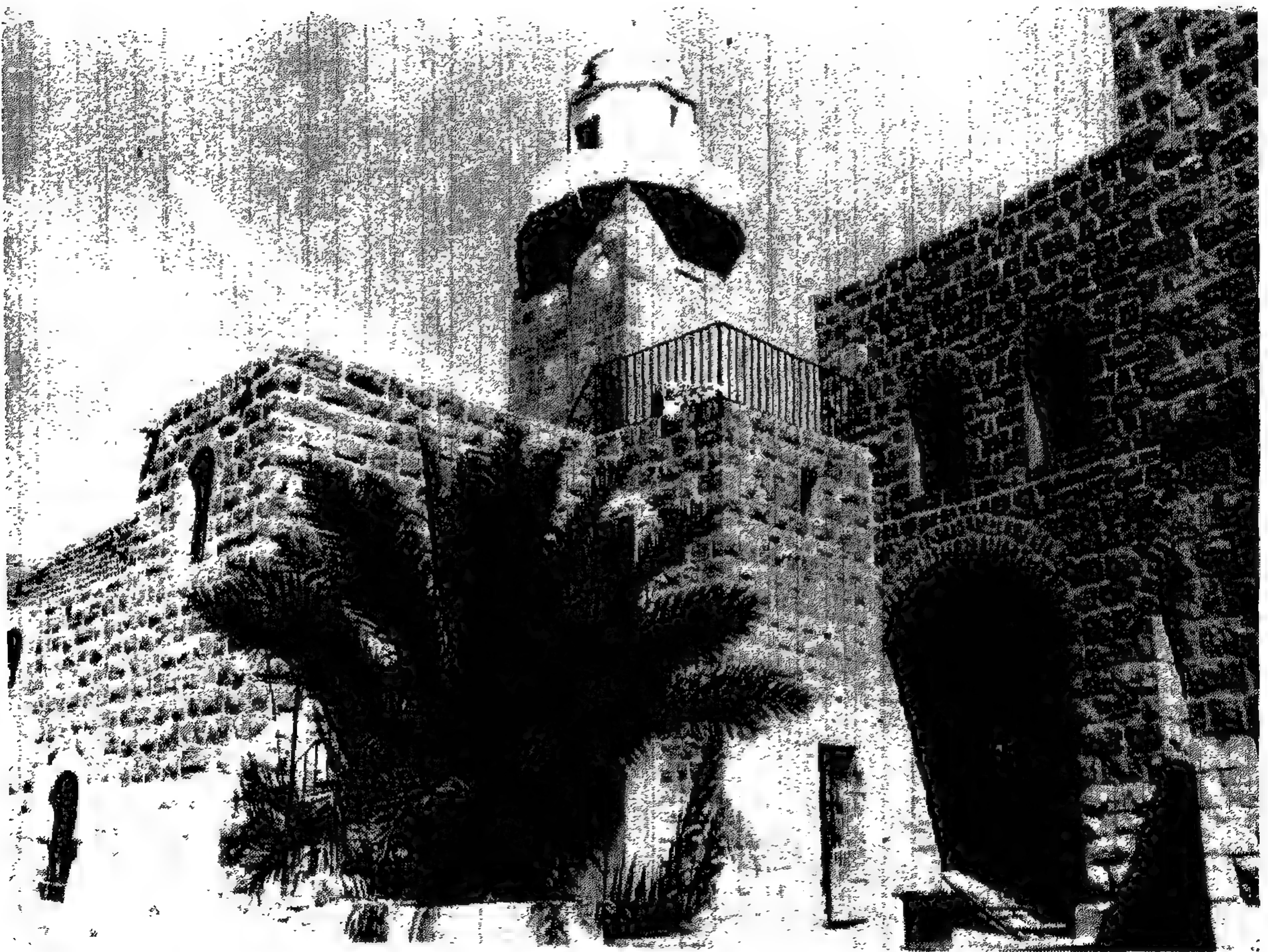
واليكم فيما يلي مسطوحاً جويّاً لمنشآت المقام (المخطط رقم ٤)
وكذلك مقطعاً عرضياً له : [المخطط رقم ٥]



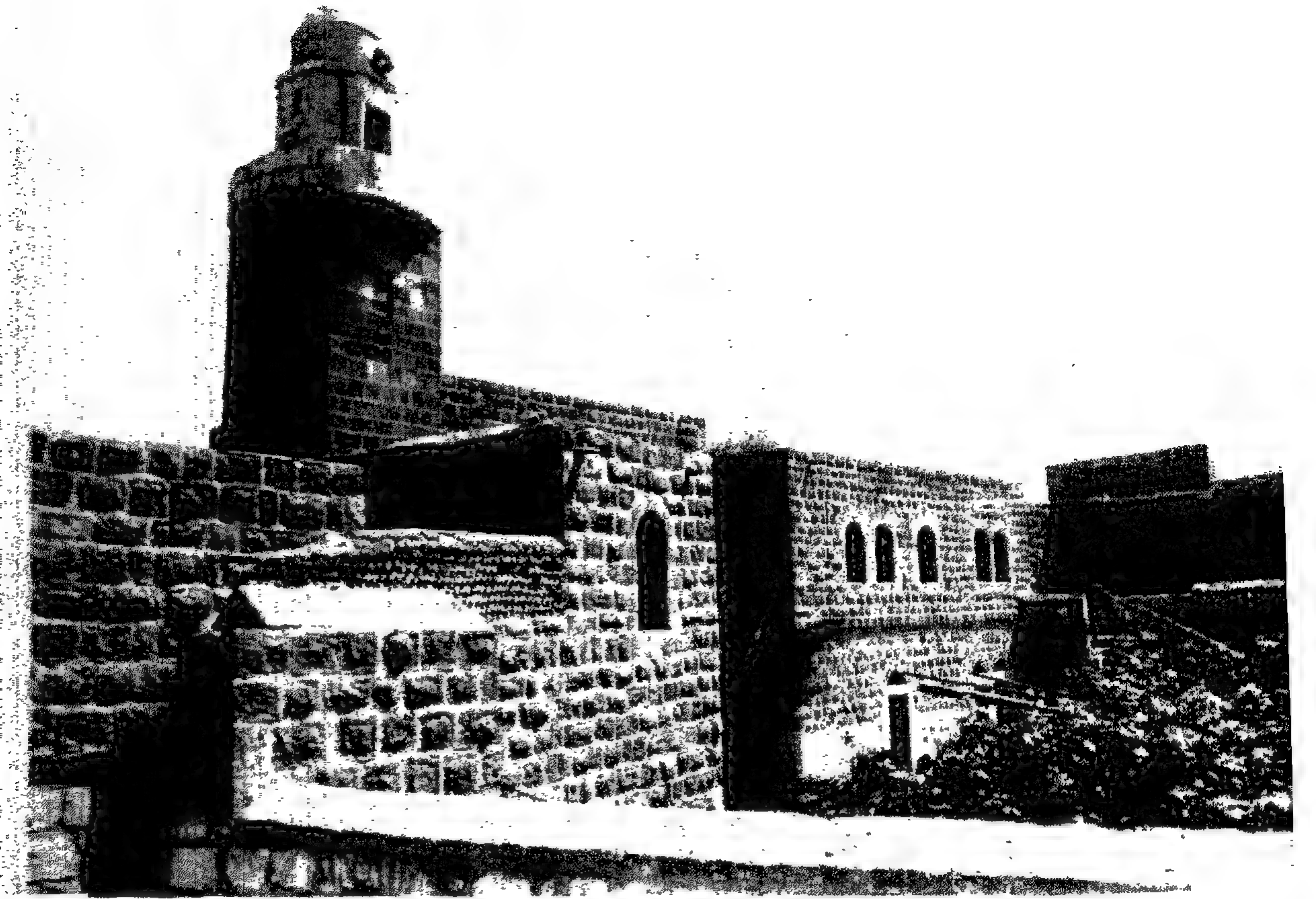


إدارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - القدس
 قسم الآثار الإسلامية
 مقام النبي موسى عليه السلام
 قطاع في المدخل الغربي والشرقي
 المهندس بسام الحلاق . الرسام حسين كاتيه
 تم الرفع عن الطبيعة ١٩٨١

تتكون غرف الطابق الأرضي من صفين أو ثلاثة صفوف حول الساحة المكشوفة . وتفتح الغرف الأمامية على الساحة . وهناك في هذا الطابق مطبخان كبيران وغرف للتخزين واسطبلات وغرف لحزن الحطب بالإضافة إلى الغرف المخصصة لاقامة الزوار . وترتفع من هذا الطابق المئذنة التي بنيت حوالي سنة ٨٨٠هـ / ١٤٣٦م . وهي تقع على بعد عدة أمتار من المدخل الشمالي ، وعلى يمين الداخل منه وعلى مقربة من الزاوية الشمالية الغربية للمجمع البنائي . وتظهر المئذنة في شكل دائرة صغيرة تحيط بها دائرة أكبر على المخطط رقم (٤) . وفيما يلي صورتان للمئذنة من داخل المقام ومن خارجه .



الصورة رقم (١٥) : صورة المئذنة من داخل المقام .



الصورة رقم (١٦) : صورة المئذنة من خارج المقام.

أما الطابق الأول فيتكون من حوالي ٥٠ غرفة من الغرف المخصصة للنوم ولاستقبال الزوار. ويصعد إلى هذا الطابق بواسطة سلالم متعددة مقامة في زوايا الساحة المكشوفة. وغرف هذا الطابق أصغر عموماً من غرف الطابق الأرضي وتغطيها قباب عددها ٣٥ قبة (عدا قباب الضريح والمسجد).

ويظهر من المخطط أن غرف الطابق الأول تطل على الساحة المكشوفة من الجهات الأربع، وأن الغرف الشرقية والجنوبية لا تطل على الساحة مباشرة بل ان أمامها عمراً علوياً مكشوفاً يشرف على الساحة. ويظهر كذلك أن هناك صفين من الغرف بينهما ممر في الجهة الغربية. والصف الأول من هذه الغرف وحده يطل على الساحة.

وبالنسبة لغرف التسوية يقول تقرير السيد عبدالله كلبونة الذي أشرنا إليه آنفاً ما يلي :

«أما غرف التسوية فهي مقامة من عدد من الدعامات الحجرية والعقود . وقد قسمت هذه الدعامات والعقود بقواطع بنائية وسقفت معظمها بأبنية متقاطعة ، وقد سد كل منها من الجهات الثلاث بالقواطع (البنائية) باستثناء القسم المفتوح على الممر المكشوف المحصور بينها وبين سور المقام ، وذلك من الجهة الشرقية والجنوبية . أما في الجهة الشمالية والغربية فإن هذا النظام يكاد يختلف وذلك لما تم ، كما يبدو ، من إضافات معمارية وملاصقة . غرف هذه الجهات للجدار الشمالي والغربي من السور» (الصفحة ٣ من التقرير) - انظر المخطط رقم (٣) .

وفي الجهة الشمالية الغربية من طابق التسوية يقع الاسطبل وهو «مستطيل الشكل مغطى بقبو نصف برميلي ، وتشاهد به الآن بقايا أعلاف ومرابط للدواب» .^(١٤)

هذه صورة عامة عن المنشآت القائمة في مقام النبي موسى . ويبقى أن نضيف أن هذه المنشآت هي في حاجة ماسة إلى التعمير والترميم الشامل . وكانت ادارة الأوقاف في القدس قد قدرت النفقات اللازمة لذلك سنة ١٩٨٢ م ، بحوالي تسعين ألف دينار .

ونود أن نشير في ختام حديثنا عن مقام النبي موسى الى مقامين صغيرين مجاورين له الأولى هو مقام حسن الراعي الذي يقع على هضبة إلى الجنوب الغربي من مقام النبي موسى . وتقول الروايات المتوارثة إن الراعي حسن كان راعياً للنبي موسى ، وكان حاضراً عند وفاته . «ويبلغ طول هذا الضريح ستة أمتار تقريباً وعرضه مترين وربعاً وعلوه أقل من متر ونصف بقليل . وتحاذيه ستة أعمدة ، ثلاثة من الشمال وثلاثة من القبلة . . . ويحيط بها جدار من الطين . . . ومما يلفت النظر أن لهذا المقام ثلاثة محاريب»^(١٥) .

ويذهب البعض إلى أن مقام الراعي هو المقام الحقيقي للنبي موسى .

أما المقام الثاني فيدعى مقام السيدة عائشة أم المؤمنين وهو يقع على مسافة نصف كيلو متر شرقي مقام النبي موسى . وقال العابدي سنة ١٩٤٥ ، ان هذا المقام «شيد قبل خمسين سنة»^(١٦) أي في العقد الأخير من القرن التاسع عشر . ومن المعروف أن السيدة عائشة توفيت

(١٤) تقرير عبدالله كلبونة ، ص ٤ .

(١٥) محمود العابدي ، من تاريخنا - المجموعة الرابعة ، ص ١٠٩

(١٦) محمود العابدي ، من تاريخنا ، المجموعة الرابعة ، ص ١٠٩ ، نقلاً لمقال نشره العابدي ، في جريدة الجهاد المقدسية سنة ١٩٤٥ .

في المدينة المنورة ودفنت في البقيع .

ويبقى علينا أن نجيب على السؤال التالي وهو :

هل كان هناك بناء قديم في مكان مقام النبي موسى عليه السلام؟

أثار هذا السؤال عدد من الرحالة ورجال الدين والباحثين الغربيين، وذهب بعض هؤلاء الى أن مقام النبي موسى كان ديراً في الأصل أنشأه في القرن الخامس الميلادي القديس افثيميوس St. Euthymius . وأبرز من رَوَّج هذه النظرية هو الأب ليفين Lievin de Hamme استناداً إلى الروايات الإغريقية القديمة . ويقول العالم الألماني فان كاسترن Van Kasteren إنه سمع هذا الزعم أيضاً من أحد رهبان دير مارسابا المجاور^(١٧)، ولكنه لم يستطع التحقق من صحته . ولكن فان كاسترن يمضي قائلاً: ان قبر افثيميوس الذي كان يحظى بالتبجيل قد اختفى . ألا يمكن أن يكون هذا القبر هو القبر الذي ينسب إلى النبي موسى؟ وبعد هذا التساؤل يرجح الكاتب المشار إليه أن دير افثيميوس كان في خان السهل المجاور للنبي موسى ، وليس في موقع النبي موسى نفسه^(١٨) .

ويقول كونراد شيك انه يعتقد أن موقع النبي موسى كان يضم من قديم الزمان مكاناً للعبادة كان يلتقي فيه الناس ، كما كان فيه بيعة انشئت في القرن الرابع أو الخامس إبان ازدهار الاستيطان في هذه البقعة . وافترض شيك ، كما ذكرنا من قبل ، أن مؤسس هذه البيعة أو الدير كان راهباً يدعى موسى ، وقد اختلط الأمر على المسلمين ، فظنوه موسى النبي .^(١٩)

ويذهب كليرمون جانو إلى مثل ما ذهب اليه شيك فيقول : لقد افترض أن مقام النبي موسى قد حل محل دير مسيحي قديم . وهذا أمر ممكن جداً ، فالظاهر الخارجي للمسجد والمباني الملحقه تجعل المرء يميل إلى هذه الفكرة .^(٢٠)

على أن الأمر لا يعدو، فيما يبدو، دائرة الحدس والتخمين، إذ لا يقدم الباحثون الثلاثة أي دليل مقنع على ما ذهبوا إليه . . . وقد عارضهم في ذلك ليوماير، وقال إن النظرية

(١٧) Van Kasteren, Aus der Umgegend von Jerusalem ZDPV, Vol X111 (1890) p. 91.

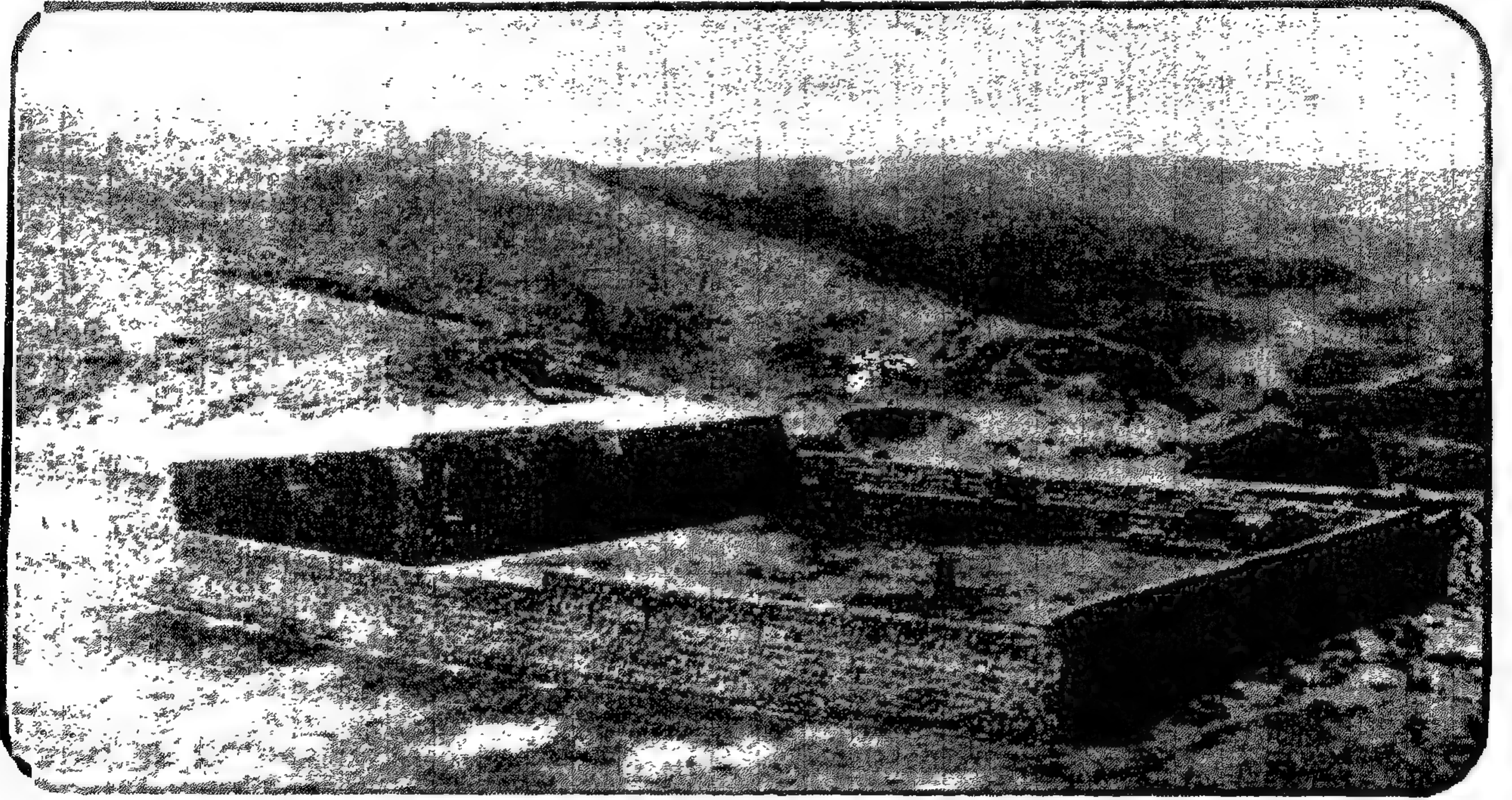
(١٨) المرجع السابق، ص ١١٨ .

(١٩) C. Q Shick, Die Alten Lauren and Klöster in der Wüste Juda, Z.D.P.V Vol III (1880) p. 16

(٢٠) C- Ganneau, Archeological Researches in Palestine, Vol II, p. 51

التي تزعم أن العرب قد حولوا ديراً مسيحياً كان قائماً في ذلك المكان إلى مسجد ومقام لا تصمد للتحقيق لعدة أسباب. فإن نقش بيبرس يبدأ بعبارة «أنشأ هذا المقام»، وهي عبارة لم تكن تستعمل إلا عند إنشاء بناء جديد كلية. وإذا وجد هناك قطع من مبان قديمة في المقام فإن هذه تكون قد نقلت إليه من مبان أخرى. ويشير ماير إلى ما كان قد ذكره العمري من أن المكان كان خلواً من أي بناء عندما بنى عليه بيبرس المقام،^(٢١).

وقد حسم الأمر من جراء الحفريات التي جرت سنة ١٩٢٨ في الخان الأحمر الذي يقع في محاذة الكيلو ١٦ إلى الجنوب عن طريق القدس أريحا. فقد كشفت هذه الحفريات مخطط الدير الذي أنشأه القديس افثيموس سنة ٤٢٨، وكذلك الكنيسة التي ضمت قبره.^(٢٢) وهو يقع على بعد نحو ١٤ كيلومتراً غرب مقام النبي موسى.



الخان الأحمر، صورة له في أواخر القرن التاسع عشر عن Laudau, Abdul Hamid's Palestine

★ ★ ★ ★

L. A. Mayer, Two Inscriptions of Baybars, p. 31. (٢١)

E. Hoade, Guide to the Holy Land, p. 354 (٢٢)

الفصل الثالث

أوقاف النبي موسى عليه السلام

الأوقاف كانت على الدوام المصدر الرئيسي للانفاق على المؤسسات الدينية والاجتماعية والتعليمية. ولعله من الصحيح القول بأن الدولة الاسلامية لم يكن لها أجهزة حكومية محددة للقيام بالخدمات الاجتماعية والصحية والثقافية. ومن هنا كان للأوقاف الدور الأساسي في هذه الميادين، وكان نظام الأوقاف بحق هو العمود الفقري للمؤسسات التعليمية والاجتماعية والدينية.

كان الواقف يقف المؤسسة نفسها ثم يقف عليها الأوقاف لصيانة مبانيها وتأثيثها، وإقامة خدماتها والانفاق على العاملين فيها. وكلما كانت الأوقاف الموقوفة على المؤسسة أكبر كبرت امكانياتها وصارت أقدر على تحقيق أهدافها. وإذا ضعفت الأوقاف أو اندثرت خربت المؤسسة واندثرت. وكانت أوقاف الملوك والسلاطين هي الأكبر عادة، ولذلك كانت المؤسسات السلطانية أغنى المؤسسات الوقفية، ومن أمثلتنا على ذلك في القدس أوقاف صلاح الدين الأيوبي على الخانقاه والمدرسة المسماة باسمه، ووقف الأمير تنكز نائب السلطان في الشام على الخانقاه المدرسة / التنكزية، ووقف السلطان الأشرف قايتباي على المدرسة الاشرفية.

ومن أمثلة الأوقاف السلطانية البارزة أيضاً وقف الملك الظاهر بيبرس على مقام النبي موسى، للانفاق على المقام نفسه، صيانة واعماراً، وعلى إطعام الطعام لزائريه وإيوائهم، وعلى دفع مرتبات العاملين فيه. وكان هذا الوقف شاسعاً ضمّ عدة قرى ومساحات كبيرة من الأراضي الزراعية بحيث كان كافياً للانفاق على المقام والموسم طوال مئات السنين.

ومن محاسن الصدف أننا عثرنا على كتاب الوقف الذي أنشأه الملك الظاهر بيبرس على المقام، بعد بحث طويل، في مخطوط بعنوان «اعلام الإسلام في موطن الأنبياء فلسطين» كان يعده للنشر المرحوم العلامة عبدالله مخلص قبل نصف قرن، ولم يقيض له ذلك.

ومن المؤسف أن عبدالله مخلص المتوفى سنة ١٩٤٧، والذي كان مديراً عاماً للأوقاف في فلسطين، لم يذكر المصدر الذي نقل عنه كتاب الوقف، هل هو سجل من سجلات المحكمة الشرعية أم هو وثيقة أصلية، أم هو نسخة قديمة لكتاب الوقف وجدها في أوراق الأوقاف...؟

سنثبت أولاً النص الكامل لكتاب الوقف ثم نعقب ببعض التعليقات عليه.

نص كتاب الوقف الذي أنشأه الملك
الظاهر بيبرس بن عبدالله البندقداري
الصالح المتوفى سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧ - ١٢٧٨ م
على مقام النبي موسى عليه السلام*
« بسم الله الرحمن الرحيم »

قال رسول الله ﷺ « ليس لك من دنياك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت » .^(١) وقال ﷺ « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : علم ينتفع به وولد صالح يدعو له وصدقة جارية على يديه » .^(٢) ولما كان أحسن الصدقات وأبر المبرات ما لا ينقطع أمدّه ولا ينتهي مدده ، وهي الصدقة الجارية الباقية بقاء هذه الدار الفانية لا تكون مشروطة بالحياة ولا مقطوعة بالمات وذلك الوقف الذي تدوم فوائده وتبقى عوايده فيحيى ذكر واقفه عند صرف ريعه إلى مصارفه ويكون له عمراً ثانياً . ولقد شرف الله سبحانه وتعالى ، تواتر على البرايا بره وتوالى ، بشرف سلوك هذه الطريقة صاحب هذه المجلة الشرعية والوثيقة المرعية المرضية اليقينية مولانا السلطان الملك الظاهر العادل المؤيد المظفر المنصور ركن الدنيا والدين منقذ الإسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين فاتح الأمصار مبيد الافرنج والتار مقتلع القلاع من أيدي الكفار وارث الملك سلطان العرب والعجم والترك ملك الزمان صاحب القرآن مسترد ضوال^(٣) الاسلام من أيدي الطغيان ملك البحرين مالك القبلتين خادم الحرمين الشريفين الأمر ببيعة الخليفة^(٤) قسيم أمير المؤمنين خلد الله سلطانه وذلك بعد عودة ركابه العزيز من الحج المبرور وتوجهه لزيارة القدس تقبل الله منه في منابه^(٥) فأنشأ أنواعاً من بقاع الخيرات السنية وأبنية الحسنات البهية فمن جملة ذلك المقام

★ مخطوط «اعلام الاسلام في موطن الانبياء فلسطين» للمرحوم عبدالله مخلص ، الورقة ١٣١ وما بعدها .

(١) صحيح مسلم ، زهد ٢

النسائي ، وصايا ١ .

(٢) مسلم ، وصية ١٤ ، أبو داود ، وصايا ١٤ ، الترمذي ، أحكام ٢٦ .

(٣) ضوال ، جمع ضالة (مؤنث ضال) وهي الشيء المفقود الذي تسعى وراءه .

(٤) بيبرس هو الذي أقر خلفاء بني العباس بمصر بعد انقراض دولتهم ببغداد .

(٥) مناب : أناب إلى الله = رجع إليه وأقبل وتاب ، والمناب هنا إذن الرجوع إلى الله والاقبال عليه . غير أننا لسنا مطمئنين إلى صحة هذه الكلمة في هذا الموضع . ونعتقد أن هناك بضع كلمات ناقصة في النص (انظر التعليقات التي تلي نص كتاب الوقف) .

الكريم الذي أنشأه على ضريح موسى الكليم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم . ووقف حضرة الواقف العالي الشأن السامي المكان أفاض الله تعالى عليه في جميع الأزمان سجل البر والإحسان لمصالح هذا المقام الكريم المبارك عدة من أصناف الأوقاف بنية وافية وعزم كاف فمنها الأراضى والأملاك الجارية في ملكة وتحت تصرفه والتي ابتاعها من ماله الخاص ، وهي جميع القرية المسماة بترمسعيا^(٦) وجميع القرية المسماة بالمرزعة^(٧) وجميع القرية المسماة بخربة أبي فلاح^(٨) وجميع أرض قرية سور باهر^(٩) وكلها من أعمال القدس الشريف ومنها جميع الطاحونة الواقعة على المياه المعروفة بواد القلط^(١٠) وجميع مياه وأراضى هذا الوادي وجميع مياه وأراضى الفؤار^(١١) وقرية أريحا بكاملها ، ومنها جميع أراضى الغور الواقعة بين دير السيق^(١٢) غرباً إلى زعترة^(١٣) والبحيرة المنتنة^(١٤) شرقاً من أعمال القدس الشريف أيضاً أرضها وتراها وحجرها وماءها وشجرها بجملة مالها من الحدود والمرافق والتوابع واللواحق والطرق والمسالك وسائر ما لا بد منه لذلك ذكر أو لم يذكر سطر أو لم يسطر وقفاً صحيحاً شرعياً وحسباً صريحاً مرعياً وسبيلاً محكماً مبرماً مرضياً . ولقد تحقق وصح وتبين شأنه واتضح حيث أقر واعترف مولانا الملك الظاهر بيبرس البندقداري بأنه وقف وسبل كافة ما ذكر مجمعاً أو مفصلاً مما أعد للاستغلال من القرى والموقوفات بجميع حقوقها ومراسمها وحدودها مما يدخل تحت الوقف بمقتضى الشرع المطهر . أما البقاع المباركة المرقومة فقد وقفها وعينها

(٦) ترمسعيا : قرية شمال شرق رام الله على بعد ٢٣ كم منها ، تقع قرب قرية سنجل . يذكر أهلها أنهم حجازيون من بني مرة . تملك ترمسعيا ١٧٦١١ دونماً (الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ج ٨ ق ٢ ص ٢٨٣ - ٢٨٣) .

(٧) المزرعة : المقصود ما يعرف اليوم بالمرزعة الشرقية شمال شرق رام الله على بعد ٣ كم من طريق القدس نابلس عند الكيلومتر ٣٣ . وهي من قرى بني مرة أيضاً . (الدباغ ، المصدر السابق ، ص ٢٩٦) .

(٨) خربة أبي فلاح : شمال شرق رام الله . مساحة القرية ١٩ دونماً وتملك ٨١٨٦ دونماً . مجاورة لترمسعيا والمزرعة الشرقية . (الدباغ ، المصدر السابق ، ص ٢٩٩) .

(٩) سورباهر (صور باهر اليوم) : قرية جنوبي القدس يحيط بها أراضى عرب السواخرة وعرب العبيدية وسلوان وبيت لحم ، وبيت صفافا . كان عدد سكانها سنة ١٩٦١ م : ٢٣٣٥ (الدباغ ص ١٦٩ ، ١٧٠) .

(١٠) وادي القلط : واد يقع قرب اريحا تنتهي اليه المياه من تلال البيرة وعناتا والرام ثم تسير نحو الشرق إلى أن تنتهي بوادي الأردن .

(١١) عين الفؤار : تقع إلى الشمال الشرقي من قرية عناتا التي تقع خلف جبل الطور (الزيتون) إلى الشمال الشرقي من القدس .

(١٢) هو دير مار سابا ، وقد مر ذكره .

(١٣) أظن أن هناك خطأ في النقل ، والصحيح فيما أرى هو زغر (صوغر) ، وهي قرية قديمة قرب البحر الميت .

(١٤) البحيرة المنتنة هي البحر الميت ومن اسمائها بحيرة زغر وبحيرة لوط .

ليتصرف عليها^(١٥) في إطعام الطعام لزوار مقام النبي موسى الكليم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم إبان موسم الزيارة من كل عام وفي الانفاق على التبريدارية^(١٦) الموجودين في مقام هذا النبي الكريم . ولا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف . وقد نصب متبلياً لأقامة مصالح كافة الموقوفات ورعاية مهمات هذه المسبيلات من البناء والتعمير والاستغلال والقبض والبسط والحفظ والضبط وأمور التسجيل عين العلماء والمدرسين الكرام بدر سما المعالي الفخام صدر أساطين الموالي العظام قدوة الصلحا الشيخ الشريف عبدالله بن يونس^(١٧) وقد رام مولانا الملك الظاهر بيبرس سيد ملوك الأرض على الاجماع المخصوص بملك أشرف البقاع أن يرجع عن وقفه هذا^(١٨) ويرد الموقوفات إلى ملكه القديم فعارضه المتولي المرقوم وتحاكما إلى المولى الفاضل فخر الاسلام وشمس الأئمة مظهر كلمة الله العليا الحاكم الموقع على الكتاب بتوقيعه الشريف المستطاب لا زال عقد المسائل محلولة بأسنان أقلامه فنظر في محل النزاع وشاهد في جانب المتولي رجحاناً قوياً وعاین في يده برهاناً جلياً وحكم بصحة هذه الأوقاف ولزومها على الشرايط المسطورة على رأى من يراه من الأئمة رضوان الله عليهم حكماً صحيحاً شرعياً ووقفاً صريحاً مرعياً فصار وقفاً لازماً مسجلاً لا يجوز بعد ذلك تغييره وتبديله «فمن بدّله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدّلونه ان الله سميع عليم»^(١٩) . وأجر الواقف على الله جرى ذلك وحرر في أواسط رجب سنة ثمان وستين وستمائة .

شهود الحال

محمد بن عبدالله
وليّ مولانا السلطان .

جمال الدين بن أقوش النجمي^(٢٠)
عبد مولانا الملك وولي السلطان

-
- (١٥) كذا في الأصل ، ولعل وجه الصواب أن يقال : «لبصرف ريعها» .
 (١٦) التبريدارية : القِيمون على التربة .
 (١٧) هو جد آل يونس في القدس الشريف ، فيما نعتقد ، وقد تحدثنا عنه في الفصل الأول .
 (١٨) لما كان الامام أبو حنيفة دون تلامذته وياقي الأئمة يبيع للواقف نسخ الوقف والرجوع عنه فان الواقف كان يقيم دعوى شكلية على الناظر أو متولي تسجيل الوقف لاستعادة العقار الموقوف الى ملكيته على أساس أن الوقف الذي أعلنه غير لازم ويمكن الرجوع عنه . ولدى نظر الدعوى كان القاضي يثبت الوقف استناداً على رأي الامام أبي يوسف وغيره من الأئمة الذين كانوا يرون عدم جواز رجوع الواقف عن وقفه ، وبذلك كان يتأكد الوقف وتثبت الوقفية .
 (١٩) «فمن بدّله . . . سميع عليم» ، الآية ١٨١ من سورة البقرة .
 (٢٠) أظن الصحيح هو النجيبى ، وقد سبق ذكره .

(وقد كتب باعلا كتاب الوقف هذا وعلى الجانب اليسار منه : صدر من العبد الفقير إليه سبحانه وتعالى الخوجة جمال الدين بن ربيع^(٢١) المولى خلافة بمدينة القدس عفي عنه) .

بعض التعليقات على الكتاب :

أولاً : يبدأ كتاب الوقف بذكر دواعي الأوقاف وفوائدها عامة، ثم يذكر اسم السلطان الواقف وألقابه . وهي الألقاب التي نقرأها في النقوش والوقفيات التي تتعلق بالملك الظاهر بيبرس جملة، والتي تشبه الألقاب الواردة في نقش بيبرس على المقام، بل تكاد تتطابق معه مع اختلافات بسيطة .

ثانياً : جملة : « تقبل الله منه في منابه » الواردة في كتاب الوقف تعيد إلى الذاكرة الجملة الواردة في النقش : وهي « تقبل الله منه في نيابة عبده ووليه الأمير الكبير المشاغر جمال الدين أقوش النجيبى (أو النجمي) كافل الممالك الشامية أعزه الله » . ولما كانت كلمة « منابه » غير مألوفة فهل تكون تصحيفاً لكلمة « نيابة » مع سقوط السطر الذي يذكر اسم الأمير جمال الدين أقوش من نص كتاب الوقف؟ نقول إن هذا استنتاج محتمل فحسب، ولا نقطع بصحته .

ثالثاً : تتضح ضخامة الوقف من كونه يضم أربع قرى من أعمال القدس الشريف بالإضافة الى قرية أريحا، وأراضي وأموالها شاسعة في وادي القلط والفوار، وجميع أراضي الغور الممتدة بين دير السيق والبحر الميت .

رابعاً : أهداف الوقف : « اطعام الطعام لزوار مقام النبي موسى الكليم . . . ابان موسم الزيارة من كل عام والانفاق على التبريدارية » (والمقصود العاملون في المقام) .

خامساً : المتولى الأول المعين بمقتضى كتاب الوقف هو الشيخ الشريف عبدالله بن يونس . ولعله من المعقول أن نستنتج أن عبدالله بن يونس هذا هو الشيخ عبدالله بن يونس الأرموي، الذي روى العمري عن علاء الدين بن الكلاس أنه زار قبر النبي

(٢١) يقول الانس الجليل (٢/٣١٧، ٣٣٧، ٣٣٨)، إن جمال الدين بن ربيع (ابن ربيع = العسلي اليوم) كان أمين الحكم في القدس (أي متولى شؤون الايتام في محكمة القدس) وهي وظيفة تولاه سنة ٨٨١، وقد توفي في ١٣ جمادى الأولى سنة ٨٩٢ / ١٤٨٦م . وتظهر الوقفية أن ابن ربيع تولى قضاء القدس أيضاً . أما لقب الخوجة (الخواجة) الذي يسبق اسمه فكان يطلق على المعلم أو التاجر . ومن الواضح أن الملاحظة المكتوبة بأعلى كتاب الوقف حول صدور كتاب الوقف عن جمال الدين بن ربيع لا تعني كتاب الوقف الأصلي لبيبرس، وإنما كتاب وقف يثبت كتاب الوقف الأصلي صدر في أواخر القرن التاسع الهجري (أي بعد كتاب الوقف الأصلي بأكثر من مائتي سنة) . وكان من عادة القضاة أن يثبتوا كتب الوقف الأصلية، ويشهدوا بصحتها، عندما ترفع لهم قضايا تتعلق بالوقف، قبل اصدار حكم في القضية التي بين أيديهم .

موسى قبل أن تبني فوقه قبة ورأى في منامه النبي موسى الذي بشره بالزواج من امرأة من نسل الرسول (انظر ص . .) ولما كان عبدالله بن يونس يذكر في روايته بناء المقام فهو إذن شهد بناءه . ومن المعقول أن يكون قد عين أول متول على أوقافه . (وربما كان في الثمانين من عمره اذاك).

وسنرى أن كلمة «ابن يونس» تتسلسل في سلسلة من المتولين في القرون التالية . وعلى ضوء هذا يحق لنا أن نستنتج أن آل يونس في القدس، الذين أصبح اسمهم آل يونس الحسيني فيما بعد، هم أعقاب الشيخ عبدالله بن يونس الأرموي المشار إليه .

وعلى ضخامة أوقاف الظاهر بيبرس على مقام النبي موسى عليه السلام، فإنها لم تكن الأوقاف الوحيدة على المقام بطبيعة الحال فقد تنافس المسلمون من بعد طوال العصر المملوكي والعصر العثماني على إنشاء أوقاف كثيرة على مصالح المقام مما جعل المقام في العصر العثماني مؤسسة من أكبر المؤسسات الوقفية في فلسطين . ولدينا بضع وثائق في هذا الشأن . تتعلق بالأعيان التي وقفت على المقام بعد وقف بيبرس وكذلك بالعاملين بالمقام من حيث وظائفهم وعددهم وبشؤون التولية على المقام .

فبالنسبة للأعيان الموقوفة على سيدنا موسى يفيدنا الدفتر ٥٢٢ من دفاتر التحرير العثمانية (وتاريخ هذا الدفتر حوالي سنة ٩٦٠ هـ) ما يلي :

أوقاف لواء قدس شريف ق (أي وقفية) ٢٩ وقف سيدنا موسى نبي عليه السلام

- عن مزرعة العياض تابع مزبور ٨ ط - (ط = قيراط)
- قرية ترمس عيا تابع م (أي مزبور) ٨ ط - ١١٣ (أي دفتر ١١٣) - طرمس عيا .
- عن قرية صور باهر تابع م . حصة (٣٤٢ = دفتر ٣٤٢) من العشر ١٢ ط .
- عن قرية ربحا تابع قدس (١) فدان مقسوم ومفروز .
- عن قرية كفرين تابع غور در (أي في) عجلون (١) فدان مفروز ومقسوم .
- عن قرية طور زيتا تابع قدس حصة (٣٤٢) من العشر ١٢ ط .
- قطعة أرض تعرف بقطعة موسى ع . م (عليه السلام) في قرب قرية جرايا (١٣٣) تابع نابلوس (ك) تماماً (أي القطعة كلها) .
- حاكورة الصبانة تعرف بابن أبو الحسن الفاغور در نفسه نابلوس تماماً ٣٤٢/١٢ (الدفتر ٣٤٢ الصفحة ١٢) (٢٢)

(٢٢) منظمة المؤتمر الاسلامي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول ، أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين ص ٣٢ .

ويظهر لنا من هذه الوثيقة أن هناك كثيراً من الأوقاف الجديدة المضافة إلى الوقف الأصلي ، في لواء عجلون ولواء نابلس .

ونجد في الدفتر ٥٢٢ أيضاً ، وقفية أخرى رقمها ٢٢ ، ونقرأ فيها ما يلي :

وقف تربة سيدنا موسى ويونس ولوط عليهم السلام

- قرية فاغور^(٢٣) (١٢٢) تابع قدس تماماً .

- مزرعة واد فوكين تابع قدس تماماً^(٢٤) .

ويظهر من هذا أن القرية والمزرعة المذكورتين اعلاه كانتا مشتركاً على مقامات الأنبياء الثلاثة المذكورين اعلاه .

وهناك وقفيات كثيرة سجلها أفراد عاديون لمصالح النبي موسى عليه السلام عبر القرون . وكان كثير منها ينص على أن يكون الوقف على الواقف وذريته واقربائه أولاً ثم يؤول بعد انقراضهم على مصالح النبي موسى . ونكتفي بذكر مثالين فقط من بين عشرات :

في الصفحة ١٩٣ من السجل ٣٤٤ من سجلات المحكمة الشرعية في القدس نقرأ ما يلي :

السيدة خانم ابنة السيد محمد طاهر افندي الحسيني^(٢٥) مفتي القدس سابقاً اشترت داراً واقعة بخط مرزبان المشتعلة على علوي وسفلي ثم وقفت . . . الدار المذكورة ودكانين بخان الزيت كائنتين شمال حوش ابو الشامات . . على نفسها وعلى زوجها ثم على انجالها الذكور والاناث ثم على اولادها وأحفادها وبعد انقراضهم على ذرية الحاج حسن افندي

(٢٣) تقع خربة فاغور عند الكيلو ١٥ على الطريق بين القدس والخليل ، غير بعيد عن قرية العروب .

(E. Hoade, Guide to the Holy Land p. 337)

أما هتروت وعبد الفتاح فيقولان في كتابهما Historical Geography of Palestine, p. 122 إن قرية فاغور «لم تعد موجودة الآن» وإن عدد سكانها في أواسط القرن السادس عشر كان حوالي ٣٠٠ نسمة .

(٢٤) أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين ، ص ٢٨ .

(٢٥) محمد طاهر الحسيني المشار اليه توفي سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٦م ، وكان مفتي الحنفية لثلاثة عقود من السنين في النصف الأول من القرن التاسع عشر . واسمه الكامل محمد طاهر بن عبد الصمد بن عبد اللطيف الحسيني . واجد عبد اللطيف كان نقيب الاشراف في القدس في القرن الثاني عشر . (عادل مناع / أعلام فلسطين ، ص ١١٢) .

الحسيني والسيد محمد طاهر الحسيني ، وبعد انقراضها يعود وقفاً على سباط^(٢٦) سيدنا موسى الكليم . . . واذا آل الوقف لسباط سيدنا موسى الكليم فيكون تولية الوقف لمتولى وقف سيدنا موسى . تاريخ الوقفية ١٥ رجب سنة ١٢٧٧هـ . (١٨٦١م) .

أما الوقفية الثانية فقد عثرنا عليها في صفحة ١٠٢ من السجل ٢٦٩ (سنة ١٢٠٣) من سجلات المحكمة الشرعية . وبموجب هذه الوقفية وقف عبدالله بن عبد اللطيف الحسيني نقيب الاشراف بالقدس عقارات (بيارة ودراوين ودكاكين) بيافا على نفسه ثم على اخيه حسن ثم على أولاده أي أولاد الواقف وذريته ، فاذا انقضوا عاد وقفاً على مصالح سيدنا موسى الكليم (تاريخ الوقفية اويل ربيع الثاني سنة ١٢٠٣) (١٧٨٨/٨٩م) .

ومن الطريف أن نذكر أن الشيخ محمد الخليلي عالم القدس والخليل المشهور المتوفى سنة ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م أنشأ بعض الغرف في مباني المقام نفسه ووقفها على نفسه وذريته لينزلوا فيها أيام الموسم وغيره . وكان ذلك باذن من المتولين على المقام ، فقد وجدنا في وقفية الشيخ الخليلي المؤرخة في سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م النص التالي :

«(وقف) جميع الطبقتين المسقفتين بالخشب والقصب الواقعتين في حرم كليم الله موسى بن عمران على نبينا وعليه الصلاة والسلام . وقد بناهما الواقف بالاجازة من المتولين على أوقافه وهما المرحومان الشيخ موسى أفندي والشيخ اسحق أفندي ، وكذلك الأوضة الواقعة تحت الدرجة التي عند الباب الشمالي المقابلة لباب المسجد الكليمي المسقوفة بالخشب والقصب بجميع المنافع والأنقاض والأبواب والدرجة التي يصعد منها إلى الطبقتين والساحة بين الطبقتين التي فيها المطبخ وسائر المنافع والمرافق . شرط الواقف وقفها على الموقوف عليهم وقفه المزبور أعلاه ، فاذا نزل أحدهم في الموسم أو غيره فهو أحق في النزول فيها ، وإن لم ينزل فلا يسكن فيها إلا من أخذ إذناً من الناظر على الوقف كائناً من كان»^(٢٧) .

وفيما يتعلق بالعاملين في مقام النبي موسى عليه السلام فقد عثرنا في السجل ٦٨ (من ١١ رجب ٩٩٥ - ربيع الأول ٩٩٧) من سجلات المحكمة الشرعية في القدس على قائمة باسمائهم وأسماء وظائفهم في أواخر القرن العاشر الهجري . ونحن ندرج فيما يلي ما ورد في الصفحات ٥٠ و ٥١ و ٥٢ من السجل المذكور:

(٢٦) السباط : ما يسط ليوضع عليه الطعام ، والمقصود الطعام نفسه .

(٢٧) الشيخ محمد الخليلي ، وثيقة مقدسية تاريخية ، تحقيق د . اسحق موسى الحسيني ود . أمين سعيد أبوليل ، ص ٤٢ .

سجل ٦٨
١١ رجب ٩٩٥ - ربيع الأول ٩٩٧
ص ٥٠ - ٥٢

جهات^(٢٨) وقف موسى الكليم عليه السلام

شيخ المشايخ شيخ ابراهيم ناظر وشيخ حضرة موسى ع م ^(٢٩) بر موجب ^(٣٠) براه ^(٣١) جديد مورخة في ١٧ صفر سنة ٩٧٦	سيد أحمد كاتب وقف في يوم ٣ ^(٣١) بر موجب تذكرة ^(٣٢) جديد مورخة في أوائل قعدة سنة ١٩٧٤	فتح الدين بن بدر الدين ابن غضية خادم جامع حضرة موسى ع م في يوم ١ بر موجب براه جديد مؤرخة في ٢٢ صفر سنة ٩٧٦.
بدر الدين بن غضية فراش وخادم وبواب في يوم ٢ بر موجب براه جديد مورخة في ١٧ صفر سنة ٩٧٦	علاء الدين غضية جابي في يوم ٢ بر موجب براه جديد مورخة ١٧ صفر سنة ٩٧٦	شرف الدين بن علاء الدين مؤذن في يوم ١ بر موجب تقرير قاضي مورخ ٢ صفر سنة ٩٧٧
صالح بن غضية خادم في يوم ١ بر موجب براه جديد مورخة في ١٧ صفر سنة ٩٧٦.	صالح بن غضية أنبار دار ^(٣٤) في يوم ١ بر موجب براه جديد مورخة في ١٧ صفر سنة ٩٧٦.	موسى بن غضية خادم في يوم ١ بر موجب براه جديد مورخة في ١٧ صفر سنة ٩٧٦.

(٢٨) جهات : وظائف.
(٢٩) ع . م = عليه السلام.
(٣٠) بر موجب = بموجب.
(٣١) في يوم ٣ : أي ٣ أقجة، وهي وحدة العملة الفضية العثمانية الرئيسية، في اليوم.
(٣٢) و (٣٣) البراة أو البراءة تصدر عن السلطان، والتذكرة عن الوالي.
(٣٤) مأمور مستودعات.

عبد الرزاق بن غضية بواب وخادم أيده ٢٥ (٣٦) بر موجب براه جديد مورخة في ١٧ صفر سنة ٩٧٦	شيخ ابراهيم في شهر قرق (٣٥) أقجة بر موجب براه جديد مورخة في ١٧ صفر سنة ٩٧٦	موسى بن غضية بواب وخادم في يوم ١ بر موجب براه جديد مورخة في ١٧ صفر سنة ٩٧٦ .
موسى بن غضية فراش يلدہ (٣٧) يوز (٣٨) أقجة بر موجب براه جديد مورخة في عشري صفر سنة ٩٧٦	احمد بن غضية فراش وشعال ايده ٤٠ بر موجب براه جديد مورخة في ١٧ صفر سنة ٩٧٦	شيخ محمد خادم في يوم ١ بر موجب براه جديد مورخة في ١٧ صفر سنة ٩٧٦
نور الدين بن شيخ على موزن في يوم ١ بر موجب براه جديد مورخة في ١٧ صفر سنة ٩٧٦	محمد خادم في يوم ١ بر موجب براه جديد مورخة في ١٧ صفر سنة ٩٧٦	عبد القادر خادم تربة شريفة في يوم ٢ بر موجب براه جديد مورخة في ١٧ صفر سنة ٩٧٦
شيخ ولي الدين في يوم ٢ بر موجب تذكرة جديد مورخة بأوايل قعدة سنة ٩٧٤ .	شيخ شرف الدين في يوم ٢ بر موجب تذكرة جديد مورخة في أوايل قعدة سنة ٩٧٤	زكريا خليفة في م (٣٩) بر موجب براه جديد مورخة في غرة ربيع الأول سنة ٩٧٦
يحيى بن محمد حواش في يوم ٢ بر موجب تقرير قاضي مورخ في ٤ الحجة سنة ٩٧٧ وعرض مورخة في (٤٠) ثم أبرز براه جديد مورخة في ٦ شهر ربيع الآخر سنة ٩٧٧ .	عبد الله بصري في يوم بر موجب براه جديد مورخة في ٢١ الحجة سنة ٩٧٥	شمس الدين محمد بن سالم في يوم بر موجب تذكرة جديد مورخة في أواسط الحجة سنة ٩٧٦

(٣٥) قرق = ٤٠ . (٣٦) أيده = شهرياً . (٣٧) يلدہ = سنوياً . (٣٨) يوز = ١٠٠ . (٣٩) م = يوم .
(٤٠) بياض بعد «في» .

جمال الدين في يوم ٢ بر موجب تذكرة جديد مورخ في اوائل قعدة سنة ٩٧٤	نور الدين في يوم ٢ بر موجب براه جديد مورخة في ١١ ربيع الآخر سنة ٩٧٢	ابراهيم بن محمد ديب في يوم ٢ بر موجب براه جديد مورخة في ١١ ربيع الآخر سنة ٩٧٥
شيخ محمد بن عفيف الدين في يوم ٢ بر موجب براه جديد مورخ في ١١ ربيع الآخر سنة ٩٧٥	بجانب عبد الحق بن جماعة الله صالح بن محي الدين في يوم ٢ بر موجب براه جديد مورخة في ٦ شعبان سنة ٩٧٦	ابراهيم بن حسام في يوم ٢ بر موجب تذكرة جديد مورخة بأوایل قعدة سنة ٩٧٦
علي بن عبد القادر في يوم ٢ بر موجب تذكرة جديد مورخة في أول شهر شعبان سنة ٩٧٤ ثم أبرز براه جديد مورخة في ١٩ شهر محرم سنة ٩٧٥	شيخ محمد في يوم ٢ بر موجب براه جديد مورخة في ١٣ صفر سنة ٩٧٥	شيخ محمد صعيدي في يوم ٢ بر موجب براه جديد مورخة في ١٧ صفر سنة ٩٧٦
شيخ محمد بن أبي بكر في يوم ٢ بر موجب براه جديد مورخة في ٢٦ الحجة سنة ٩٧٤	علي ابن أبي اللطف في يوم ٢ بر موجب براه جديد مورخة في ٢١ حجة سنة ٩٧٤	شيخ أبو اللطف في يوم ٢ بر موجب براه جديد مورخة في ٢٦ الحجة سنة ٩٧٤
جمال الدين بن محمد بن نسيبة في يوم ٢ بر موجب تقرير قاضي مورخ في ١٤ القعدة سنة ٩٧٦	عبد القادر مولانا زكريا ابن أمير علي في يوم ٢ بر موجب تذكرة جديد مورخة بأوایل رجب سنة ٩٧٦	سيد محمد بن سيد كريم الدين في يوم ٢ بذكر أخيه سيد احمد

سيد محمد ابن سيد كريم الدين في يوم ٢ بذكر اخيه سيد احمد	علي حاج قاسم نفطجي في يوم ٣ بر موجب براه جديد مورخة في ٥ ربيع الأول سنة ٩٧٦	شيخ موسى غضية في م ١ بر موجب براه جديد مورخة في ٢١ الحجة سنة ٩٧٥
أبو العون حافظ اجزا في يوم ١ بر موجب براه جديد مورخة في ١٣ محرم سنة ٩٧٥	شيخ أبو العون مفرق اجزا في يوم ٢ بر موجب غرض صحيح	أبو العون مفرق اجزا شريفة في يوم ٣ بر موجب براه جديد مورخة في ١٧ صفر سنة ٩٧٦
		احمد كاتب وقف قهامة في يوم ١٥ بر موجب براه جديد مورخة في ١٧ ربيع الأول سنة ٩٧٥

وفيا يلي بعض الملاحظات والتعليقات على هذه الوثيقة :

نلاحظ أن الوثيقة تذكر اسماء العاملين في مقام النبي موسى في أواخر القرن العاشر/ السادس عشر، واسماء الوظائف التي كانوا يشغلونها والوثيقة التي تم بموجبها التعيين سواء كانت براءة (أو براءة) من السلطان أو تذكرة من الوالي أو تقريراً من قاض.

ويبلغ عدد العاملين المذكورين في الوثيقة ٤٦ شخصاً يتقاضون اجورهم من الوقف بالاضافة إلى متولي الوقف الذين لم تذكرهم الوثيقة. وعدد العاملين كبير نسبياً. ونذكر بهذه المناسبة أن عدد العاملين في العمارة التي اقامتها خاصكي سلطان في القدس (التيكية) كان خمسين موظفاً. وقد كانت التكية أكبر منشأة خيرية في فلسطين. ومن هذه المقارنة نتبين أن مقام النبي موسى كان يضم جهازاً كبيراً من العاملين أيضاً. وبطبيعة الحال لا يمكن مقارنة أي من المؤسسات - التكية والمقام - بالحرم القدسي الشريف الذي كان يعمل فيه في القرن

الحادي عشر، كما يقول السائح التركي اوليا جلبي، زهاء ٨٠٠ موظف^(٤١).

أما أنواع الوظائف في جهاز المقام فهي كما يلي :

شيخ مشايخ، كاتب وقف، خادِم جامع، فراش بواب، مؤذن، أنبار دار (مأمور مستودعات)، شعال، خادِم تربة، خادِم، نفطجي (من نفط). حافظ أجزاء، مفرق أجزاء، كاتب وقف قهامة.

ونلاحظ أن هناك ٢٣ شخصاً ذكرت اسمائهم دون ذكر اسماء وظائفهم، أي أنهم معينون بلا وظيفة محددة، في حين أن هناك ٨ وظائف (منها مثلاً: خادِم، مؤذن، فراش وبواب ومفرق أجزاء) معين لكل منها أكثر من شخص واحد أي هناك عدة أشخاص يعملون في وظيفة تحمل الاسم نفسه. وهناك من جهة أخرى أشخاص يشغلون أكثر من وظيفة واحدة. ويبدو أن آل غضية (آل جودة اليوم) كان لهم في ذلك الوقت السهم الأوفر في وظائف النبي موسى، فهناك من بين العاملين الذين وردت اسمائهم كاملة أحد عشر شخصاً من آل غضية.

ويبدو لنا، على الرغم من هذه الوثيقة، أنها لم تكن تضم جميع العاملين بالفعل في المقام إذ يؤخذ من بعض سجلات المحكمة الشرعية في القدس أن عدد قراء القرآن الكريم في مقام النبي موسى بلغ سنة ٩٧٥هـ/١٦٦١م ٢٦ قارئاً^(٤٢)، وهو عدد كبير خصوصاً إذا عرفنا أن عدد القراء في مساجد الرب في مدينة القدس كان يتراوح بين قارئ واحد وثلاثة قراء. ويبدو أن معاليم القراء كانت تدفع من مخصصات الصرة الرومية التي كانت ترد لأهل القدس في كل سنة من مدينة استانبول، لا من الأوقاف مباشرة، ولذلك فلم يظهر القراء في السجل رقم ٦٨. ويتبين من وثيقة من وثائق المحكمة الشرعية بالقدس أنه كان هنالك بين جماعات المستحقين بالصرة جماعة تدعى «جماعات قرا أجزاء شريفة بمقام سيدنا موسى الكلیم». ونعرف من وثيقة ثانية أنه كان يدفع من الصرة الرومية معاليم لقراء الأجزاء

(٤١) أوليا جلبي :

Evliya Tschelbi's Travels in Palestine, translated by St. H. Stephan, The Quarterly of the Dept. of Antiquities in Palestine, Vol. IX no. 1, p. 44 (1939).

(٤٢) محمد احمد سليم اليعقوب، ناحية القدس الشريف في القرن السادس عشر، رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية سنة ١٩٨٦، ص ٣٤٧.

الشريفة عند ضريح سيدنا موسى الكليم في ربعة تدعى بربعة الكليمية وأن «ايقاف ذلك وترتيبه» منسوب للمرحومة «والدة سلطان». والمقصود والدة السلطان سليم الثاني ابن السلطان سليمان القانوني، والمعروفة باسم خرم وبلقب خاصكي سلطان. وقد تكون الإشارة في الوثيقة الثانية أيضاً إلى «جماعت قرا اجزا شريفة بمقام سيدنا موسى الكليم» المذكورة في الوثيقة الأولى. ونورد في ما يلي نص هاتين الوثيقتين:

الوثيقة الأولى

وثيقة من أوراق آل جودة مسجلة في المحكمة الشرعية
في القدس سنة ١١٧١. ١٥٣١

صدر التقرير من الفقير السيد محمد القاضي
بالقدس الشريف
(ختم القاضي).

سبب تحرير الحروف هو أنه بالمجلس الشرعي المحرر المرعي أجله تعالى قرر مولانا وسيدنا العالم الكبير العامل التحرير محرر دقايق الفقه والتفسير مقرر قواعدهما أحسن تقرير أقصى قضاة الاسلام أولى ولاية الأنام صدر أساطين الموالى العظام بدر سماء المعالي الفخام فرع الشجرة الزكية طراز العصاية الكريمة الهاشمية الحاكم الشرعي المولى الموقع خطه الكريم أعلاه دام فضله وزاد علاه حامل هذا الكتاب الشرعي وناقل ذا الخطاب المعبر المرعي مفخر الأفاضل والسادات الكرام السيد جودالله أفندي ريس السادة المؤذنين بالحرم الشريف القدسي في ثلاثة ذهب سلطاني ونصف سلطاني وربيع سلطاني من الصرة الرومية الواردة في كل سنة من قسطنطينية المحمية إلى أهالي القدس الشريف السنية من جماعت قرا أجزاء شريفة بمقام سيدنا موسى الكليم على نبينا وعليه وعلى ساير الأنبياء والمدرسين^(٤٣)

(٤٣) كامل جيل العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، مجلد ٢، ص ٢٧٨.

(٤٤) خطأ : المراد المرسلين.

صلوات الملك الجليل وفي نصف سلطاني وربيع سلطاني من الصرة المزبورة من جماعت قرا
أجزا والده سلطان عليها من الله تعالى الرحمة والرضوان وفي سلطاني ذهباً من الصرة المزبورة
من جماعة مبلغين حرم شريف عوضاً عن ولدي أخيه هما السيد طه والسيد فتح الله بحكم
وفاتهما إلى رحمة الله تعالى وانحلال ذلك عنهما الأيل إليهما ذلك بموجب ثلاث براءة شريفة
سلطانية وأذن مولانا وسيدنا الحاكم الشرعي للسيد جود الله أفندي المقرر المزبور بمباشرة
وأداء خدمة المذكور أعلاه وقبض معلومها وقدره في كل سنة خمسة ذهب سلطانياً ونصف من
الصرة المذكورة وبالإستئابة عند الحاجة تقريراً وإذناً صحيحين شرعيين مقبولين شرعاً تحريراً
في رابع عشر شوال نسمة إحدى وسبعين ومائة وألف .

شهود الحال

الفقيه ابراهيم الخالدي الفقير علي الشهابي الفقير الله الخالدي
الفقيه الحاج محمد الخالدي الفقير حسن الخالدي الفقير فيض الله الخالدي

كاتبه الدقاق

الوثيقة الثانية

عن السجل ١٩٦ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس

سنة ١١٠٥ هـ، الصفحة ١٠٨

قرر مولانا وسيدنا قدوة قضاة الاسلام ذخروالة الأنام زبدة المدرسين العظام الحاكم
الشرعي لحامل هذا الكتاب الشرعي وناقل ذا الخطاب المرعي فخر السادات السيد شرف
الدين بن المرحوم السيد أبي النصر نصف وظيفة قراءة الجزء الشريف من كلام الله تعالى
المنيف عند ضريح سيدنا موسى الكليم على نبينا وعليه صلاة الملك الرحيم، المنسوبة
إيقاف ذلك وترتيبه للمرحومة والده سلطان طاب ثراها المعروفة البرقة المرقومة برقة
الكليمية بما لذلك من المعلوم وقدره في كل سنة ثلاثة سلطانية ذهباً من الصرة الرومية الواردة

في كل سنة من القسطنطينية المحمية إلى القدس الشريف، شركة الشيخ نور الدين غضية، بحق النصف الباقي عوضاً عن فخر المشايخ المكرمين الشيخ علي بن المرحوم الشيخ محمد غضية بحكم فراغه له عن ذلك في يوم تاريخه أدناه بحسن اختياره ورضاه الأيل ذلك للقارئ المذكور بمقتضى براءة شريفة مؤرخة في ثامن عشر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وألف، وأذن مولانا الحاكم الشرعي المشار إليه خلد الله نعمه عليه للسيد شرف الدين المقرر المذكور بمباشرة نصف الوظيفة المزبورة وبقبض معلومها المعين أعلاه، وبلاستناية عند الحاجة تقريراً وإذناً صحيحين شرعيين مقبولين شرعاً، وتعوض الفارغ المزبور من المفروغ له عن نظير فراغه له عن ذلك اثنان وأربعون غرضاً عديدة قبضها بيده بالحضرة والمعاينة قبضاً شرعياً وأشهد على نفسه الفارغ أن المتجمد عن سنة تاريخه للمفروغ له؟ أشهاداً شرعياً، تحريراً في أوائل جمادى الأولى سنة خمس ومئة وألف.

ويتبين من هاتين الوثيقتين أن الوظائف في مقام النبي موسى - شأنها شأن الوظائف عموماً - كانت تورث، كما كانت تباع، وفق الاجراء المعروف بالفراغ أو التنازل.

وقد ترتب على ذلك أن الوظيفة الواحدة كانت تنقسم بالتالي بين العديد من الأشخاص. ونحن نعرف أيضاً أن كثيراً من الوظائف كانت شكلية ولم يكن مشغلوها يؤدون أي عمل في أكثر الأحيان. وتقدم الحجة التالية المؤرخة في سنة ١١٠٤هـ / ١٦٩٣م، مثلاً على تفتيت الوظائف، فقد ورث أحد الأشخاص نصف ثمن وظيفة خدمة سيدنا موسى الكليم:

[قرر الحاكم الشرعي المومى إليه لحاملي هذا الكتاب الشرعي أولاد المرحوم فخر أقرانه سليمان بشة ابن عبدالله تابع سيد السادات المعظمين السيد عبد الغني أفندي شيخ الحرم القدسي حالا نصف ثمن وظيفة خدمة سيدنا موسى الكليم عليه الصلاة والسلام وثمان وظيفة خدمة النبيين الجليلين سيدنا لوط وسيدنا يونس عليهما صلاة الملك الودود بما لذلك من المعلوم وقدره في كلي يوم عثماني عوضاً عن والدهم المذكور بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى وانحلال ذلك عنه وأذن مولانا الحاكم الشرعي المومى لجنابه أعلاه للمقررين المذكورين بمباشرة الوظيفتين المرقومتين وبقبض معلومها المعين أعلاه وبلاستناية عند الحاجة تقريراً وإذناً صحيحين مقبولين شرعاً. تحريراً في ثاني عشر رجب الحرام سنة أربع ومائة وألف. (٤٥)]

(٤٥) سجل ١٩٤، ص ٣٩٥ (من ميجلات المحكمة الشرعية بالقدس).

وننتقل الآن إلى تولية أوقاف النبي موسى عليه السلام . لقد مرّ معنا في كتاب وقف بيبرس على مقام النبي موسى أن بيبرس «نصب متولياً لأقامة مصالح كافة الموقوفات ورعاية مهمات هذه المسبلات من البناء والتعمير والاستغلال والقبض والبسط والحفظ والضبط وأمر السجّل عين العلماء والمدرسين الكرام بدر سما المعالي الفخام صدر أساطين الموالي العظام قدوة الصلحا الشيخ الشريف عبدالله بن يونس» . وقد مرّ معنا ذكر الشيخ عبدالله بن يونس الأرموي الذي قال العمري إنه رأى النبي موسى في المنام في موضع المقام وتحدث إليه فتأكدت لديه بذلك صحة القبر.

وليس لدينا بعد ذلك معلومات تتصل بالتولية على المقام فيما تلا ذلك في العصر المملوكي بيد أن ما لدينا من الوثائق العثمانية يُظهر أن التولية على المقام كانت في عهدة آل يونس (أو آل الشيخ يونس) .

وقد نستنتج من ذلك أن التولية كانت كذلك طوال العصر المملوكي أيضاً . ومن بين الوثائق العثمانية المشار إليها براءة سلطانية مكتوبة باللغة التركية ومؤرخة في ٥ صفر سنة ١١١٩ . وذكر المرحوم عبدالله مخلص أن البراءة المشار إليها كانت في حوزة آل يونس . وقد رآها وترجمها الى العربية وفيما يلي ترجمتها :

«هو المعين»

بناء على فراغ تولية الأوقاف الشريفة لسيدنا موسى كليم الله صلوات الله علي نبينا وعليه الواقعة بلواء القدس الشريف وهي خربة ابي فلاح وواد فوكين والأراضي الواقعة بجوار المقام الشريف المحدود قبلة واد الضبر، شمالا الكثيب الأحمر والفوار والعوجة شرقاً، بحيرة لوط غرباً دير السيق فقد وجد أن المستحق لها هو قدوة الصلحاء السالكين الشيخ محمد بن نورالله ابن الشيخ يونس زيد صلاحه فعيناً حامل هذا التوقيع السلطاني الرفيع الشأن متولياً على الأوقاف المزبورة على أن لا يمانعه أحد أو يزاحمه فرد أو يتعرض إليه . هكذا فليعتمد في خامس صفر سنة ألف وتسعة عشر ومائة .

محروسة القسطنطينية»

وعلق عبدالله مخلص على البراءة فقال إن الطغراء السلطانية التي تتوج بها البروات عادة، وتكتب في وسط الورقة، وردت في آخر البراءة ثم قال : ولم نجد تعليلاً لهذه المخالفة في جعل الطغراء في ذيل البرات بدلاً من جعلها في أعلاها سوى الظن بأن رجالات الديوان

السلطاني رأوا من لزوم الأدب مع سيدنا موسى الكليم أن لا يضع السلطان توقيعاً فوق اسمه الكريم وهو في منتهى الذوق وحسن العقيدة الوافرة لنبي الله العظيم. (٤٦).

ولدينا من الوثائق العثمانية أيضاً وثيقة أخرى تاريخها سنة ١١١٥ هجرية، أي قبل البراءة السابقة الذكر بأربع سنوات تفيد أن القاضي أذن في سنة ١١١٤ للشيخ نور الله أفندي ويونس أفندي واسحق أفندي بوصفهم متولين ونظاراً على أوقاف سيدنا موسى بعمل السباط للموسم والاستدانة لهذا الغرض والرجوع إلى جهة الوقف. (٤٧).

ويرجح أن الشيخ نور الله الوارد اسمه في هذه الوثيقة الشرعية هو والد محمد (بن نور الله) الوارد اسمه في البراءة السلطانية.

ولدينا وثيقة ثالثة مؤرخة في سنة ١١٣٩ هـ / ١٧٢٦ م هي وقفية الشيخ محمد الخليلي التي تشير إلى متولّي وقف النبي موسى «المرحومين موسى أفندي واسحق أفندي» (٤٨). واسحق أفندي هو بالطبع المتولي الذي ورد اسمه في الوثيقة السابقة. وجميع هؤلاء المتولين هم من آل يونس كما هو ظاهر.

إلا أن تولية أوقاف النبي موسى (ونظارة الموسم) لم تبق في عهدة آل يونس وحدهم. فمن أوائل القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي نرى أن التولية أصبحت مشتركة بين آل يونس وآل الحسيني. ومن ذيول هذا الاشتراك أن إدارة موسم النبي موسى كانت في القرن التاسع عشر في عهدة آل الحسيني وتسلسلت فيهم حتى نهاية الانتداب البريطاني. ومن ذيولها كذلك أنه أصبح لكل عائلة من هاتين العائلتين مطبخ خاص بها يطبخ الطعام للزوار، وأصبحت كل عائلة تعين حارساً من قبلها للمقام.

في أوائل القرن التاسع عشر (ربما في العقد الثاني منه) قام الشيخ حسن العطار (٤٩) بزيارة إلى بلاد الشام وزار بيت المقدس، ونزل فيها في بيت نقيب الاشراف السيد عمر بن

(٤٦) عبدالله مخلص، مخطوط «أعلام الاسلام في موطن الانبياء فلسطين»، ج ١، ص ١٣٤.

(٤٧) السجل ٢٠٢، من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس (سنة ١١١٥)، ص ٦٦.

(٤٨) الشيخ محمد الخليلي، وثيقة مقدسية تاريخية، ص ٤٢.

(٤٩) الشيخ حسن بن محمد العطار، أصله من المغرب، وولد في القاهرة سنة ١١٨٠ / ١٧٦٦ م. وبعد الاحتلال الفرنسي لمصر (سنة ١٧٩٨) بوقت قصير ارتحل إلى الشام وأقام في دمشق وتجول في بلاد كثيرة ثم رجع إلى مصر فتولى التدريس في الأزهر وتولى رئاسته سنة ١٢٤٦ / ١٨٢٨ م، وتوفي سنة ١٢٥٠ / ١٨٣٤. (خليل مردم بك، «أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع»، ط ٢، ص ١٥٥ - ١٥٦).

عبد السلام الحسيني^(٥٠) ووصف رحلته إلى القدس فقال : «فتزلت في دار السيد عمر أفندي وليس ثمة دار أهلة للواردين سواها . وكان المذكور معزولا عن نقابة الاشراف ، وله عادة ورثها عن سلفه الأقدمين عمل الموسم الموسوي بالتوجه لضريح السيد موسى الكليم فيبذل الهمة مالا وبدناً في إقامة شعائر الموسم واطعام الطعام إلى انقضاء الموسم ، فاتفق أن جاء المنصب قبل الموسم بيومين وعزل المتولي الذي كان لا يستحق هذه الوظيفة الشريفة» .^(٥١)

ويظهر أن نقابة الاشراف ونظارة الموسم والتولية على أوقافه كانت قد أصبحت وظائف مرتبطة عملياً بشخص واحد من آل الحسيني . وأصبح معروفاً في القدس في القرن الماضي على أية حال أن تولية أوقاف النبي موسى هي في عهدة آل الحسيني^(٥٢) .

لكن الواقع ، كما قلنا ، هو أن التولية أصبحت مشتركة بين آل الحسيني وآل يونس . ولا نعرف السنة التي حدث فيها ذلك . ولكننا نعتقد أن ذلك تم في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، وهي فترة تميزت بزيادة نفوذ آل الحسيني في القدس وفلسطين بأسرها . وكان من أبرز مؤسسي مكانة آل الحسيني السيد عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف المتوفي سنة ١١٨٨ / ١٧٧٤ - ١٧٧٥ . وقد تولى أبناؤه عبد الله وحسن وعبد الصمد ومصطفى وأحفادهم مناصب الافتاء ونقابة الاشراف ومشيخة الموسم غالباً منذ أواخر القرن الثاني عشر / الثامن عشر حتى القرن الرابع عشر / العشرين^(٥٣) .

ولعله من الطبيعي في تلك الظروف أن يمتد نفوذ آل الحسيني ليشمل ، من بين أشياء

(٥٠) هو عمر بن عبد السلام بن عبد الله بن عبد اللطيف الحسيني . كان جده وجد أبيه نقيبين للاشراف في القدس ، وورث عنها وظيفة النقابة ، وأصبح نقيباً للاشراف سنة ١٢١٤ / ١٨٠٠ ، وبقي فيها أكثر من ثلاثة عقود ، ويبدو أنه عزل أثناءها من هذه الوظيفة فترة قصيرة ، ولكنه عزل نهائياً وخلفه ابنه مسعود علي سنة ١٨٣٤ ، بعد أن نفي إلى مصر إبان الثورة على المصريين . توفي سنة ١٢٦٦ / ١٢٥٠ ، (عادل مناع ، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني ١٨٠٠ - ١٩١٨ ، ص ١١٩ - ١٢٢) .

(٥١) علي مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، ص ٣٩ ، وعادل مناع ، أعلام فلسطين ، ص ١٢٠ .

(٥٢) انظر أيضاً : Gabriel Baer, "Jerusalem's Notables and the Waqf" في كتاب : Palestine in the Late Ottoman Period, ed. by D. Kushner, p. 112.

(٥٣) انظر بشكل خاص : Butrus Abu-Manneh, The Husaynis, The Rise of a Notable Family in 18th Century Palestine. وكذلك : حسن بن عبد اللطيف الحسيني «تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر» ص ٣١٧ - ٣٣٠ .

أخرى، الاشراف على أوقاف النبي موسى ونظارة موسمه، خصوصاً بعد أن اكتسب الموسم طابعاً جماهيرياً أوسع. أثناء القرن الثالث عشر/ التاسع عشر وازدادت أهميته باضطراب.

وقد آيد ما ذهب اليه ظني حول ظروف اقتسام التولية ونظارة الموسم بين آل يونس وآل الحسيني السيد وفيق يونس الحسيني واضاف بعض التفاصيل نقلاً عما سمعه من أسلافه من عائلة يونس فقال:

لقد ظل أمر تولية أوقاف النبي موسى في آل يونس وحدهم حتى بداية القرن التاسع عشر وربما أواخر القرن الثامن عشر. وفي تلك الأوقات كان حبل الأمن مضطرباً في منطقة مقام النبي موسى، وكانت منطقة المقام والطريق المؤدى إليه من القدس عرضة باستمرار لهجمات البدو وقطاع الطرق فأصبح من المتعذر على آل يونس القيام بواجباتهم تجاه المقام بوصفهم متولين على أوقاف النبي موسى، وعلى الموسم. ولما كان آل الحسيني في ذلك الوقت في طليعة العائلات المتنفذة في مدينة القدس وكانوا على صلات قوية بالولاة والحكام العثمانيين فقد ارتأى آل يونس الاعتماد على نفوذ آل الحسيني ليتمكنوا من القيام بواجبات التولية وأداء شعائر الموسم، وهكذا تنازل آل يونس عن نصف وظيفة التولية إلى آل الحسيني، وصدر على الأثر فرمان سلطاني من استانبول باقتسام التولية بين العائلتين.^(٥٤)

وفي ختام حديثنا عن أوقاف النبي موسى نتحدث عن ريع الأوقاف. ونقول بالاجمال إن ريع هذه الأوقاف كان كبيراً لكثرة الموقوفات من قرى وأراضٍ زراعية ودور وعقارات أخرى مختلفة ولكن ليست لدينا من المعطيات الرقمية عنها إلا القليل: ومن هذه ما ورد في المجلد ١٩ من مجلدات الدفاتر المهمة العثمانية - مهمة دفتر لري - في الوثيقة ١٢١، المؤرخة في ١٩ محرم ٩٨٠هـ - ١ حزيران ١٥٧٢م - وهي فرمان موجه من السلطان العثماني إلى حاكم سنجد القدس وقاضيهام ومتولي الأوقاف السلطانية ويفيدنا هذا فرمان أن ريع أوقاف النبي موسى والنبي يونس والنبي لوط كان يبلغ ١٢١٩٠ أقة في السنة^(٥٥). ولا شك أن القسم الأعظم من الريع كان يخص وقف النبي موسى، أكبر هذه الأوقاف جميعاً.

ويبدو أن دخل الأوقاف كان ينخفض باضطراب خصوصاً في القرن الحادي عشر/

(٥٤) من حديث السيد وفيق يونس الحسيني للمؤلف، اوائل ١٩٨٩م.

(٥٥) U. Heyd, Ottoman Documents on Palestine, p. 158.

قد نأخذ فكرة عن قيمة الأقة الفعلية في القرن العاشر الهجري من ملاحظة أن متوسط دخل العاملين في مقام النبي موسى، في ذلك القرن كان ٦٠ أقة شهرياً.

السابع عشر وما بعده نظراً لاضمحلال القرى والمزارع ، وتدهور الأوضاع الاقتصادية في الشطر الأخير من الحكم العثماني .

أما في زمن الانتداب البريطاني فنعرف من المرحوم عبدالله مخلص أن ريع أوقاف النبي موسى السنوي في سنة ١٩٤٢ كان نحو ٧٥٠ جنيهاً فلسطينياً . ولم يكن هذا الريع يكفي أحياناً للانفاق على الموسم والمقام فكانت إدارة الأوقاف تضطر إلى تأمين الزيادة .^(٥٦) .

أما الوضع الحالي لأوقاف النبي موسى فقد توجهنا بسؤال عنه إلى وزير الأوقاف في عمان فتكرم بسؤال إدارة الأوقاف بالقدس وزودني بصورة عن كتاب بعث به إليه مدير أوقاف القدس بهذا الشأن (بتاريخ ١٤٠٦/٢/٥ ، الموافق ١٩٨٥/١٠/٥) وجاء فيه ما يلي :

[ساحة وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارة لكتابكم ذي الرقم ٩٢/أملك/٩٢٧٧ ، تاريخ ١٩٨٥/٩/٢٤ .

أرجو أن أبين المطلوب عن مقام النبي موسى عليه السلام فيما يلي :

أ ان الأعيان الموقوفة على مقام النبي موسى عليه السلام حسب ملفات وسجلات الواردات بدائرة أوقاف القدس هي :

١ - بيت مؤلف من ثلاث غرف ومنافع في عقبة التكية بالقدس وهو بايجارة السيد أحمد توفيق عليان .

٢ - أراضي بدير حجلة والزور وهي مساحة أرض زراعية تقع في أريحا ويحدود خمسة آلاف دونم تم تأجير ٢٥٠٠ دونم منها تقريباً وبأجرة قدرها ديناراً أردنياً واحداً لكل دونم .

٣ - أرض الخديوي ومساحتها ٢٠ دونماً تقريباً منها ١٢ دونماً عليها مساكن لأهالي دير ياسين وبأجور تقدر بمجموعها بمئة دينار سنوياً وثمانية دونمات (بيارة) بايجارة السيد احمد التيجاني بأجرة سنوية قدرها ١٥٠ ديناراً .

٤ - موقع الخيران الشمالي مقابل خيم عقبة جبر ومساحتها (٧٥٣ و ٧٥٠) دونماً (خمس)

(٥٦) عبدالله مخلص ، مدير الأوقاف العام سابقاً في فلسطين ، في مقاله : كيف ومتى بدأ موسم النبي موسى عليه السلام ، مجلة هنا القدس ، العدد ٦ ، السنة ٣ ، بتاريخ ١٩٤٢/٣/٢٩ ، ص ١١ .

وسبعين دونماً و٧٥٣ متراً مربعاً) مؤجرة لجمعية البر بأبناء الشهداء لمشروع زراعي منذ ١٩٨٠ بأجرة سنوية قدرها (٢٥) ديناراً.

ب- إن الموظف الوحيد الذي يعمل في مقام النبي موسى عليه السلام هو :
السيد محمد اسماعيل الجمل وهو يعمل حارساً للمقام . [

ويتبين من مقارنة ما ورد في هذه الرسالة بالأوقاف الكثيرة التي وقفت على مقام النبي موسى من قديم الزمان وعلى توالي العصور، كما ذكرنا سابقاً، أن كثيراً من أوقاف النبي موسى قد درست، وأن كثيراً من أراضيها قد انتقلت إلى أيدي أفراد أو عائلات في المناطق المختلف بقضاء أريحا وقضاء رام الله وغيرهما، وأصبحت الآن أملاكاً خاصة، شأنها في ذلك شأن العديد من الأوقاف الخيرية في غير مكان من فلسطين وغيرها من البلدان .

القسم الثاني

موسم النبي موسى

تاريخ الموسم

ووصف رسومه واحتفالاته

الفصل الرابع

الجدور التاريخية لموسم النبي موسى عليه السلام

المواسم والأعياد قديمة قدم التاريخ البشري ، وكانت تتخذ في بداياتها شكل الاحتفالات الدينية التي استهدفت احياء حدث من الأحداث أو الاحتفاء بمناسبة من المناسبات . ومهما كان الشكل الذي اتخذته الأعياد ، فقد كانت تنبثق من حاجات الناس الاجتماعية والاقتصادية وتلبي مطالب اجتماعية . وهي بدورها تكسب المجتمعات تماسكاً ضرورياً للاستمرار وتمدّد الفرد بطاقة متجددة وقدرة على العمل والانتاج . وغني عن البيان أن الراحة والاستجمام من العمل ضروريان لمتابعة مسيرة الحياة بجهد ودأب .

وتقترن الأعياد بالأكل والشرب والغناء والرقص ومختلف صنوف الترفيه وأنواع الألعاب ، وكثير منها كان يعقب مواسم الصيام ، فيتأتى للفرد بذلك نوع من الوسطية والاتزان بين التقشف والشطف وبين الدعة والرفاهية ، بين الجد وبين اللعب . واذ اتخذت الأعياد القديمة شكلاً دينياً ونشأت كجزء من الشعائر الدينية فقد أسبغت الأديان عليها رموزاً وطقوساً كان ينبغي مراعاتها والالتزام بها .

غير أنه لا بد لنا أن نلاحظ من جهة أخرى أن الأعياد ارتبطت من حيث الأساس ومنذ القديم بأسباب اقتصادية مختلفة وخاصة بالزراعة . فالاعتراف بأهمية اختلاف الفصول بالنسبة للمحاصيل الزراعية أدى إلى قيام أعياد مخصصة في فصول السنة المختلفة ، وعلى الأخص في فصل الربيع الذي هو فصل الوفرة والنماء ، ولذلك نشأت طقوس وممارسات دينية مرتبطة بها ، وعلى أساس الاعتقاد بأن وفرة الطعام تعتمد على القوى المقدسة التي تخضع لها القوى الطبيعية فيما يتعلق بالنباتات والحيوانات والأحوال الجوية والأنهار. ^(١)

وتقول الموسوعة البريطانية : ان التوسّل (أو التوصل) الى القوى المقدسة كان يتم إدراكه (والمحافظة عليه) بشفاعة شخصيات دينية معينة . . وفي وقت محدد في التاريخ البشري القديم (حوالي ٨٠٠٠ - ٦٠٠٠ ق.م في الشرق الأدنى القديم) وبعد أن ربطت

"Feast and Festival"

(١) انظر البحث القيم الذي نشرته الموسوعة البريطانية بعنوان

The New Encyclopaedia Britannica - Micropaedia - vol. 7, 1981, pp. 197-202.

فصول السنة بالزراعة والحصاد خصصت أيام معينة أو فترات معينة على الأرجح للصوم (نظراً لقلة المحاصيل الغذائية) أو للتعيد (نظراً لزيادة المحاصيل الغذائية). وخصّصت أيام معينة في هذه الفترات للقيام بشعائر دينية (من ضمنها الأعياد غالباً) يُحتفل فيها بتجدد فصول الطبيعة، وتسبغ عليها مفاهيم التجديد الروحي للفرد أو للمجتمع. ومن هذا المنطلق كثرت في الأزمنة الغابرة الاحتفالات المرتبطة بفصول السنة المختلفة وخصوصاً فصل الربيع، الذي تتجدد فيه الطبيعة وتكسى حُلة من النضرة وتغل فيه الأرض الغلال الوفيرة. وهناك سلسلة طويلة من أعياد الربيع عند مختلف الأمم ولدى الكثير من الأديان والثقافات القديمة، وهي تتضمن فيما تتضمنه الابتهاال إلى الآلهة (أو إلى شخصيات مقدسة يتقرب بها إلى رضائها) وتقديم القرابين والأضحيات لها، وكذلك الفرح والابتهاج والاحتفال بما أسبغته على البشر من خير عميم في فصل الربيع. وكان ذلك يقترن على الدوام برسوم وشعائر وممارسات متعددة ومعقدة. فعند الزورواستريين (الزردشتيين) الفرس نشأ احتفال السنة الجديدة المعروف بالنيروز في فصل الربيع (وكانت سنتهم تبدأ في هذا الفصل) ليعبر عن الاحتفال البهيج بالحياة الجديدة في الطبيعة وعن بعث الأجسام بعد موتها إثر هزيمة أهريمان (إله الشر). وفي مصر القديمة كانت تقام احتفالات بتجدد فصول السنة وترتبط بتقديم الأضاحي والأكل والشرب والألعاب التمثيلية والكرنفالية. وكانت هذه الاحتفالات الدينية تتضمن تصورات وطقوساً شاعت فيما بعد في الديانات الرومانية الاغريقية وكذلك في الديانات السامية وخاصة الديانة اليهودية القديمة والديانة المسيحية، وانتقلت عناصر منها إلى الاحتفالات الاسلامية.

ونذكر من هذه الاحتفالات الدينية المصرية القديمة الاحتفال الذي كُرس للاله من (Min) والذي كان يقام بمناسبة شهر الحصاد (نيسان) وتنظم فيه المواكب وترتل التراتيل وتؤدي الرقصات ابتهاجاً بتجدد الطبيعة، [وهو عيد شم النسيم اليوم].

وفي بابل أيضاً كان يقام الاحتفال بالسنة الجديدة في شهر نيسان، وكان هذا الاحتفال يمتد من عشرة أيام إلى اثني عشر يوماً، وتذبح فيه في اليوم الخامس شاة يلقي برأسها في النهر وبجسمها في البراري، رمزاً لتخليص المجتمع من قوى الظلام (ويشبه هذا شعيرة القربان عند اليهود القدماء، والتي تنقل فيها خطايا المجتمع إلى عنزة تلقى في البراري بعيداً عن الناس).

ومن بين أعياد الربيع عند الأمم الأخرى عيد مارس (آذار) عند الرومان وعيد ديونيسوس وادرياني عند اليونان الذي يحكي اسطورة ترمز إلى البعث وصحوة الربيع.

ومن أعياد الربيع القديمة في بلاد الشام عيد كان يحتفل به الأنباط في شهر نيسان تكريماً لالههم (ذو الشرى) ، ويطلق مؤرخو الرومان على هذا العيد اسم Acta Dusaria

وكانت شعائر هذه الأعياد وتقاليدها تنتقل من أمة إلى أمة ومن دين إلى دين بعد تغيير وتحوير يناسب الظروف والتقاليد السائدة في الأمم المختلفة . . وعندما كان ينتصر دين من الأديان في نزاعه مع الأديان الأخرى كان يتبنى في كثير من الأحيان عناصر من أعياد الأديان المقهورة واحتفالاتها . وكان هذا أمراً شائع الحدوث عند الديانات العالمية القديمة والحديثة . وحتى في الأزمنة الحديثة وفي الأعياد العلمانية ، نلاحظ أحياناً شيئاً من ذلك . فعيد العمال في أول أيار يرتدّ في أصوله القديمة إلى احتفال بالخصوبة التي يأتي بها الربيع كان يقام في العصر الهليني ، ويدعى احتفال الأم العظمى (Magna Mater) .

ومن الجدير بالذكر في هذه المناسبة أن أصول عيد الميلاد المسيحي الذي يقع في ٢٥ كانون أول من كل عام ترجع إلى عيد شتوي كان يقيميه الرومان من ١٧ إلى ٢٤ من كانون الأول ويعطلون فيه ويحتفلون فيه احتفالاً صاخباً ، وإلى عيد إيراني قديم هو عيد ميثرا اله النور، وكان يحتفل فيه في ٢٥ كانون الأول في كل عام .

وكمثال بارز على انتقال شعائر الأعياد واحتفالاتها من أمة إلى أخرى ومن دين إلى دين نذكر عيد الفصح عند اليهود، الذي يسمّونه بيسح : (Passover) ، وهو أحد الأعياد اليهودية الرئيسية ويحتفل به ابتداء من ليلة البدر الأولى في شهر الربيع . ويضم احتفالاً بحصاد فصل الربيع .

تقول موسوعة Meyer الألمانية عنه :

«أصله بلا شك عيد ربيع بدوي ولكنه نقل إلى الديانة اليهودية منذ وقت قديم ذكرى لخروج اليهود من مصر»^(٢) (زمن النبي موسى) ونقول : غير مستبعد أن يكون اليهود قد تأثروا أيضاً باحتفالاتهم في هذا العيد بأعياد الربيع في مصر القديمة وبابل وسواهما .

ومن الأعياد اليهودية في فصل الربيع نذكر أيضاً عيد البوريم الذي يحيي فيه اليهود ذكرى فشل محاولة استئصالهم في الامبراطورية الفارسية سنة ٤٧٣ ق . م ، كما جاء في سفر استير . وهذا العيد الذي يحتفل به في ١٤ / ١٥ آذار العبري (شباط - آذار) منقول عن عيد

(٢) مادة Passah في Meyers Neues Lexikon, Band, 6 (Leipzig, 1963)

بأبلي يمثل انتصار الربيع على الشتاء. (٣).

وعيد الفصح في المسيحية مرتبط ارتباطاً وثيقاً بعيد الفصح عند اليهود، بل إن عيد يسوع اليهودي قد أخلى مكانه في المسيحية لعيد الفصح Easter و Ostern (٤). وبالإضافة إلى المؤثرات اليهودية في عيد الفصح عند المسيحية هنالك مؤثرات جرمانية.

تقول موسوعة مأير :

«عيد الفصح أصله عيد جرمانى وثني سمي كذلك باسم الهة الربيع الجرمانية Ostara ثم جعله المسيحيون عيداً لقيام المسيح. ويرتبط بعيد الفصح عادات وأعراف سابقة للمسيحية. ومنذ مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م. حدد تاريخ عيد الفصح في يوم الأحد الأول الذي يأتي بعد البدر الأول بعد وقوع الاعتدال الربيعي. أي أنه كان يحسب وفق حركات القمر الطبيعية ضمن السنة الشمسية» (٥).

وهكذا يمكن أن يقع في أي وقت بين ٢٢ آذار و ٢٥ نيسان.

ومعروف أن عيد الفصح هو أكبر الأعياد المسيحية فهو عيد اخراج الحي من الميت، عيد قيامة السيد المسيح من قبره، حسب العقيدة المسيحية.

وضمن هذه السلسلة من أعياد الربيع في التاريخ وعند مختلف الأمم يمكن أن تدرج المواسم التي يحتفل بها الفلسطينيون في فصل الربيع من مثل موسم النبي موسى، وموسم النبي صالح وموسم الحسين أو موسم وادي النمل في جورة عسقلان. ويقال إن هذا العيد الأخير هو امتداد لعيد قديم سابق لعصر صلاح الدين الأيوبي (٦). وشأن أعياد الربيع من حيث تحدّرها من أصول قديمة شأن الأعياد التي تقام في الفصول الأخرى. فموسم النبي روبين الذي يقام في الصيف والخريف (تموز وآب وأيلول) عند نهر روبين قرب يافا كان مثلاً موسم الخريف والحصاد عند الكنعانيين. وتبرز في المواسم الفلسطينية كلها ملامح وعناصر من الأعياد القديمة رجوعاً إلى زمن الكنعانيين والمصريين والبابليين. ومن ذلك إقامة المهرجانات والمواكب وحفلات الغناء وتلاوة الأدعية والصلوات والابتهالات، ونحر الذبائح

(٣) G. Dalman, Arbeit und Sitte I(2), p. 443.

(٤) انظر مادتي Easter و Passover في : The Macmillan Encyclopaedia

(٥) مادة Ostern في : Meyers Neues Lexikon Band 6, p. 318

(٦) نمر سرحان، موسوعة الفولكلور الفلسطيني، مج ٣، ص ٥٧١

وتقديم الأضاحي وصبغ البيض، وصبغ الأيدي بالحنة وصبغ الحيوانات باللون الأحمر (يوم الجمعة في الأسبوع السابق لعيد الفصح، ويطلق عليه جمعة المغري، وصبغ الحيوانات عادة قديمة مأخوذة عن المصريين القدماء). وصنع الحلويات وأنواع المأكّل (ومنها صنع الخبز الفطير بالخليل يوم الثلاثاء السابق لعيد الفصح والذي يذكر دالمّان بخبز الفطير في عيد الفصح عند اليهود) وكذلك الاحتفال بأربعة أيوب يوم الأربعاء السابق لعيد الفصح (ويقال إنّ النبي أيوب شفي فيه).^(٧)

وكانت عناصر من هذه المواسم تتحوّر وتتغير مدلولاتها على مدى التاريخ على ضوء العقيدة السائدة وباختلاف الظروف الاجتماعية بل إنّ أسماء المواسم نفسها كانت تتغير أحياناً حسب الأزمنة والعقائد، وكذلك كانت تتغير أحياناً أماكن انعقادها، وبذلك تظهر في أثواب تبدو جديدة تماماً.

وجدير بنا أن نشير في هذا المقام إلى أن الأعياد الشعبية الفلسطينية التي كانت سائدة عندما قدم العرب المسلمون إلى فلسطين كانت ذات صبغة مسيحية في الغالب، مهما كانت العناصر المؤلفة لها قديمة موعلة في القدم ومستقاة من احتفالات يهودية أكثرها مأخوذ من الكنعانيين القدماء والبابليين والمصريين.

والروزنامة الشعبية الفلسطينية بما فيها من احتفالات وأعياد متصلة بفصول السنة المختلفة، كما وجدها العرب المسلمون عند دخولهم البلاد، كانت تقوم على الأعياد المسيحية في زمن البيزنطيين، فبداية العام عند الفلاح الفلسطيني تأتي مع انتهاء فصل الحريف وبداية فصل الشتاء. وكانت بداية العام الجديد عند الفلاح تأتي في عيد الصليب^(٨) يوم ٢٧ أيلول بالحساب الارثوذكسي (الشرقي) (١٤ أيلول بالحساب الغريغوري الغربي). ومن الأمثال الدارجة في فلسطين: «مالك الصيفيات بعد الصليبيات» و«إن ابرقت على الصليب ما بتغيب». أما التحديد الآخر للروزنامة الشعبية لبداية الشتاء فهو يوم ١٦ تشرين الثاني في التقويم الارثوذكسي (الشرقي) (الثالث من تشرين الثاني حسب التوقيت الغربي). وهذا اليوم هو يوم عيد مار جريس (جورج)^(٩) - عيد لد - . ومن الأمثال المأثورة: «في عيد لد

(٧) انظر في ذلك كله دالمّان - المصدر السابق، ص ٤٢٩، ٤٣٠.

(٨) ويمثل ذكرى عثور الملك قسطنطين وهيلانة على الصليب الذي يعتقد المسيحيون أن المسيح صلب عليه.
(٩) مارجريس، مارجورج، أو جاورجيوس من أشهر القديسين في المسيحية. كان جندياً في الجيش الروماني في قبادوقيا (آسيا الصغرى) حيث ولد ونشأ. وفي سنة ٣٠٣ م أيام الامبراطور ديوكليتيانوس مات شهيداً للمسيح في مدينة ديوسبوليس، وهي اللد. فأقيمت على قبره كنيسة. وقد نسجت المخيلة الشعبية روايات كثيرة حوله، أشهرها عن قوته الخارقة التي تمثلت في قتله التين برمحه. ويعرف مارجريس أيضاً باسم الخضر.

شدّ يا فلاح شدّ ما بقي للشتاتعدّ» وفي عيد لد احرت وشدّ». (١٠)

ويلاحظ أن الأمثال الشعبية الفلسطينية المتصلة بالزراعة تشير إلى أشهر السنة الشمسية (ذات التسميات السريانية) التي تأتي في موعد ثابت كل عام حسب فصول السنة وهكذا يقال : «في كانون كون في بيتك وكثر حطبك وزيتك»، «شباط ما عليه رباط» و«خلي فحماتك الكبار لعمك آذار» و«مية نيسان بتحبي الانسان» و«في نيسان ضبّ العدة والفدان» (كناية عن انتهاء موسم الزراعة) و«في تموز تغلي الميه في الكوز» و«في آب اقطف اقطف ولا تهاب» و«أيلول ذنبه مبلول» و«ما بين تشرين أول وتشرين ثاني صيف ثاني». . الخ وكذلك فان تقسيم السنة ، يتم في سبعة أقسام مقدار كل منها خمسون يوماً :

الأول : (من العيد (أي عيد الفصح) للعنصرة^(١١) خمسين يوم مقدرة. .) وفيها يحل حصاد العدس والكرسنة.

الثاني : (من العنصرة إلى المنطرة) أي بداية نظر - حراسة - الكروم ، وتنتهي بعيد مار الياس (٢ آب شرقي ، ، ٢٠ تموز غربي) ، وفيها يحل حصاد القمح والشعير.

الثالث : (من المنطرة للمعصرة) أي إلى وقت عصر العنب . . وتنتهي في ٢٧ أيلول غربي (عيد الصليب) ، ومدتها ٥٤ يوماً.

الرابع : (من المعصرة لعيد لد) وتنتهي في ١٦ تشرين ثاني شرقي (٣ تشرين ثاني غربي) وفيها موسم الزيت والزيتون .

الخامس : (من اللد للميلادي) ، أي من عيد لد إلى عيد ميلاد المسيح (٢٥ يوماً) وهي تصادف موسم الحراثة والبذار والحصاد وبدء الأمطار.

السادس : (من الميلادي للصيام - السابق لعيد الفصح -) وهي فترة الشتاء الحقيقي .

السابع : فترة الصيام قبل عيد الفصح^(١٢) .

(١٠) نمر سرحان، موسوعة الفلكلور الفلسطيني - مج ١، ص ١٧٦/١٧٧.

(١١) عيد مشهور عند اليهود والمسيحيين يومىء في اليهودية الى الشكر على محصول الحصاد ويقع بعد عيد الفصح اليهودي بخمسين يوماً. ويقع عند المسيحيين يوم الأحد السابع بعد عيد الفصح وهو ذكرى حلول الروح القدس على الرسل بعد صلب المسيح بخمسين يوماً.

(١٢) نمر سرحان، موسوعة الفلكلور الفلسطيني، مج ١، ص ١٨٢، وكذلك انظر :

Canaan, T., Der Kalender des Palästinenischen Fellachen, ZDPV, Bd. xxxv1, 1913, pp. 266-300.

هذه هي الروزنامة الشعبية التي كانت سائدة بهذه الأسماء عينا في فلسطين منذ حوالي ألفي عام، والتي ظلت قائمة بعد الفتح العربي الإسلامي لفلسطين في القرن السابع الميلادي / الأول الهجري).

وقد ظل الفلسطينيون يعتمدونها حتى بعد اعتناقهم الاسلام بأكثرية الساحقة ويحتفلون بها أو يشاركون في الاحتفال بها بشكل من الأشكال، وذلك جنبا إلى جنب مع الأعياد الاسلامية كعيد الفطر وعيد الأضحى وعيد المولد وعيد الاسراء والمعراج الخ.

ولدينا شواهد من مشاركة المسلمين للمسيحيين في أعيادهم في الفترة الاسلامية الأولى (من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري / السابع إلى القرن الحادي عشر الميلادي):

فنحن نعرف - على سبيل المثال - قول المعلّى بن طريف، مولى الخليفة المهدي (١٥٨ - ٧٧٥/١٦٩ - ٧٨٥م) الذي أنشد في القرن الثاني للهجرة قائلا :

يا صاح إنني قد حججـت وزرت بيت المقدس
وأُتيت لداً عاماً في عيد ماري سرجس^(١٣)
فرايت فيه نسوة مثل الأطباء الكُنُس^(١٤) و^(١٥)

ويشير المسعودي في القرن الرابع / العاشر إلى حضور المسلمين احتفالات عيد الفصح أو عيد القيامة فيقول في فصل بعنوان «شهور السريانيين» ما يلي :

«ولخمس منه - وهو تشرين الأول - عيد كنيسة القيامة ببيت المقدس، وفي هذا اليوم تتجمع النصارى من سائر الأرض، وتنزل عليهم نار من السماء، فيسرج هناك الشمع، ويجتمع فيه من المسلمين خلق عظيم للنظر إلى العيد، ويقتلع فيه ورق الزيتون ويكون للنصارى فيه أقاصيص...»^(١٦).

ويقول المقدسي البشارى بعد المسعودي بحوالي نصف قرن (ت حوالي ٩٨٠م) ما يلي :

(١٣) مارجريس.
(١٤) الكُنُس جمع كانس وهو الظبي يدخل في كناسه أو بيته.
(١٥) ياقوت، معجم البلدان ١٥/٥.
(١٦) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين المتوفى سنة ٣٤٦هـ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، ص ١٨١.

«ومن أعياد النصارى التي يتعارفها المسلمون ويقدرّون بها الفصول الفصح وقت النيروز، والعنصرة وقت الحر، والميلاد وقت البرد وعيد بربراة^(١٧) وقت الأمطار. ومن أمثال الناس إذا جاء عيد بربراة فليتخذ البناء زماراً، يعني فليجلس في البيت، والقلندس^(١٨) ومن أمثالهم إذا جاء القلندس فتدفق واحتبس. وعيد الصليب وقت قطاف العنب، وعيد لّد وقت الزرع. وشهورهم رومية تشرين الأول والثاني كانون الأول والثاني شباط آذار نيسان أيار حزيران تموز آب أيلول»^(١٩)

ومن بين الاحتفالات المسيحية كانت تبرز احتفالات عيد الفصح (أو القيامة) بوصفها أكبر الاحتفالات وأضخمها وأطولها. وكان يشارك فيها عدد كبير من الحجاج الذين كانوا يفدون إلى القدس منذ القرون المسيحية الأولى. ويسبق أحد الفصح بأسبوع واحد أحد الشعانين ويعرف بأحد النخلة، ويرمز إلى دخول السيد المسيح القدس وهو راكب على أتان حاملاً النخيل. وتقوم الطائفة اللاتينية بتمثيل هذه الحادثة متتبعة المراحل التي سار فيها المسيح. وأما الطائفة الأرثوذكسية فتحتفل في تلك المناسبة بتنظيم موكب رسمي مؤلف من البطريرك والاكليروس بألبستهم الرسمية الثمينة يتبعهم رجال الحكومة وأعيان البلد. ثم الأطفال، الجميع يحملون أغصان النخيل المزينة بالأشجار والأشرطة الملونة.^(٢٠)

ويصف لنا يحيى بن سعيد الأنطاكي المتوفى سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م احتفالات عيد الشعانين في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي فيقول:

«وكان رسم النصارى في بيت المقدس جارياً في كل عام بحمل شجرة من شجر الزيتون في عيد الشعانين من الكنيسة التي بالعازرية إلى كنيسة القيامة وبينهما مسافة بعيدة، وأن يشق بها شوارع المدينة بالقراءة والصلوات حاملين الصليب مشهوراً ويركب والي البلد

(١٧) بربراة (القرن الثالث أو الرابع الميلاديين) ابنة شريف وثني من مدينة نيقوميديا بآسيا الصغرى اعتنقت المسيحية سرّاً ثم أعلنت عقيدتها مما أدى إلى اضطهادها واستشهادها. لها شهرة كبيرة عند المسيحيين الشرقيين الذين يحتفلون بعيدها يوم ١٧ كانون الأول (شرقي) - ٤ كانون أول غربي، لا بمظاهر التقوى فحسب بل باقامة الأفراح والولائم.

(١٨) من الكلمة اللاتينية Kalendis وتعني أول كل شهر عند الرومان، وهو اليوم الذي تعلن فيه أوقات الاحتفالات والأعياد. وتعني القلندس هنا أول شهر يناير/ كانون الثاني عندهم في التقويم اليوناني الذي كان سائداً في فلسطين (أي أول السنة).

(١٩) المقدسي البشاري، احسن التقاسيم، ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٢٠) يسرى جوهريّة عربنطة، الفنون الشعبية في فلسطين، ص ١٦٧.

في جميع مواكبه معهم ويذبت عنهم»^(٢١).

ومن الاحتفالات الكثيرة الأخرى التي كانت تقام - ولا تزال - في اسبوع الفصح الاحتفال بخميس الغسل (قبل الفصح بـ ٣ أيام) الذي يقام ذكرى لغسل المسيح أرجل تلاميذه . . .

«ويعتبر هذا الاحتفال من أروع الاحتفالات المسيحية اذ تنصب فيه البطريركية (الأرثوذكسية) سريراً كبيراً من الخشب والحديد، ومن حوله يثبت ثلاثة عشر مقعداً أي عدد تلامذة يسوع يجلس عليها الكهنة، ثم يقوم البطريرك مقلداً المسيح بغسل أرجل الكهنة . . . يجري كل ذلك على مرأى من ألوف المشاهدين من زوار وحجاج ومدنيين وسلك دبلوماسي ورجال حكومة . وفي هذه الأثناء يقوم شباب الطائفة (الأرثوذكسية) بغناء شعبي وأهازيج، ولعب السيف والترس وذلك على سطح كنيسة مار يعقوب»^(٢٢).

وبعد خميس الغسل يأتي يوم الجمعة العظيمة الذي يكرسه المسيحيون للقيام بالمراسيم الدينية ذكرى لما يعتقدونه من صلب السيد المسيح في ذلك اليوم . . . ومن أشهر الاحتفالات الاحتفال بسبت النور. وتؤمن الطوائف المسيحية - ما عدا طائفتي اللاتين والبروتستنت - بفيض النور من القبر المقدس، (تذكراً لقيام المسيح من بين الأموات) بطريقة لا يد لانسان فيها. وكان النور الذي يظهر في أحد المصابيح ينقل إلى المصابيح الأخرى التي كان يحملها الأهليون وكذلك الحجاج القادمون من أرجاء الدنيا. ويحضر الاحتفال آلاف الناس داخل كنيسة القيامة، وتقام مواكب احتفالية ينظمها شباب الروم حاملين سناجق الشباب، ويمتطي لاعبو الترس ظهور اخوانهم وينشد الجميع الأغاني والأهازيج. وكان أمير البلد من قبل العباسيين يشهد هذه الاحتفالات في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي^(٢٣).

وبلغت الاحتفالات بعيد الفصح أوجها بعد احتلال الصليبيين للقدس . وأخذ ملوك مملكة القدس اللاتينية يشرفون على هذه الاحتفالات بدلا من أمراء المدينة المسلمين. وفي

(٢١) سعيد بن البطريق، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، تأليف البطريرك افثيشيوس، المكنى بسعيد بن البطريق، ويلي تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي، بيروت ١٩٠٩، ص ١٦٤.

(٢٢) يسرى جوهري، ص ١٦٩.

(٢٣) انظر : F.E. Peters, Jerusalem, p. 259 - 266. ويصف اللاتين ظهور النور بأنه خدعة ودجل يمارسه المسيحيون الشرقيون ويقولون انه عار على الديانة المسيحية. Peters, p. 524.

القرن الثاني عشر أبان الاحتلال الصليبي كانت احتفالات أحد الشعانين تجري على النسق التالي : قبل الفجر كان رجال الدين المسيحيون في كنائس القدس يخرجون في موكب إلى قرية العيزرية شرقي القدس، وكان خازن القبر المقدس يجلب معه الصليب المقدس. وفي الوقت نفسه كان سكان القدس والحجاج الذين يحملون سعف النخل وأغصان الزيتون يجتمعون مع القساوسة في فناء قبة الصخرة، التي حولها الصليبيون إلى هيكل الرب (Templum Domini). وكان أحد كبار رجال الدين يبارك أغصان النخل والزيتون ثم يعود الموكب من قبة الصخرة خروجاً من باب الاسباط إلى وادي ستنا مريم (قدرون). وفي هذا الوادي كان هذا الموكب يقابل موكب رجال الدين القادم من العيزرية ثم يتبع الجميع البطريرك حاملاً الصليب المقدس، ويصعد الجميع إلى تلة باب الاسباط نحو الباب الذهبي (باب الرحمة عند المسلمين) الذي كان يفتح سنوياً خصيصاً لهذه المناسبة. ويجتمع المحتفلون كلهم مرة أخرى في الحرم الشريف. وبعد أن يدور الموكب بالصليب المقدس في المسجد الأقصى (الذي حوله الصليبيون إلى ما دعوه هيكل سليمان (Templum Solomonis) كان الموكب ينتهي بالصلاة والدعاء في صحن قبة الصخرة.^(٢٤)

وإذا كنا قد أفضنا بعض الشيء في وصف عيد الفصح واحتفالاته فلاننا نعتقد أن هذه الاحتفالات كان لها أثر في احتفالات النبي موسى التي نحن بصدد الحديث عنها في أكثر من اتجاه.

لقد كانت مواكب عيد الفصح الضخمة في القدس تترك أثراً في نفوس مسلمي القدس (وما جاورها) بشكل خاص منذ أوائل الفتح الاسلامي للمدينة. . . وفي فترة اتسمت بالتسامح الديني (خاصة في القرون الميلادية السابع والثامن والتاسع / الأول والثاني والثالث الهجرية) لم يكن مسلمو القدس يجدون غضاضة في مشاركة المسيحيين احتفالاتهم، كما رأينا، ولكن الأجواء أخذت تتغير في القرن الحادي عشر، بفعل تيارات التعصب الديني التي وصلت أوجها في الحروب الصليبية واحتلال الصليبيين للقدس. لقد أفسد التعصب الديني العلاقات بين المسلمين والمسيحيين رداً من الزمان. وفي ذلك الجو لم يعد ممكناً أن يشارك المسلمون المسيحيين احتفالاتهم. وليس من الغريب أن فكر المسلمون المقدسة والفلسطينيون في تلك الظروف باقامة احتفالات خاصة بهم تضاهي احتفالات عيد الفصح وتزامنها، خصوصاً وأن هذه الاحتفالات الأخيرة كانت تشارك فيها

(٢٤) J. Prawer, the Latin Kingdom of Jerusalem p. 178.

أعداد غفيرة من المسيحيين حتى بعد استرداد القدس سنة ١١٨٧ (٥٨٣هـ)، بحيث كان هذا التجمع يشكل خطراً على المدينة التي حررت بعد جهاد طويل عنيف.

وهكذا أثر جو الحروب الصليبية على إقامة احتفالات شعبية مختلفة في أنحاء فلسطين وفي طليعتها موسم النبي موسى، وكان ذلك من جهتين. من جهة وضعت الحروب الصليبية حداً لجو الوثام الذي كان يسود العلاقات المسيحية الإسلامية في القرون الأولى بعد الفتح الإسلامي، وبعد أن كان يشارك المسلمون المسيحيين أعيادهم أخذوا يصدون عنها. ومن جهة أخرى ظل المسلمون حتى بعد استرداد القدس ١١٨٧ يشعرون بالخطر الصليبي على مدينتهم، ويرون نذر هذا الخطر في تجمعات عيد الفصح، فأنشأوا بعد تحرير المدينة سلسلة من المواسم تؤكد الوجود الإسلامي الراسخ في أرض فلسطين. وهذه الأعياد الجديدة أخذت كثيراً من مراسم الأعياد المسيحية، ومن مراسم الفصح بالذات قبل غيره، وخاصة ما يتعلق بتسيير المواكب الحاشدة، ورفع السناجق^(٢٥) وإطلاق الهتافات وأنشاد الأناشيد، ومشاركة كبار رجال الدين وممثلي الحكومة وعلى رأسهم حاكم المدينة أو أميرها.

وإذا كان المسيحيون اتجهوا بأعيادهم إلى القبر المقدس أساساً وإلى قبر السيد المسيح - وإذا كان المسلمون في حالة عداوة مع المسيحيين فكان على المسلمين أن يبحثوا عن نبي آخر يكون محور الاحتفال بالعيد. وإذا كانت الأقوال بدأت تتردد عن وجود قبر النبي موسى منذ القرن السادس / الثاني عشر قرب القدس فما كان أنسب زيارة قبر النبي موسى كليم الله، الذي دفن كما كانوا يعتقدون في أرض فلسطين. وكذلك فعل المسلمون الفلسطينيون في شأن مواسم أنبياء أو صلحاء آخرين. مثل النبي صالح والنبي روين وسيدنا الحسين وسيدنا علي بن عليم إلى آخره. فاقامت الاحتفالات والمواسم الخاصة بهم.

ومن هذه المنطلقات ترجع في رأينا بداية احتفالات موسم النبي موسى والمواسم الأخرى في القدس وفلسطين.

وإذا كانت الاحتفالات والمواسم الجديدة قد تأثرت إلى حد كبير بمظاهر الاحتفالات القديمة فقد أضيفت إليها عناصر جديدة من المعتقدات الإسلامية، واستبعدت منها

(٢٥) من جملة مراسم الاحتفال بسبت النور توزيع السناجق أو الأعلام على أشخاص يتمون إلى العائلات الأرثوذكسية المقدسية، وعددها ثلاثة عشر علماً. وكان هؤلاء يدورون بالأعلام حول القبر المقدس، ويسلمونها بعد ذلك إلى المسؤول وتحفظ في القيامة ضمن خزائن مقفلة حتى يأتي سبت النور في العام القادم. وسنرى أن شيئاً مشابهاً كان يحدث لسناجق موسم النبي موسى عند المسلمين.

ممارسات ورسوم لتعارضها مع المعتقدات الإسلامية، كالاستعاضة في الاحتفالات عن الخمر والمآكل باشرية غير كحولية، وعن الصليب برسم الهلال الخ.

ولنبحث الآن عن كذب في الوقت الذي نشأ فيه موسم النبي موسى، ونتساءل هل كان هنالك حاكم أو سلطان بعينه وراء هذا الموسم؟

تذهب معظم الكتابات الحديثة التي بين أيدينا إلى أن موسم النبي موسى والمواسم الفلسطينية الأخرى المقترنة به نشأت زمن صلاح الدين الأيوبي، ومنها ما يذهب إلى أن صلاح الدين قد (رتبها) أو «أمر بتنظيمها» لمواجهة التجمعات الصليبية التي كانت تقام في عيد الفصح. . ذهب إلى هذا الرأي مثلاً عارف العارف في «المفصل»^(٢٦)، وعمر الصالح البرغوثي في «تاريخ فلسطين»^(٢٧) وهو فضلاً عن ذلك رأى شائع ومتوارث.

ومن المصادر الحديثة ما يقول إن صاحب الفضل في إقامة موسم النبي موسى إنما هو الظاهر بيبرس «الذي سن هذه السنة السياسية لتكافؤ القوى بين زوار المسلمين وحجاج النصارى في بيت المقدس وضواحيه»^(٢٨). وقد ردد هذا القول أو ذاك كثير من الكتاب فيما بعد. .

ولدى النظر في نسبة إنشاء الموسم إلى بيبرس لا نجد في المصادر القديمة أي شاهد على ذلك، بل إن وقفية بيبرس التي أثبتناها من قبل تقول: «أما البقاع المباركة الموقوفة فقد وقفها وعيّن لها ريعها في إطعام الطعام لزوار مقام النبي موسى الكريم. . إبان موسم الزيارة من كل عام»، ونميل إلى أن نفهم من هذا أن الزيارة كانت تجرى بانتظام عند بناء المقام (وتاريخ بنائه هو تاريخ كتاب الوقف نفسه سنة ٦٦٨)، وأنه كان هنالك موسم للزيارة في كل عام. يضاف إلى ذلك أن بيبرس لم يكن في حاجة إلى إقامة موسم إسلامي لمواجهة التجمعات المسيحية في عيد الفصح. فعندما بنى بيبرس المقام سنة ٦٦٨/١٢٦٩ كان الأمر قد استتبّ للمسلمين وكان الصليبيون قد دحروا، فلم يكن هنالك خطر ملموس من جانب التجمعات الصليبية يستدعي إقامة موسم أو مواسم إسلامية لمواجهة. ونخلص من هذا

(٢٦) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ١٧٦/١٧٧.

(٢٧) عمر الصالح البرغوثي، تاريخ فلسطين، ص ٣٤ و ١٩٩ - ٢٠١.

(٢٨) عبدالله نخلص، مثبنة بجامع الأبيض في الرملة، مجلة الكلية ٢ آذار ١٩٣١ ص ٢١٢. غير أن عبدالله نخلص يرجح في موضع آخر أن الموسم من وضع السلطان صلاح الدين بن أيوب، مجلة هنا القدس، العدد السادس، تاريخ ٢٩ آذار ١٩٤٢، ص ٦.

إلى أن الموسم كان قد ظهر إلى الوجود بالفعل قبل بيبرس . . متى كان ذلك؟

ذكرنا من قبل أن القول بوجود قبر للنبي موسى في جهات أريحا كان يتردد في القرن السادس الهجري وأن الهروي الذي زار القدس ٥٦٩/١١٧٣ م كان أول من أشار إليه في كتاب «الإشارات إلى معرفة الزيارات». وقلنا إن كتب القرن الخامس للهجرة وما قبله ليست فيها إشارة إلى وجود القبر هناك وخلصنا إلى القول بأن هذه الرواية هي من مبتكرات القرن السادس الهجري . . وإذا كان الأمر كذلك فإن الزيارات إلى القبر نفسه لا يمكن أن تكون سابقة للاعتقاد بوجوده . . وبمعنى آخر إنها بدأت في القرن السادس . . أي زمن الاحتلال الصليبي على أبعد تقدير. وفي تقديرنا أنه كانت هناك زيارات للقبر زمن الاحتلال الصليبي، ولكنها كانت في الغالب زيارات متفرقة، من آحاد الناس، ولم يكن هنالك موسم شعبي بمعنى الكلمة، ولا كان هنالك وقت محدد. وبين نهاية الاحتلال الصليبي للقدس ومنطقتها ٥٨٣هـ/١١٨٧، وإنشاء بيبرس للمقام ٦٦٨هـ/١٢٦٩، زهاء ثمانين عاماً أصبحت الزيارة، على حد تعبير الوقفية، لها موسم معين تجرى فيه كل عام . . وبناء على ذلك يكون من المعقول أن نستنتج أن الزيارات المتفرقة والعفوية تحولت بعد نهاية الاحتلال الصليبي، وفي زمن الأيوبيين إلى زيارات جماعية، وإلى موسم له موعد سنوي متعارف عليه. ومن المعروف أن الأيوبيين كان من سياستهم وهم يدافعون عن البلاد، إحياء مراسم الاسلام وشعائره فيها، وتثبيت المعتقدات الخاصة بالأنبياء والأولياء، وهم لهذا السبب شجعوا على الأقل القيام بزيارات منتظمة لقبر النبي موسى (والقبور الماثورة للأنبياء والأولياء الآخرين) بعد استرجاعهم للقدس. وعلى أية حال فإنه من المهم أن نؤكد أننا لم نجد في الكتب القديمة التي وضعت في العصر الأيوبي، ومنها كتب العماد الأصفهاني وابن واصل والبهاء بن شداد وأبي شامة المقدسي أية إشارة إلى الموسم ولا إلى علاقة صلاح الدين الأيوبي أو ورثته بالموسم. كما أنه ليس في الكتب التي وضعت زمن الأيوبيين ولا في الكتب التي وضعت زمن المماليك أو العثمانيين أيضاً، حسب علمنا، ما يشير إلى أن الاحتفال بالنبي موسى كان ذا صبغة سياسية . . ومع الأسف فلا توفر لنا المادة التاريخية صورة واضحة مفصلة للاحتفال نستطيع أن نتبين فيها أهدافاً سياسية بل بالعكس فإن القليل الذي وصل إلينا في الكتب يدل على أن طابع الاحتفال كان طابعاً دينياً وترويحياً ولا علاقة له بالسياسة:

إن أول إشارة لموسم النبي موسى وقعنا عليها في الكتب وردت في «إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى» لشمس الدين السيوطي المتوفى بعد سنة /٨٨٠هـ/١٤٧٥ م. وفيها يقول: «وقبره مقصود بالزيارة في القبة التي تقدم ذكرها والناس يتحملون مشقة

الذهاب إليه ويبيتون عنده ، ومشقة الأياب ويبدلون الأموال في عمل المآكل والمشارب واجرة الدواب يفعل ذلك الرجال والنساء من أهل بيت المقدس وغيرهم من الواردين عليه بقصد الزيارة لا يخلون بذلك حتى الآن»^(٢٩).

وقد دون السيوطي كتابه هذا سنة ٨٧٥ / ١٤٧٠ م. والاشارة الثانية وجدناها في مخطوط «الدر النظيم في أخبار سيدنا موسى الكليم» لأبي البقاء نجم الدين محمد بن ابراهيم بن جماعة المتوفى بعد سنة ٩٠١ / ١٤٩٦ . ويقول فيها:

«فالقبة المذكورة اشتهر أمرها وصار ذلك الموضع علماً يقصده الزوار والناس من العلماء والصلحا»^(٣٠)

أما الاشارة الثالثة بحسب الترتيب الزمني فنجدها عند مجير الدين الحنبلي الذي يحدد لنا لأول مرة موعد الزيارة ومدتها في كتابه «الأنس الجليل» الذي كتبه سنة ٩٠٠ / ٩٠١ إذ يقول: «وهذا المكان بالقرب من أريحا الغور من أعمال بيت المقدس ، وأهل بيت المقدس يقصدون زيارته في كل سنة عقب الشتاء ويقيمون عنده سبعة أيام»^(٣١) (يزورون ويتبركون وينحرون ويأكلون).^(٣٢)

ويلاحظ أن هؤلاء الكتاب الثلاثة لم يثيروا الى هدف للزيارة سوى الزيارة والتبرك والأكل والشرب.

بل إن الراهب الألماني فيلكس فابري المعاصر لمجير الدين والذي زار القدس في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي لم يشر عندما تحدث عن زيارة المسلمين لمقام النبي موسى إلى أي هدف سياسي لهذه الزيارة بل انه حدد لها هدفاً دينياً خالصاً اذ قال:

«إن الشرقيين يكوّمون (هذه) الأحجار (أي قرب المقام) تكريماً لموسى لأنه يمكن للمرء أن يشاهد من هذا المكان جبال اباريم ورأس الفسجة . . . لهذا السبب يقوم الشرقيون الأحجار في هذا المكان ويصلون وينظرون إلى الجبل وهم راكعون . . .»^(٣٣) أي أن

(٢٩) شمس الدين محمد السيوطي ، انحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى ، مخطوط مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، نمرة ٣ ، ورقة ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٣٠) محمد بن ابراهيم بن عبدالله بن جماعة ، أبو البقاء ، نجم الدين ، الدر النظيم في أخبار سيدنا موسى الكليم ، المخطوط ، ورقة ١١٠ .

(٣١) مجير الدين الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

(٣٢) الزيادة بين قوسين من النسخة التي نقل عنها الأب مرمرجي الدومينيكي (بلدانية فلسطين العربية ، بيروت ١٩٤٨) .

(٣٣) Felix Fabri, The Wanderings of Felix Fabri, PPTS, vols. 9 and 10, p. 181.

فابري لم يتحدث سوى عن الهدف الديني للزيارة أيضاً.
إن المقتطفات التي أوردناها هي أهم ما وقعت أيدينا عليه عن تطورات الموسم في عهد المماليك والمعلومات الواردة فيها نزرّة وليس فيها كبير غناء، ولم نجد في كتابات القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي أية إشارة إليه. ومع ذلك فيبدو أن زيارة النبي موسى اكتسبت أهمية متزايدة بعد بناء المقام في القرن السابع / الثالث عشر ووصلت شعبية المقام ذروتها - في عصر المماليك - في القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجري / الخامس عشر - السادس عشر الميلادي. ويقول مصدر أجنبي - إن كثيراً من الحجاج المتجهين إلى مكة والعائدين منها في أواخر العهد المملوكي كانوا يزورون القدس والخليل والنبي موسى وغيرها من المقدسات الإسلامية في فلسطين^(٣٤).

ومعنى ذلك أن أهمية مقام النبي موسى بدأت تكتسب طابعاً إسلامياً عاماً يتعدى حدود فلسطين منذ ذلك الوقت، ولا شك أن كثيراً من الحجاج المشار إليهم كانوا يشاركون في الموسم نفسه، حين كان يصادف ذهابهم إلى مكة أو إياهم منها موعد انعقاده.
ولا شك أن الموسم تطور وازدادت شعبيته وأهميته زمن العثمانيين.

(٣٤) Francesco Suriano, Treatise on the Holy Land, p. 150

الفصل الخامس

المقام والموسم في العصر العثماني

عندما فتح العثمانيون القدس سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦ نالت المدينة اهتماماً كبيراً من الدولة. فالفتح العثماني لبلاد الشام والحجاز جعل الأماكن الإسلامية المقدسة الرئيسية في مكة والمدينة والقدس والخليل تحت ولاية الدولة العثمانية. كما أن طرق الحج إلى هذه الأماكن أصبحت في عهدها، وازدهى العثمانيون بانتصارهم في مرج دابق ٩٢٢/١٥١٦ لهذا السبب بين أسباب أخرى. لقد أصبحوا المدافعين الرئيسيين عن الإسلام، ولهذا فانهم أولوا الأماكن الإسلامية المقدسة العناية والرعاية وسعوا في تعميرها وحماية الطرق المؤدية لها. واستمروا في ذلك حتى بعد أن أخذت قوة الدولة في الانحسار في أواخر القرن الحادي عشر/ السابع عشر. فأعمال التعمير في حرم القدس ورعاية الأماكن المقدسة لم تنقطع حتى في القرن الثاني عشر/ الثامن عشر عندما كانت الدولة في أوج معاناتها، ونال الحرم القدسي الحظ الأوفر من الاهتمام، لكن المقدسات الأخرى ومنها المساجد وأضرحة الأنبياء ومقاماتهم، وخاصة في القدس والخليل والنبي موسى، وهي أماكن الزيارة الرئيسية الثلاثة، نالت أيضاً عناية كبرى.

وتزودنا الدفاتر العثمانية المعروفة باسم مهمة دفتر لري بأدلة كثيرة على العناية بالأضرحة والمقامات وغيرها من المقدسات من مثل العناية باختيار سدننتها وتعمير مبانيها وتجديد الستائر على ضرائح الأنبياء ورعاية أوقافها وصرف ريعها على التعمير قبل أي شيء آخر.

ومن أمثلة العناية بمقام النبي موسى ما جاء في الكوغشلا^(١) رقم ٨٨٨، الورقة ١٦٢ب، والمؤرخ في ١٧ ربيع ثان سنة ٩٥٩ (١٢ نيسان ١٥٥٢).

[... ان ستر الضريح المقدس للنبي موسى عليه السلام وضع هناك في الآونة الأخيرة، ولما كان مصنوعاً من (الكمخا)^(٢) الأسود فقد اهترأ وأصبح في حاجة الى تجديد كما أن المسجد نفسه في حاجة الى تعمير. . .

(١) دفتر من دفاتر «مهمة دفتر لري كان موقوفاً وفقاً خاصاً.

(٢) نوع من القماش الحريري المقصّب.

إن ترميم هذه المباني أمر ضروري وملح . . انني أمر بعمل التقديرات المالية اللازمة وتقديم تقرير شأنها].

وفي الدفتر ١٩ ، رقم ١٢١ ، تاريخ ١٩ محرم سنة ٩٨٠ (حزيران ١٥٧٢) فرمان موجه إلى سليمان حاكم القدس وقاضيهما وإلى عبد الكريم متولي الأوقاف السلطانية جاء فيه :

[لقد قيل لنا إن الأضرحة المقدسة لسيدنا موسى ويونس ولوط عليهم السلام تركت دون كساوى وأن قناديلها لا وجود لها وأنها أصبحت على شفا الخراب والانهار، على الرغم من أن ريع أوقاف هذه الأضرحة المكرمة - قرى وأراض زراعية في منطقة اختصاص قاضي القدس يبلغ ايرادها ١٢١٩٠ اقجة - يُجبى .

وإذا كانت هذه الأضرحة المقدسة للأنبياء العظام عليهم السلام وكذلك أوقافها ضمن نطاق اختصاصكم . . . فان هذه الأضرحة لم تلق ما تستحقه من العناية والاهتمام .

ولهذا فانتم تستحقون بلا ريب كل لوم وتثريب . فما الذي يدعوكم لدفع الأموال من ايرادات الوقف إلى المرتزة وخدام الوقف بينما الأضرحة المقدسة على شفا الانهار وقبل ترميمها ترميماً تاماً؟

اني أمر بترميم أضرحة الانبياء . . . وبتعليق القناديل فيها . . وإلى أن يتم ذلك لا يجوز أن تدفعوا فلساً واحداً من ايرادات الوقف إلى أرباب الوظائف . . .]

وكان الستر (أو الكسوة) الذي يغطي الضريح الشريف يلاقي عناية خاصة منذ عصر المماليك، وقد وصفه مجير الدين بقوله : «ويوضع على قبره في أيام موسم زيارته ستر من حرير أسود وعلى الستر طراز أحمر مزركش دائر على جميع أطرافه بالذهب» .^(٣)

ويبدو أن لون الستر كان أخضر في العصر العثماني أو في القرون الأخيرة منه على الأقل . فقد ذكر السائح الألماني اولرش زيتسن Ulrich Zeetzen أن القبر كان مكسواً بقماش أخضر^(٤) . وبعد هذا التاريخ بمائة عام تقريباً ذكر هانز شبور أن الستر الذي شاهده سنة ١٩٠٩ كان من الحرير الأخضر^(٥) .

(٣) مجير الدين، الانس الجليل، ج ١، ص ١٠٢ .

(٤) Klaus Polkehn, Palaština Reisen, p. 95.

(٥) H. Spoer, Das Nebi Musa Fest, ZDPV, 32 (1909), p. 220.

ومن قبيل التبرك بالضرّيح والاجلال لصاحبه كان زوار النبي موسى يضعون الخرق على الضرّيح وكانوا يكرمون الأحجار (الشواهد) في الطريق المؤدى اليه (لتشهد يوم الحساب بزيارتهم له)، وهي عادة قديمة في تقديس المقامات عمرها آلاف السنين.

غير أنه يظهر من الوثائق التي لدينا أن السلطات العثمانية كانت تلاقى صعوبات جمة في المحافظة على أمن الطرق المؤدية الى أماكن الحج والزيارة، وكذلك في حماية المسافرين من اعتداءات البدو وقطاع الطرق. ويفيدنا الدفتر ٨٠ من الدفاتر المهمة رقم ٧٤١ المؤرخ في ٥ ذي القعدة سنة ١٠٢٣، (٢٧ كانون أول سنة ١٦١٤) والموجه الى الوزير أحمد باشا والي دمشق أن البدو كانوا يهددون الأمن في منطقة القدس والخليل ولذلك فإن أرباب الزعامة والتميار في سنجق القدس كانوا يُعفون من الاشتراك في حملات عسكرية خارج السُجق مقابل توليهم حراسة حجاج مكة وهم في طريقهم لزيارة القدس والخليل والنبي موسى. ويدلنا فرمان آخر (الدفتر ٦٣، رقم ٢٠، تاريخ ١٦ رجب ٩٩٥/٢٢ حزيران ١٥٨٧، موجه إلى سنان باشا والي دمشق) على أن الحكومة كانت ترسل حملات قوية لمحاربة البدو الذين يتعرضون للمسافرين على الطرق، مثل الحملة التي قادها خدا وردى حاكم القدس سنة ١٥٨٧/٩٩٥ ضد جماعات البدو الذين انضم اليهم ٣٠٠٠ من قطاع الطرق وعسكروا قرب مقام النبي موسى فهاجمهم خداوردي وهزمهم.

وكتب الرحالة مليئة بالاشارات إلى اختلال الأمن على الطرق في القرون الأربعة للحكم العثماني. يقول الرحالة التركي اوليا جلبي (١٠٢١ - ١٠٩٠/١٦١٢ - ١٦٧٩) الذي زار فلسطين سنة ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م، ما يلي: إن أرباب الاقطاعات يرافقون الحجاج المسلمين إلى الخليل وإلى مهد المسيح وإلى النبي موسى، لأن الطريق غير آمنة من العربان الثائرين.^(٦) أما الرحالة المغربي أبو سالم العياشي الذي زار فلسطين سنة ١٠٧٤هـ/١٦٦٢ - ١٦٦٣م فلم يتمكن من زيارة النبي موسى بسبب انعدام الأمن على الطريق^(٧).

وتفيدنا كتب التاريخ في هذه الفترة أن الكثيرين من زوار النبي موسى لاقوا حتفهم بأيدي قطاع الطرق وأشقياء العربان. ومن هؤلاء على سبيل المثال الشيخ يحيى خادم مقام النبي داود والمتصل نسبه بالقطب الكبير الشيخ أحمد الدجاني. فقد «مات قتيلاً شهيداً» (سنة

(٦) E. Tschelebi Travels in Palestine, Quarterly of the Dept of Antiquities in Palestine, Vol V111, p. 150.

(٧) رحلة العياشي، عبدالله بن محمد المتوفى ١٠٩٠هـ، ج٢، ٣١٨.

١١٤٨هـ / ١٧٣٥)، وذلك أنه كان في زيارة سيدنا موسى الكليم على نبينا وعليه الصلاة والتسليم، وفي رجوعه من الزيارة خرج عليه قطاع الطرق من أشقياء العربان، فضربه أحدهم فمات في أثناء الطريق وحملوه إلى القدس ودفنوه في تربة مأمن الله عند مقام جدّه الدجاني^(٨). وكان القتلى عادة من زوار النبي موسى في غير أيام الموسم.

ورغم ذلك فقد زار النبي موسى العديد من الرحالة في أوقات مختلفة ووافونا بانطباعاتهم. ومن بين هؤلاء على سبيل المثال أحمد بن محمد المقرئ التلمساني الذي زار المقام سنة ١٠٣٧هـ / ١٦٢٧م^(٩) وعبد الغني النابلسي الذي زار مقام النبي موسى سنة ١١٠١هـ / ١٦٨٩، وتحدث عن الزيارة بالتفصيل في كتاب «الحضرة الانسية» وكرر الحديث عن معجزات النبي على النحو الذي وصفناه من قبل وأكد صحة القبر بناء على ذلك وشارك في حلقات الذكر وقراءة كتب الأدعية والأوراد في المقام. ومنهم مصطفى البكري الصديقي الذي زار فلسطين سنة ١١٢٢ / ١٧١٠ وسكن مدة في القدس. وقد زار المقام وأقام فيه ستة أيام وأدى الشعائر الدينية ووصف طرفاً من كراماته وأفاض في الثناء على شيخه الشيخ النابلسي،^(١٠) ومصطفى أسعد اللقيمي (١١٠٥ - ١١٧٨ / ١٦٩٣ - ١٧٤٦) الذي زار فلسطين سنة ١١٤٣ - ١١٤٤ / ١٧٣٠م، وأدى واجبات الزيارة لمقام النبي موسى. ومع أن اللقيمي أشار إلى الاختلاف في مكان قبر النبي موسى وسمى الأماكن العديدة التي زعم أنه دفن فيها على ما ذكره القسطلاني من قبل إلا أنه أكد أن الخيالات والأشباح التي تظهر في القبر هي دليل على صحته واستشهد بما قاله شيخه النابلسي في هذا الشأن.^(١١)

وهؤلاء الشيوخ الثلاثة : النابلسي والبكري واللقيمي من أئمة التصوف. وقد كانوا من المؤمنين بصحة القبر، ولو عن طريق الكشف والنور الذي يقذف في القلب.

غير أن الرحالة المغربي أبا سالم العياشي الذي سبق ذكره والذي زار القدس في القرن الحادي عشر / السابع عشر لم يكن فيما يبدو، يشاطر هؤلاء الشيوخ حرارة إيمانهم فيما قيل

(٨) حسن بن عبد اللطيف الحسني، تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر، ص ٢٤٢.
(٩) أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، الجزء الأول ص ٥٨.
(١٠) مصطفى البكري الصديقي، الخمرة المحسية في الرحلة القدسية، المخطوط الذي ذكرناه سابقاً، ص ٣٢ - ٤٣.

(١١) اللقيمي، موانح الانس في رحلتي لوادي القدس، مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق، ورقة ٥٦، و ٥٧.

له عن حقيقة القبر. أما السبب الذي جعل العياشي يتطلع الى الزيارة فهو «مشاهدة ما يقال هناك من العجائب». ولخص العياشي الموضوع كله بقوله: «لم يرد اثر صحيح في أن ذلك قبره ولم يشتهر ذلك المكان في العهد القديم ولا في صدر الاسلام، وانما بناه وأظهره المتأخرون من الملوك. وأكثر ذلك كان في المائة السادسة أو السابعة بأشارة أمير الكشف»^(١٢) (أي حاكم المنطقة). ويذكر العياشي أن قاضي القدس التونسي الأصل الشيخ محمد النفاتي قال له: إنَّ المحل ليس موثقاً به أنه قبر الكليم ولا هو قريب من الوثوق.^(١٣)

ومما لا شك فيه أن موقف الامامين النابلسي والصديقي بشكل خاص، وكذلك غيرهما من رجال الدين والتصوف قد عزز إيمان جماهير الناس بكرامات النبي موسى وبمقامه المجاور لأريحا. . . لكن لا شك أن هذين الامامين قد تأثرا بدورهما بمظاهر الايمان الشعبي العارم بالمقام، التي تجلت في دخول موسم النبي موسى مرحلة جديدة من التنظيم وفي مشاركة السلطات العثمانية النشطة به. ولنا أن نؤكد ذلك من واقع السجلات والوثائق العثمانية. فان الدفتر ٧ (رقم ٢٥٠٧) من الدفاتر المهمة العثمانية، المؤرخ في سنة ١٥٦٨/٩٧٦، والدفتر رقم ٣١ (رقم ١٠٣) المؤرخ في ١٥٧٧/٩٨٥ يبينان أن آلاف الأشخاص كانوا يشاركون في موسم النبي موسى السنوي وأن أرباب الاقطاعات العسكرية من زعماء وتيارية كانوا يرافقون الزوار. من أجل حمايتهم أيضاً. ويمكنون معهم ثمانية أيام كل عام.

وتشير وثيقة من أوائل القرن الثاني عشر / الثامن عشر إلى أن شهرة الموسم كانت قد تعدت فلسطين والبلاد المجاورة، فأصبح الزوار يفدون لزيارة المقام «من سائر بلاد الاسلام» كما جاء في إحدى الحجج الشرعية^(١٤)، ويبدو أن الزوار المشتركين بالموسم كانوا من الكثرة بحيث كان متولوا الأوقاف يضطرون أحياناً للاستدانة «لعمل السباط»^(١٥) الشريف المعتاد من قديم الزمان» كما تشهد به الحجة المشار إليها والتي نورد نصها فيما يلي:

(١٢) عبدالله بن محمد العياشي المتوفى ١٠٩٠هـ، رحلة الشيخ الامام أبي سالم عبدالله العياشي ج ٢، الصفحة ٣١٨.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٣١٩.

(١٤) سجل ٢٠٢ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس لسنة ١١١٥هـ/١٧٠٤م، ص ٦٦.

(١٥) السباط: ما يبسط ليوضع عليه الطعام، والمقصود الطعام.

[لدى أقضا قضاة الاسلام السيد محمود القاضي بالقدس الشريف

لما كان بأوائل شهر ذي القعدة الحرام لسنة أربعة عشر ومائة وألف صدر الإذن الشرعي من مولانا الحاكم الشرعي المومى اليه لكل واحد من مفخري المشايخ والمصدرين الفخام نور الله أفندي ويونس أفندي واسحق أفندي مشايخ الحرم القدسي وهم النظار والمتولون على أوقاف سيدنا موسى الكليم على نبينا وعليه صلوات الملك العليم، لعمل السباط الشريف المعتاد من قديم الزمان في كل سنة بحرم سيدنا موسى الكليم عليه السلام للواردين لزيارة هذا النبي الكريم من ساير بلاد الاسلام، وباستدانة مبلغ يصرفونه في ذلك حسب العادة، وبالرجوع بنظير ذلك على جهة الوقف بعد أن ذكروا المتولون أن ليس تحت ايديهم الآن مال لجهة الوقف يصرفونه في ذلك فاذن لهم بذلك كله إذناً شرعياً، حضر يوم تاريخه أدناه النظار والمتولون على الوقف الشريف المذكور وذكروا لمولانا الحاكم الشرعي المشار إليه أنهم استدانوا مبلغاً قدره خمسة آلاف قطعة مصرية ليصرفوها في ثمن أرز ودقيق ودبس وزيت وفلفل وحمص وبصل وملح واجرة فرن وحطاب ونجار وأخشاب وسلب^(١٦) وأوان وفخار وحضروا ساير لوازم السباط حسب العادة المعتادة عن واجب سنة أربعة عشر ومائة وألف بعد الاذن الشرعي للنظار والمتولون (كذا) على الوقف بصرف المبلغ المذكور أعلاه وصار المبلغ المذكور من غير تكرار من يد النظار المومى إليهم خمسة آلاف قطعة مصرية دينا للمتولون والنظار على الوقف واذن مولانا وسيدها الحاكم الشرعي للمتولون والنظار بالرجوع بنظير ذلك على جهة الوقف، اذنا شرعياً وثبت مضمون ذلك كله لدى مولانا وسيدنا الحاكم الشرعي المومى إليه ثبوتاً شرعياً تحريراً في أواسط المحرم الحرام لسنة خمسة عشر ومائة ألف. ^(١٧)]

ومما يؤيد اشتهاار مقام النبي موسى وموسمه في أرجاء العالم الاسلامي رواية السائح الألماني اولريش ياسبر زيتسن Ulrich Jasper Zeetzen الذي زار هذه البلاد سنة ١٨٠٦ وقال: «بالرغم من الموقع المنعزل للنبي موسى قابلنا هناك درويشاً مسلماً جاء من حدود الهند، الأمر الذي يوضح مدى انتشار سمعة هذا المزار في أقصى البلدان، ويقيم هذا المستوطن هنا في العادة من خمس الى ست سنوات، ليحل محله بعدئذ دوريش آخر من

(١٦) ليف أو لحاء شجر تعمل منه الحبال.

(١٧) الحجة السابقة (سجل ٢٠٢، لسنة ١١١٥ هـ، ص ٦٦).

الهند. ويتمتع هذا الدرويش باحترام كبير عند البدو ويتلقى منهم كل أنواع المؤن التي تتوفر لديهم^(١٨).

ويصف لنا زيتسن المقام كما شاهده في أوائل القرن التاسع عشر فيقول: «النبى موسى هو مجرد مسجد صغير له برج صغير (يقصد المئذنة) ويحيط به سور. وهو يضم بين جدرانها ساحة داخلية مرصوفة ببلاط الرخام. وقد سرّ العرب الذين رافقوني عندما شاهدوني اخلع حذائي قبل أن ادخل مع أن البلاط كان مبتلاً تماماً من جراء المطر. . . وكان القبر مكسواً بقماش أخضر. وقد علق على قضبان فتحة النافذة التي ينظر منها الناس إلى القبر عدد لا يحصى من الخرق التي توضع هناك على عادة الأتقياء من المسلمين. وقد قبلناها وأدى صبحي صلاة قصيرة»^(١٩).

في أواسط القرن التاسع عشر، وفي النصف الثاني منه خاصة، ازداد التغلغل الأوروبي في فلسطين وفي القدس بوجه خاص، واتخذ أبعاداً اقتصادية وثقافية وسياسية وأدخلت فلسطين في السوق الرأسمالية العالمية وأخذت تؤسس فيها الأديرة والارساليات، وكذلك المستعمرات التي بدأها الهيكليون الألمان الذين كانوا يهدفون إلى إقامة مملكة صليبية متجددة. وقدمت بريطانيا العون والمساعدة لليهود ووضعتهم تحت حمايتها ودعت إلى إعادتهم إلى «أرض الميعاد» وتدفق اليهود الروس إلى القدس وصفد، ونظمت قوافل ضخمة من الحجاج الروس والفرنسيين والنمساويين. واخذ قناصل الدول الأوروبية يتدخلون في كل صغيرة وكبيرة في شؤون البلاد. وفي ظل هذه الظروف المنذرة بالخطر على مستقبل البلاد كان من الطبيعي أن يكتسب التجمع الشعبي الكبير الذي تمثل في موسم النبي موسى طابعاً سياسياً، فضلاً عن طابعه التراثي والديني، طابعاً يؤكد الهوية الوطنية في وجه التهديد. ولم يكن هذا الشعور الشعبي التلقائي في الدفاع عن النفس في حاجة إلى «أمر» من رؤوف باشا متصرف القدس (١٨٧٦ - ١٨٨٨) أو الحكومة العثمانية للتعبير عنه في سياق الموسم، كما تزعم المصادر اليهودية المعاصرة^(٢٠) بل بالعكس فإن السلطات العثمانية كانت تجهد للحفاظ على النظام والأمن في اثناء الموسم، وفي وقت كانت القدس تغصّ فيه بجماهير متحمسة من

(١٨) Klaus Polkehn, Palästina Reisen im 18 and 19 Jahrhundert, p. 95

(١٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢٠) انظر Y. Ben Arie, Jerusalem in the Nineteenth Century, the Old City, pp 119, 134.

Palestine in the Late Ottoman Period, ed. by D. Kushner, p. 283.

المسلمين والمسيحيين، بحيث نجحت في منع الاضطرابات، والأحداث المخلة بالأمن، كما شهد بذلك الضابط والمهندس البريطاني كوندرا،^(٢١) بل كما شهدت بذلك أيضاً صحيفة هافاتزلت Havazelet اليهودية التي أعربت عن سرورها لجو السلام الذي كان يجيم على الموسم وعدم وقوع أية حوادث فيه: «بفضل الله وحكومتنا الموقرة التي اشرفت على الاحتفالات وحافظت على النظام والهدوء بين أهل المدينة وضيوفها»^(٢٢).

وقالت مسز فرانس نيوتن (F. Newton)، المبشرة الانجليزية، التي جاءت إلى فلسطين سنة ١٨٨٩ وأقامت فيها زهاء نصف قرن: «موكب النبي موسى العربي هذا، عاماً بعد عام، كان يسير بنظام وينتهي بسلام»^(٢٣).

وفي اوائل هذا القرن العشرين أيضاً قال هانز شبور إنه «بفضل نظام العسكريين الأتراك والكياسة التي تبديها السلطات المحلية في مثل هذه المناسبات لم يسبق أن حدثت أية أحداث سيئة على الإطلاق. وهذا أمر يدعو إلى الإعجاب، خاصة وأن معظم الحجاج كانوا مسلمين»^(٢٤).

ويصف لنا مراسل صحفي الماني موكب النبي موسى سنة ١٨٧٥ فيقول:

«قوافل عديدة جاءت من دمشق (إلى القدس) وسارت وهي تحمل الأعلام الكبيرة والطبول الكثيرة، في شوارع القدس الضيقة المزدحمة بالحجاج المسيحيين. وقد سمح الباشا هنا للحجاج (المسلمين) هذه المرة بأن يأتوا بسلاحهم. ولذلك فإن المرء كان يشاهد المئات منهم يمرّون شاكي السلاح. من الخليل وضواحيها كان هناك حوالي ٢٠٠٠ شخص، وكذلك من نابلس. وقد شارك في المواكب، حسب تقدير المسلمين، عدد من الحجاج يقارب العشرة آلاف شخص، لأن جميع المدن والقرى تقريباً كانت ممثلة فيه، وعلى الأخص الفلاحون من الضواحي، الذين ظهروا بأعداد كبيرة جداً... إن نشوة الاحتفال أو أكاد

Conder, Tent Work I, pp. 334-335

(٢١)

Ben Arie, op. cit., p. 134.

(٢٢)

(٢٣) فرانسيس اميلي نيوتن، خمسون عاماً في فلسطين، ترجمة وديع البستاني، الطبعة الثانية، عمان ١٩٦٧، ص ١٢٥.

H. Spoer, Das Nebi Musa – Fest, Z D P V, Vol. 32 (1909), p. 215.

(٢٤)

ومن الغريب أن يزعم الأستاذ بن اريه بعد ذلك (Ben Arie, op. cit, p. 135) أن موسم الزيارة في القرن التاسع عشر كان يؤدي أحياناً إلى مجابهات دموية بين المسلمين والمسيحيين.

أقول، الصخب الهائج الذي احتفل فيه الناس بموسم النبي موسى يعسر على القلم وصفه . . . وقامت الجموع بحج مشترك إلى جبل النبي موسى تعظيماً للموسم واستغرقت المسيرة من هنا إلى هذا الجانب من نهر الأردن خمس ساعات . . . ولم يقتصر الموكب في مسيره إلى خارج باب الأسباط على العسكريين بكامل لباسهم الرسمي، بمرافقة الموسيقي بل أن الموظفين أيضاً وعلى رأسهم الباشا خرجوا في زي موحد. وبدءاً من ساحة الهيكل (أي الحرم الشريف) حيث ارتفعت اعلام المدن المختلفة والقرى الكبيرة، كانت الجموع الهائلة تغطي أيضاً جزءاً كبيراً من جبل الزيتون (الطور) وكذلك الطريق المؤدي إلى أريحا بكامله»^(٢٥).

ويقول القس جورج بوست في وصف آخر للموكب في الثمانينات من القرن الماضي :

إن فريقاً من الفرسان كان يصحب الموكب في ذهابه الى النبي موسى ولدى عودته منه، وإن القدس كانت تستقبل علم النبي موسى لدى عودته في نهاية الاسبوع بهتافات الجماهير المحتشدة على طول التلال المطلة على وادي سلوان، وفوق أسوار المدينة وأبراجها. وكانت المدفعية المنصوبة عند باب الأسباط تطلق الطلقات تحية للموكب^(٢٦).

وتفيدنا المصادر الغربية أيضاً أن (الحجاج) المسلمين كانوا يأتون إلى القدس وإلى النبي موسى في القرن التاسع عشر من جميع أنحاء العالم الاسلامي : من الهند وحدود الصين، وجميع أنحاء آسيا الوسطى وبلاد النوبة والمغرب، وساحل افريقيا الشرقي والحجاز وجميع مناطق تركيا . . . وكثيرون من هؤلاء كانوا يمرون بالقدس أثناء توجههم لأداء فريضة الحج في مكة أو لدى عودتهم منها.

كان يرأس احتفالات النبي موسى في أوائل القرن التاسع عشر نقيب الأشراف عمر بن عبد السلام الحسيني^(٢٧) ويبدو أن الاشراف على الموسم انتقل بعد ثورة عمر بن عبد السلام الحسيني وابن عمه طاهر (المفتي) على المصريين سنة ١٨٣٤، إلى المفتين المتعاقبين من آل الحسيني بالترتيب التالي : مصطفى بن طاهر الحسيني سنة ١٢٨٢/١٨٦٥ ثم ابنه طاهر بن مصطفى المتوفي سنة ١٣٢٦ هـ/١٩٠٨ الذي بقي في الافتاء أكثر من أربعين عاماً

Klaus Polkehn op. cit., p. 95

(٢٥)

Palestine Exploration Fund Quarterly Statement, October, 1888, Rev., Dr. Post. "Narrative of a Scientific Expedition in the Transjordanic Region in the Spring of 1886." p. 178.

(٢٦)

(٢٧) علي مبارك، الخطط التوقيفية الجديدة، ص ٣٩.

وخلفه فيه عند وفاته ابنه كامل الذي تولى الافتاء حتى وفاته سنة ١٩٢١ ، ومن بعده أصبح الحاج أمين الحسيني مفتياً القدس ، وفي عهد الحاج أمين وتحت اشرافه بلغت احتفالات الموسم أوجها ، واكتسبت طابعاً وطنياً سياسياً قوياً موجهاً ضد الاستعمار والصهيونية .

ويرى المؤرخ الألماني الكزنדר شولش بحق أن موسم النبي موسى كان عنصراً فائق الأهمية في تكوين الشعور بالانتماء لكيان فلسطيني خاص وبالتالي في تطوير الشخصية الوطنية للشعب الفلسطيني منذ القرن التاسع عشر .^(٢٨)

وبعد أن استفحل التغلغل الأوروبي والاستفزاز الصهيوني في مطلع القرن العشرين بدأنا نسمع لأول مرة باحداث تعكر صفو مواكب النبي موسى السلمية . ففي سنة ١٩١٠ قامت بعثة أثرية بريطانية سرّاً بحفريات في حرم المسجد الأقصى وتحت قبة الصخرة المشرفة ، بعد سابق اتفاق مع شيخ الحرم . وشاع في الوقت نفسه أن الوزارة العثمانية أجازت ذلك تحت الضغط . ووصل الخبر إلى مسامع المشاركين في موكب النبي موسى فانقلب فور عودته إلى القدس إلى تظاهرات وهتافات عدائية عارمة ضد أولياء الأمر صغاراً وكباراً .^(٢٩)

غير أن ما حدث بعد ذلك بعشر سنوات (سنة ١٩٢٠) وفي ظل الحكم البريطاني المباشر لفلسطين كان أفدح بكثير . ولندع فرنسيس نيوتن تروي ما حدث :

«سار هذا الموكب (أي موكب النبي موسى) كعاداته المعهودة في طريقه المرسومة بأهازيجه وأناشيده وفي ثناياه الراقصون وفي الطليعة كوكبة من فرسان البوليس ، وكالعادة وقف المتفرجون في الطرقات ، وأطلقوا من الشرفات والجوصفاء والاعلام ترفرف في الهواء . وكان بين الواقفين للمشاهدة يهودي وقعت منه بادرة اشمئزاز وازدراء . وقيل إنه بصق صوب علم من تلك الاعلام العربية المقدسة . وبالطبع انهار عليه المتواكبون فمارحموه . تلك كانت الشرارة في الهشيم . تدخل اليهود فاشتد الاشتباك . . . وعم الاضطراب فدعي الجند لمعاونة الشرطة واقفلت أبواب المدينة ومدخلها . وقيد الخروج والدخول مدة أيام ثلاثة أو أربعة وأسفرت المعركة عن ٧ قتلى و ٢٠٠ جريح من اليهود و ٥ قتلى و ٢٥ جريحاً من العرب» .^(٣٠)

(٢٨) الكزنדר شولش ، تحولات جذرية في فلسطين ، ترجمة كامل جميل العسلي ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢٩) يوسف الحكيم ، سورية والعهد العثماني ، ص ١٩٧ .

(٣٠) فرانسيس اميلي نيوتن ، خمسون عاماً في فلسطين ص ١٢٥/١٢٦ .

والواقع أن ما حدث في موسم النبي موسى في ذلك العام إنما حدث في ظل التوتر العام الذي كان يسود البلاد إثر صدور وعد بلفور (١٩١٧) الذي دعا إلى إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين، وفي ظل ظروف الادارة العسكرية البريطانية التي كانت لديها تعليقات بالتعاون مع المؤسسات اليهودية في سبيل تنفيذ المخططات الصهيونية.

وفي مثل تلك الظروف كان من الطبيعي أن تنعكس في احتفالات جماهيرية كاحتفالات النبي موسى مشاعر الجماهير الساخطة على المؤامرات البريطانية الصهيونية وبذلك غدت هذه الاحتفالات مرآة صادقة للتضامن الوطني ورد فعل طبيعي على مخططات التهويد، وأصبحت الادارة البريطانية والمنظمات الصهيونية تنظر إليها بقلق بالغ.

ولنفصل ما حدث سنة ١٩٢٠ بعض الشيء: إن الاضطرابات بدأت في اليوم الرابع من نيسان عندما وصل بيرق الخليل إلى القدس. وقد توقف الموكب [أكثر من مرة للاستماع إلى خطب ألقاها كل من عارف العارف وموسى كاظم الحسيني رئيس البلدية والحاج أمين الحسيني وغيرهم من الشخصيات الاسلامية البارزة. وجاء في تقرير لجنة بالين (التي شكلها المندوب السامي في ١٢ نيسان ١٩٢٠ للتحقيق في الأحداث) أن عادة إيقاف الموكب والمسيرات للاستماع إلى الخطيب قد استحدثت لأول مرة عام ١٩١٩. غير أن خطب عام ١٩٢٠ كانت ذات طابع سياسي مكشوف بلغت ذروتها في رفع صورة للأمير فيصل وتحيته بوصفه «ملكاً دستورياً لسوريا وفلسطين». . . ويقول عزت دروزة إن الجمهور كان ينادي اثناء المسيرة بشعارات مناوئة للصهيونيين والبريطانيين. وسجل عيسى السفري أن المسيحيين الفلسطينيين اشتركوا في الموكب داعين للوحدة العربية والاستقلال ومعلنين معارضتهم للهجرة اليهودية. [٣١]

وما من همنا أن نفصل في الأحداث السياسية التي وقعت بأكثر مما قلنا في هذا المقام. ولكننا نوجز فنقول إن الصفاء الذي تمتع به موسم النبي موسى في الأيام الغابرة قد كدّره من الآن فصاعداً التآمر والاستفزاز البريطاني الصهيوني الذي فرض المعركة على عرب فلسطين مسلمين ومسيحيين. ودفعهم إلى التضامن والجهاد ضد المعتدين. . . وأصبحت مواسم النبي موسى في عهد الانتداب مظهراً من مظاهر هذا التضامن والجهاد.

★ ★ ★ ★

(٣١) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث (الطبعة الثانية)، ص ١٤٧، ١٤٨.

الفصل السادس

تفاصيل الاحتفالات بموسم النبي موسى في القرن العشرين

كان موسم النبي موسى عيداً شعبياً عاماً، اشترك فيه سكان المدن والقرى في فلسطين، وخاصة من مناطق القدس ونابلس والخليل وقرى الجبال. وكان هناك برنامج زمني للاحتفالات نظن أنه وضع في جزء منه على الأقل في القرن الأخير، بعد أن اشتد التنافس بين أهالي منطقتي نابلس والخليل خاصة في الاشتراك في الاحتفالات، وأيهما يكون له مكان السبق والصدارة فيها فتم ترتيب مواعيد لقُدوم الزوار. ولا نعرف تاريخاً دقيقاً لوضع برنامج الزيارة والمشاركة لمختلف الجهات. ولكننا نقول بصورة عامة إن اسبوع موسم النبي موسى كان يحدد وفق عيد الفصح عند المسيحيين الارثوذكس، وكان يأتي في الاسبوع الذي يسبق اسبوع عيد الفصح في كل عام. أما عيد الفصح فكان توقيته يتم، كما ذكرنا من قبل، بالنظر إلى الاعتدال الربيعي بحيث يصادف أول يوم أحد يأتي بعد البدر الأول الذي يلي الاعتدال الربيعي. وهكذا فإن عيد الفصح كان يختلف مواعده الدقيق من عام إلى آخر لأنه لم يكن يعتمد على التقويم الشمسي وحده، بل على التقويم القمري (أشكال القمر) ضمن التقويم الشمسي، على موعد اكتمال القمر ليصبح بديراً لأول مرة بعد الاعتدال الربيعي^(١). وعلى ذلك فإن عيد الفصح يمكن أن يأتي في أي يوم بين ٢٢ آذار و٢٥ نيسان على الحساب الشرقي^(٢).

ذكرنا هذا لنبين أن موعد موسم النبي موسى يختلف من سنة لأخرى تبعاً لموعد عيد الفصح المتغير، وبحيث يبدأ قبل اسبوع واحد من يوم الجمعة الحزينة التي تسبق عيد الفصح بيومين.

ولو أردنا أن نضع بعد ذلك جدولاً زمنياً للاحتفالات موسم النبي موسى لقلنا إن

(١) معروف أن الفرق بين التقويم الغربي والتقويم الشرقي (عند الارثوذكس) يبلغ الآن ١٣ يوماً. والسنة الجديدة في التقويم الشرقي تبدأ يوم ١٤ كانون ثاني وفق الحساب الغربي. وعيد الفصح بالحساب الشرقي يأتي دائماً بعد عيد الفصح عند اليهود، فلا يتقدمه ولا يزامنه.

(٢) وهذان التاريخان ينطبقان أيضاً على موعد عيد الفصح على الحساب الغربي، ولكن الشهرين (نيسان وآذار) غير متطابقين.

الاحتفالات الفعلية تبدأ يوم الخميس (قبل الجمعة الحزينة بثمانية أيام) بقدم موكب أهالي نابلس. وفي يوم الجمعة يبدأ الاحتفال الرسمي بزفة العلم من الحرم الشريف إلى النبي موسى. ويوم الأحد يصل موكب أهل الخليل وقراها، ويوم الاثنين تغادر أعلام القدس ونابلس والخليل إلى النبي موسى، وتمتد زيارة النبي موسى من يوم الجمعة إلى يوم الخميس التالي، أي سبعة أيام. وفي يوم الخميس يعود الموكب إلى القدس باحتفال كبير كذلك. وفي يوم الجمعة الذي يطلق عليه اسم «جمعة العلييات» تعاد الأعلام إلى أماكنها: علم النبي موسى، وعلم المسجد الأقصى وعلم النبي داود، في احتفالات تقام لذلك خصيصاً. وتبدأ الوفود بمغادرة القدس على الأثر، وسنجد وصفاً مفصلاً للاحتفالات في الصفحات التالية. وقد آثرنا أن نترجم أولاً إلى العربية الوصف الجيد الشامل الذي كتبه الدكتور توفيق كنعان^(٣) حول احتفالات موسم النبي موسى في كتابه الصادر بالانجليزية في لندن سنة ١٩٢٧ بعنوان (أولياء المسلمين ومقاماتهم في فلسطين)

T. Canaan, Mohammadan Saints and Sanctuaries in Palestine

والذي أعادت طباعته دار أرييل Ariel للنشر في القدس في السنين الأخيرة. وهذا الوصف يرد في الصفحات ١٩٥ - ٢١٧ من الكتاب. وسوف نترجمه فيما يلي ونضيف إليه حواشي وتعليقات في الأماكن المناسبة :

(٣) الدكتور توفيق كنعان من كبار المثقفين الفلسطينيين في هذا القرن، وتتميز كتاباته بمستوى رفيع من الدقة والتحقيق العلمي يقصر عن شأوه الكثيرون في يومنا هذا. ولهذا السبب فقد أحببت أن أحدث هنا ببعض التفصيل عن حياته وعلمه ومؤلفاته التي لا يعرفها إلا القليلون. ولد توفيق كنعان في بيت جالا من أعمال القدس في ٢٤ أيلول سنة ١٨٨٢. وكان أبوه القسّ بشارة كنعان مؤسس الكنيسة اللوثرية في بيت جالا وأول راع لها. وتلقى توفيق تعليمه في مدرسة الايتام السورية في القدس، ثم التحق بالكلية الانجيلية السورية (الجامعة الأمريكية في بيروت فيما بعد) وتخرج طبيباً عام ١٩٠٥. وبعد ذلك عاد إلى فلسطين وعمل طبيباً في المستشفيات الألمانية وفي بلدية القدس (١٩١٢ - ١٩١٤). وفي هذه الأثناء درس الأمراض المدارية والجراثومية واشتغل رئيساً لدائرة الملاريا في مكتب الصحة العالمي لمدة عام. وبحكم اختلاطه بالقرويين استيقظ اهتمامه بالفولكلور وجمع عينات كثيرة من الأمثال الشعبية، وأخذ يسجل العادات الشعبية. وفي خلال الحرب العالمية الأولى عمل طبيباً ورئيساً للمختبرات في الجيش التركي في أنحاء عديدة من سوريا وفلسطين. وفي عام ١٩١٢ تزوج من مارغوت ايلندر، وهي ابنة لمستورد الماني، وعاش منذ سنة ١٩١٣ في حي المصراة في بيته الخاص. وبعد الحرب العالمية الثانية أصبح عضواً في الجمعية الشرقية الفلسطينية The Palestine Oriental Society، وكان يكتب بانتظام في مجلتها. كما أسس الجمعية الطبية العربية وكان محرراً لمجلتها عدة سنوات - وفي هذه الأثناء واصل عمله كطبيب خاص، ومع عدد من المؤسسات والمستشفيات، كما برز اهتمامه بالآثار. وكان طلاب الآثار يؤمون بيته في القدس من مختلف البلدان.

وفي سنة الاغتصاب الصهيوني لفلسطين سنة ١٩٤٨، اضطر أن يغادر بيته إلى البلدة القديمة في القدس، حيث أخذ يعمل بدأب في معالجة الجرحى وتأسيس العيادات الطبية والمستشفيات. وكان قد فقد بيته وأملاكه،

=

موسم النبي موسى كما يصفه الدكتور توفيق كنعان

يبدأ الموسم نفسه يوم الجمعة الذي يسبق يوم الجمعة الحزينة عند كنيسة الروم الأرثوذكس وينتهي يوم الخميس التالي. ويسمى يوم الجمعة هذا «جمعة النّزلة»، بينما يطلق على يوم الجمعة الذي يسبقه اسم «جمعة المناداة» لأن المناداة على الموسم، أو الاعلان رسمياً عن أن موسم النبي موسى يبدأ يوم الجمعة التالية، تتم في هذا اليوم^(٤). وتسمى ليلة

= وخصوصاً مكتبته الثمينة، وكان فيها ثلاثة مخطوطات بقلمه كان يعدّها للنشر.

وقد عين الدكتور كنعان سنة ١٩٥٠ أول مدير لمستشفى المطلع (اوغستا فكتوريا) في القدس وبقي في المستشفى حتى سنة ١٩٥٥. وعندما تقاعد اعطي داراً على أرض المستشفى ليعيش فيها بقية حياته. وفي شهر كانون ثان سنة ١٩٦٤ توفي في مستشفى اوغستا فكتوريا.

وضع الدكتور كنعان مؤلفات وأبحاثاً كثيرة أكثرها في اللغتين الانجليزية والألمانية. ومن بين كتاباته ما كان مكرساً للدفاع عن قضية بلاده. ومنها The Zionist Question and the Palestine Crisis الصادر بالقدس سنة ١٩٣٣ و The Palestine Arab Case الصادر بالقدس سنة ١٩٤٦ و La Cause Palestinienne الصادر بالقدس سنة ١٩٤٧. وله عدة دراسات اثرية عن مدينة البتراء باللغة الانجليزية. وتميز الدكتور كنعان بشكل خاص بالأبحاث التي وضعها حول الفولكلور الفلسطيني، ومن أهمها كتاب «أولياء المسلمين ومقاماتهم في فلسطين» الصادر بالانجليزية سنة ١٩٢٧، والخرافات والطب الشعبي في أرض الكتاب المقدس الصادر بالألمانية في هامبورج سنة ١٩١٤. وفي العشرينات والثلاثينات نشر أبحاثاً كثيرة تناولت التراث الشعبي الفلسطيني من مختلف جوانبه، وعدداً من الموضوعات الطبية ونشرت هذه الأبحاث في مجلات عديدة منها: مجلة «الكلية» التي كانت تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، ومجلة The Journal of the Palestine Oriental Society التي كانت تصدر في القدس، ومجلة جمعية فلسطين الألمانية Zeitschrift des Deutschen Palästina Vereins ومجلة جمعية المستشرقين الألمان Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft وقد بدأ في تأليف الكتب ووضع الأبحاث منذ أوائل هذا القرن وتواصل النشر حتى وفاته سنة ١٩٦٤م. وكانت أبحاثه موضع تقدير العلماء والأوروبيين وترحيبهم.

بقي أن نضيف أنه كان للدكتور كنعان هدف واضح هام في دراسته للفولكلور الفلسطيني الا وهو المحافظة على التراث الشعبي من الضياع. وقد أسفر عمله في هذا المجال عن جمع مادة غزيرة تستهض الباحثين اليوم لدراستها. كما أن تراث توفيق كنعان كله بحاجة الى دراسة تهيئ اللثام عن المكانة التي يستحقها بكل جدارة، وهو بحاجة أيضاً بكل تأكيد الى ترجمته الى اللغة العربية.

(٤) كان الموسم يعلن زمن الانتداب في «جمعة المناداة» باحتفال يقام في بناية المحكمة الشرعية القديمة بباب السلسلة «المدرسة التنكزية سابقاً». وكان يؤم الاحتفال بهذه المناسبة المفتي والقاضي وكبار الاعيان ومتولو وقف النبي موسى وكذلك حاكم القدس وكبار موظفي الحكومة. وبعد الاستراحة يخرج الحضور الى ساحة المحكمة حيث يقف المنادي ويقول بصوت عال: يا أهل البلد، الجمعة الجاية موسم النبي موسى عليه سلام. الحاضر يعلم الغائب. وكل عام وانتم بخير. ثم يتلو أحد العلماء دعاء دينياً، وبعدها تصدح الموسيقى ويصافح الناس بعضهم بعضاً، وتدار أكواب المرطبات على الحاضرين، ثم ينطلق المنادون بالأسواق للاعلان عن الموسم.

الخميس السابقة لجمعة النزلة «ليلة الوقفة»، وكل من ينوي الاشتراك في الموسم يتأهب للأيام القادمة. ويجتمع الاصدقاء والعائلات المختلفة وتتحدث عما تنوي عمله... وتسمى ليلة الأربعاء/الخميس «ليلة الشيل»، لأن معظم الزوار يتأهبون فيها للمغادرة. وقبل أن نصف بداية مواعيد الاحتفالات علينا أن نلفت النظر الى أن ستة أيام جمعة في هذه الفترة تعتبر من الأيام الهامة، بدرجات متفاوتة، لأنها مرتبطة باحتفالات خاصة أو لها مميزات خاصة. ويشكل موسم النبي موسى واسطة العقد في هذه الأيام. وفيما يلي قائمة بهذه الأيام، كما هي معروفة في ضواحي القدس. وبعض الأيام تحمل أسماء مغيرة في مناطق أخرى.

أيام الجمعة بالترتيب	مقارنتها بعيد الفصح عند الشرقيين	أسماء أيام الجمعة في القدس وضواحيها	أسمائها عند الفلاحين والبدو
الأول	قبل يوم الجمعة الحزينة بأربعة عشر يوماً	جمعة المنادة	خميس أو يوم النبات
الثاني	قبل يوم الجمعة الحزينة بثمانية أيام خميس الغسل أو خميس العهد	جمعة النزلة أو جمعة البراق أو السداري ^(٥) خميس الطلعة أو يوم الشيل	خميس الأموات أو جمعة البيض.
الثالث	الجمعة الحزينة	جمعة العلييات	جمعة المغري أو جمعة الحيوانات
الرابع	بعد الجمعة الحزينة بثمانية أيام	جمعة الرغائب جمعة الحلاوي أو الجمعة الطويلة	
الخامس	بعد الجمعة الحزينة بأربعة عشر يوماً	جمعة الغربا	
السادس	بعد الجمعة الحزينة بواحد وعشرين يوماً	جمعة الخزانى	

(٥) أو جمعة السنداري.

تبدأ الزفة باحضار علم النبي موسى من المكان الذي يحفظ فيه طوال السنة ، ويدعى «الدار الكبيرة» التي تخص عائلة الحسيني ، وهي تقع غربي الحرم الشريف في الطريق الذي يصل باب الحبس بطريق باب خان الزيت^(٦) . وفي هذا المكان يجتمع الوجهاء وكثير من الموظفين ويسلم العلم الى المفتي على طبق . وبعد قراءة الفاتحة ينشر المفتي العلم ثم يثبت في الزانة . والعلم مصنوع من المخمل الأخضر وأطرافه كلها مطرزة بالخيط الذهبية . أما قياسه فهو ٢٠٠ سم في ١٤٠ سم . وتخط قطعة من الحرير الأسود في وسط كل جانب من جانبي العلم وعليها كتابات سنصفها فيما بعد . وقطعة الحرير هذه عليها تطريز في جوانبها . ويثبت العلم على عصا طويلة تدعى الزانة تنتهي في جانبها العلوي بهلال ذهبي .^(٧)

تتحرك الزفة ببطء إلى الحرم الشريف ، وتدخل اليه من باب الحبس (ويعرف أيضاً بباب علاء الدين البصري)^(٨) . وكان يصاحب الزفة زمن الأتراك فرقة موسيقى عسكرية وحرس شرف . وبعد صلاة الظهر تترك الزفة الحرم من الباب نفسه لا من باب حطة كما يقول شبور.^(٩) وصحيح أن جزءاً كبيراً من الجماهير التي تحضر الاحتفال في الحرم تغادره من أبواب أخرى . ويمضي المفتي الأكبر وحمله الاعلام وخدام النبي موسى الآخرون قدما الى خارج الحرم . وعندما يتركون منطقة الحرم يمتطون الخيل ويتحركون ببطء على الطريق الممتدة من طريق الآلام ، ويتركون المدينة من باب ستنا مريم (باب الأسباط) . وفي هذه الأثناء تكون الطريق غاصة بجماهير النظارة ، وكذلك الشرفات والشبابيك والمقبرة والبساتين

(٦) الطريق المقصود الذي يصل باب الحبس بباب خان الزيت هو عقبة المفتي (طريق الآلام) . ومن عقبة المفتي هذه يتفرع طريق صغير باتجاه الجنوب يدعى عقبة البيرق أو طريق البيرق وفيه تقع الدار الكبيرة التي تدعى أيضاً دار الحسيني أو دار المفتي أو دار البيرقدار أو دار نقابة الاشراف (ك . ع .)

(٧) يصف شبور الاحتفال باخراج العلم فيقول : «بينما كنا ننتظر في حوش الدار الكبيرة . . . دخلت مجموعة من الجنود ، وهي حرس الشرف المخصص للبيرق ، وسرعان ما امتلأ الحوش بأعلى أرياب الرتب الروحية والدينية . . . وبعد شرب القهوة ، عزفت جوفة الموسيقى ، وقد حدثونا عن قطعة موسيقى محبوبة جداً كانت تعزفها الجوفة في مثل هذه المناسبات ، وانتظرنا سماعها بفارغ الصبر . ولما لم تعزف رجوناهم ألا يجرمونا من الاستمتاع بها . وبعد تلكؤ لم يكذب يكون ملحوظاً ، استجابوا لرغبتنا بأدب بالغ .

. . . وبعدئذ أحضر العلم وقدم الى المفتي الوقور . وساد الجمع صمت عميق ، وعندما ارتفع صوت المفتي بالدعاء اغرورقت بعض العيون بالدموع . ولما انتهى الدعاء ثبت العلم على الزانة وغرس الجنود حراهم وأحاطوا بالعلم . وبين استحسان الحاضرين وهتافهم وعزف الموسيقى توجه الموكب الى الحرم»

H. Spoer, ZDPV 32 (1909 pp 213 – 214

(٨) وأيضاً باب المجلس (ك . ع) .

(٩) Spoer ، المصدر السابق ، ص ٢١٤

الواقعة على طرفي الطريق .

ونظراً للعدد الكبير من الشاسي التي يحملها المشاركون في الزفة والنظارة سمي هذا اليوم «عيد الشاسي» . وفيه يتجمع الشباب في مجموعات ، فمنهم من يعزف ، ومنهم من يرقص أو يغني في الطريق .^(١٠) ويحمل الجمهور أعلاماً كثيرة تمثل الأولياء المختلفين في المدينة والقرى المجاورة . وكل علم له أتباعه . وهكذا نرى أعلام الشيخ عاطف^(١١) والشيخ القزاز^(١٢) والشيخ علي الشريف^(١٣) وعلماً من النبي صمويل الخ . . ويرى المرء في هذه الزفة على الدوام علم النبي داود وعلم المسجد الأقصى ، وهما يرافقان علم النبي موسى حتى تصل الزفة الى راس العامود . ويتقدم موكب الزفة ببطء فيصل إلى راس العامود بعد ساعتين أو ثلاث ساعات ، وهناك يرحب به رئيس بلدية القدس وأعضاء البلدية الآخرون . وتوجه البلدية الدعوات إلى العديد من الضيوف في هذه المناسبة . وبعد تقديم المرطبات يلف العلم بعناية ويواصل الوجهاء رحلتهم بالسيارات أو العربات . ويتبعهم قسم من الجمهور ببطء ، أما القسم الأكبر فيعودون الى القدس .^(١٤)

(١٠) كانت الجماعات تنظم حسب المدن والقرى ، وحتى حسب الصناعات كالأساكة والدباغين (ك . ع) .

(١١) الشيخ عاطف الديسي ، القيم على جامع الشيخ جراح .

(١٢) هذا الشيخ والشيخ السابق من القدس .

(١٣) قيم مسجد الخضرا بنابلس .

(١٤) وفيما يلي وصف الموكب ، كما ورد في شبور :

(عندما بدأ الموكب في السير من الحرم أطلقت المدافع طلقة ايذاناً بتحركه . . وعندما تحرك أول فوج من الزوار انطلقت الحناجر بهتاف يشق عنان السماء : لا اله الا الله . . وتبعه جنود من الفرسان الذين كانوا يسرون أمام الموكب الفعلي لبفسحوا له الطريق ، وتصاعد الصخب من دقيقة الى اخرى . . ودوى نداء لا اله الا الله كأنه طلقات المدافع فوق الوادي الذي يخيم عليه الهدوء عادة . . هنا كان يرى المرء دروياً يغرس عصا حديدية رفيعة في تخديه وهناك رجلا يدور دوراناً مستمراً كالمغزل . وغير هؤلاء شكلوا صفوفاً تشابكت فيها أذرعهم وقفزوا خطوتين أو ثلاثاً الى الأمام وواحدة الى الوراء . . وكل من هؤلاء تحلقت حوله حلقة من المشجعين يشجعونه بهتافات التشجيع والاستحسان . . وأمام العلم مباشرة سار فوج من الجنود الهتجاة من بثر السبع . أما العلم نفسه فكان يحمله رجل وفاء لنذر نذره والده عندما كان الابن يعاني مرضاً شديداً . ومع حامل العلم جاء المفتي وشيوخ الحرم ، وتبعهم مرة اخرى عسكريون ، وتلا هؤلاء جماهير غفيرة من الحجاج المتحمسين . . وكان منهم من يركب على ظهر آخر ويقود رفاقه الذين كانوا بلا ريب من سكان حارته . وكان هؤلاء ينفجرون بهتافات عالية للسلطان ، ويلوحون بالسيوف والهراوات . وكان الناس من جميع الأعمار . وكان الشباب يفعلون مثل الشيوخ . وفوق حديقة الجسائية نصب قرب الشارع سراق للحاكم . وعندما وصل الموكب هذا المكان جرى ترحيب قصير وتلى دعاء ، ثم طوى العلم ، واستأنف الموكب سيره الى النبي

موسى) . H. Spoer, Z D P V 32 (1909), pp. 214, 215. [ك . ع]

ويزداد عدد الزوار في كل يوم من أيام الموسم وهم يأتون بالترتيب التالي بصورة عامة .

الوصول	المجموعة	المغادرة
الخميس	أصحاب المقاهي وبعض التجار	الجمعة بعد ثمانية أيام
الجمعة	خدام النبي موسى وبعض التجار	الخميس
السبت	قبيلة العدوان	الاثنين، أو الثلاثاء.
الاحد	أعلام القدس المختلفة (عاطف، القزاز الخ)	الخميس
الاثنين	الخلايلة، علم شباب القدس وعلم نابلس.	الأربعاء
الثلاثاء	بدو الديوك	الأربعاء
الأربعاء	أهل أريحا	الأربعاء

ويدعى الشخص الذي يحضر ليوم واحد «صباحي» بينما يسمى الشخص الذي يقضي ليلة واحدة فقط «بياتي». ويأتي الأول في الصباح ويعود بعد الظهر، بينما يصل الثاني عموماً بعد الظهر ويبقى ليلته ثم يغادر في اليوم التالي.

يغادر الخلايلة الخليل يوم السبت ويخيمون في البقعة، جنوب غربي القدس. وفي اليوم التالي يدخلون القدس عن طريق باب الخليل في موكب طويل، وهم يغنون ويرقصون ويلعبون السيف والترس. ويحتشد جمهور كبير من الناس ليشهدوا الاحتفال. ثم يواصلون سيرهم عبر البلدة القديمة إلى أن يدخلوا الحرم من باب المحكمة (باب السلسلة - ك. ع. -).

ويمضون ليلتهم في الحرم ثم يغادرون في وقت مبكر من اليوم التالي إلى المقام. ومن المعتاد أن يرسل موكب الزفة قبل وصوله إلى قرية ما رجّاداً^(١٥) إلى القرية ليعلن قدوم الموكب فيخرج في الحال كل من يستطيع من سكان القرية لملاقاة الموكب ويأخذون معهم علمهم وعدّتهم^(١٦). وغالباً ما يدعى الملتحقون بالموكب إلى تناول الطعام.

(١٥) الرّجّاد : في الفاموس : رَجَدَ : نقل السنبُل الى البيدر، فهو رَجّاد، وهذا هو أصل الكلمة.

(١٦) العدّة: مجموعة الآلات الموسيقية (ك. ع.).

إن جميع السيّارات^(١٧) تغادر القدس بأبهة عظيمة وموسيقى رتبية . ويكون العلم على رأس الزفة . وعندما يجتازون الجسمانية يلفون العلم ويسرون ببطء وهدوء . وحالما يصبحون على مرمى النظر من مقام النبي موسى ، يعيدون ترتيب صفوفهم ويرفعون العلم ، ويبدأ الموكب الرسمي من جديد . ويشرعون أولاً في عمل أكوام صغيرة من الحجارة كقناطر^(١٨) ويقرأون الفاتحة . ويرسل الدراويش الذي يكون على رأس الموكب أحد أتباعه ليعلن قدومهم للدراويش الآخرين الذين سبقوا إلى النبي موسى . ويدعى هذا الرسول «النّجّاب» . ويربط الشيخ الذي يرسله مندبلاً حول رقبته لا يفكه سوى الشيخ الذي يستقبله في المقام . ويركض «النّجّاب» إلى المقام مباشرة ، وهو يضرب طول الوقت على نقارته . وحالما يصل إلى مبنى المقام يخرج جميع الدراويش ، من أي طريقة كانوا ، للترحيب به . ويقوم أكبر الدراويش سنّاً بفك المندبل المربوط حول عنقه ، وهو يتلو الفاتحة . ويأمر هذا الشيخ كل السيّارات والعِدَد بالترحيب بالقادمين .

ويزور القادمون أول ما يزورون مزار الراعي ثم تمضي الجموع إلى النبي . وحالما يصلون إلى الفناء الخارجي تتقدم الزفة ببطء شديد ، بينما تشتد الحماسة وتزداد . وطوال الطريق إلى مزار الراعي ومقام النبي تطلق الأعيرة النارية ، لمضاعفة الحماسة ولإعلان قدوم الموكب . ولم يعد يسمح بهذه العادة الآن .

أما ترتيب مواكب الزفة فيكون عادة على الوجه التالي : يسير جامل العلم أولاً ، ويتبعه الموسيقيون . يليهم بعض شباب المجموعة يحيطون بقائدهم ويرقصون حسب الإيقاع الذي يحدده . وكل رقصة تكون مصحوبة بالغناء . يغني قائد المجموعة مقطعاً فيكرره الآخرون . ويلوح بسيف أو عصا أو بمندبل في الهواء ويرقص معهم . وهكذا يحدّد لهم الإيقاع . ويكون الموسيقيون أحياناً ، كلهم أو بعضهم ، في الحلقة . وفي أثناء الغناء والرقص يصفق أعضاء المجموعة بأيديهم وفق إيقاع ثابت . وهذا التصفيق تصادفه في جميع مناسبات الفرح والبهجة . ويبدو أن المشاركين في الأداء والمشاهدين لا يكلون ولا يملون من هذه التسلية البسيطة التي تنتظم الجميع . ويتقدم هؤلاء ببطء إلى أن يبلغوا المقام وترحب بعض النساء من النظارة بالقادمين بالزغاريد أو بالأغاني القصيرة التي تنتهي بقرعة حادة بالألسنة .

(١٧) السيارة : فرقة إيقاع مؤلفة من طبول كبيرة وصغيرة ومزاهر ، وكاسات نحاسية تدق وتنقر عليها إيقاعات جميلة مختلفة متفاوتة في الشدّة (ك . ع) .

(١٨) وتسمى أيضاً شواهد (لأنها تشهد يوم الدين للذين قاموا بالزيارة) . وهي عادة مأخوذة عن القدماء (ك . ع) .

ومن الممتع أن نلاحظ . . أن الغناء والرقص والتصفيق واستعمال الآلات الموسيقية ومشاركة جميع الطبقات هي اليوم مثلما كانت عليه قبل آلاف السنين . . .

وأهم أنواع القرص هي السّحجة والدبكة . والدبكة على أنواع فمنها الطيارة والشمالية والعرجة والفتوحية والقرادية والسبعاووية والمثلثة . وقد يرافق التصفيق بالأيدي والخطب بالأرجل أي رقصة من هذه الرقصات . وفي حالات كثيرة تقوم مجموعة أخرى بلعب السيف والترس ، أما عوضاً عن الرقص ، أو وراء فرقة الراقصين . ويكون الشخصان اللذان يقفان وسط الفرقة مسلحين بسيف وترس صغير . وبينما يقوم أصحابهما بالتصفيق والغناء من حولهما يتظاهر هذان بمهاجمة بعضهما بعضاً ويتقدمان ويتراجعان ويركعان على ساق واحدة ويقفان ويميلان إلى اليمين أو إلى اليسار ويلوحان بالسيف في اتجاهات مختلفة طوال الوقت . ويقوم أحدهما بين الفينة وأخرى بضرب ترسه هو أو ترس خصمه بالسيف . وتؤدي ضربات السيف وفق إيقاع محدد بحيث يتبعها الصوت حسب وزن منتظم . وسندرج فيما يلي بعض الأغاني التي تُغنى أثناء هذه اللعبة وكذلك أثناء الرقص .

أما الآلات الموسيقية التي تستعمل فهي :

الطبل ، الكاس (الجمع : كاسات) ، والمِزْهَر ، والشبّابة ، والأرغل ، والناية ، والزّمارة ، والمجوز ، والدرقة ، والنوبة .

والإيقاع الذي يحدثه الطبل والكاسات يكون له دائماً تقريباً معنى محدد ، مثل

الله الله الله حي

||| - |||

دا - يم دا - يم

ا - ا -

قيّ - وم قيّ - وم ا - ا -

ولا يسمح للطبل بالاهتزاز إلا عندما تؤدي كلمة «الله» وحدها ، بينما يرتد الصوت بطيئاً عند الكلمة الثانية ، ويؤدي المقطع الأخير مصحوباً بضربة قوية على الطبل . أما ألوان أقمشة الرايات فتتراوح بين الأخضر والأبيض والأحمر ، وتكتب عليها الآيات القرآنية ، واسم الولي الذي تختص به الراية ، وأسماء الله الحسنى . وترسم هذه الكتابات بخياطة أشربة ذات ألوان مختلفة على العلم نفسه .

وفيهما يلي نصوص بعض الكتابات :

١ - « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

٢ - على علم النبي موسى :

أ - على أحد وجهين كلمة الشهادة السابقة .

ب - وعلى الوجه الآخر , وكلم الله موسى تكليماً ١٣٠٩ » .

٣ - علم بيت سوريك :

بسم الله الرحمن الرحيم

نصر من الله وفتح ميمن .

مددك يا سيدي احمد البدوي .

٤ - على علم الشيخ جابر النعنع :

« لي سادة من عزهم —

أقدامهم فوق الجباه

ان لم أكن منهم فلي

في حبهم عز وجاه »

٥ - على علم ثان للشيخ نفسه :

« لا اله الا الله .

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله

سيدي أحمد الرفاعي ولي الله .

قدس^(١٩) الله سرّه العزيز » .

٦ - على علم رؤي في احتفالات النبي روين :

« أبوبكر — عمر

لا اله الا الله ومحمد رسول الله

علي — عثمان »

٧ - علم الشيخ أحمد الفالح :

« أبو طلحة — سعد

(١٩) في الاصل المترجم « قد نشر » والاصح في ظني « قدس » فهذه هي الكلمة التي تستعمل عادة في هذا المقام (المترجم ك . ع) .

جدده الفقير احمد
الفالح خليفة الحضرة
الاحمدية

زبير سعيد

٨ - على علم آخر للشيخ نفسه :

«بسم الله الرحمن الرحيم
وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريكاً في الملك ولم يكن له
ولي» .

٩ - علم رؤي في روين سنة ١٩٢٤ :

أبو بكر عمر

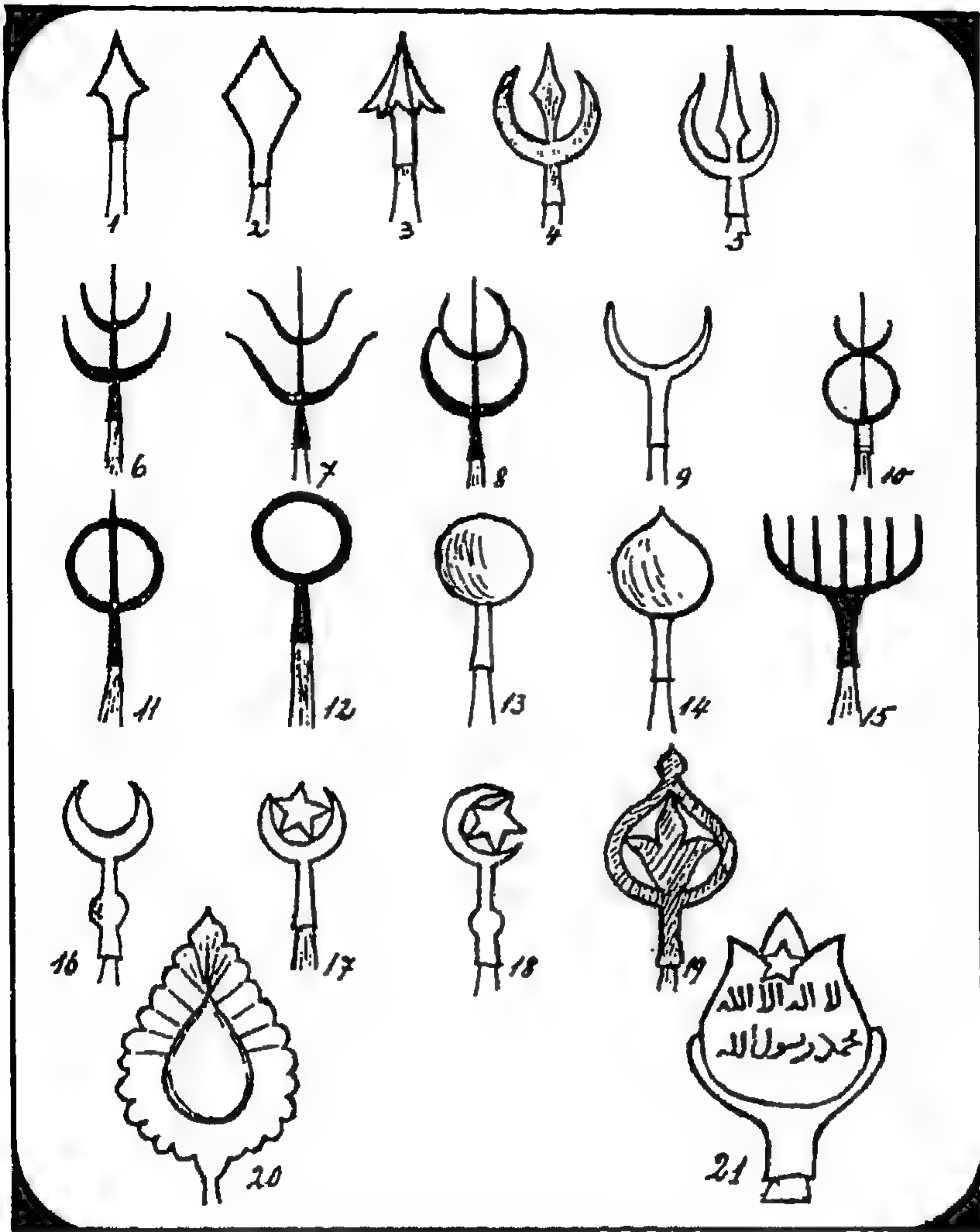
بسم الله الرحمن الرحيم
لا اله الا الله ومحمد رسول الله
واذا عزمت توكلت على الله
سيدنا الخضر عليه السلام .
عثمان علي

وفي كثير من الأحيان يُلبس الطرف العلوي للزانة التي يثبت عليها العلم بقطعة
معدنية تتخذ شكلاً من الأشكال المرسومة على اللوحة في الصفحة التالية :
ويتبين من دراسة الأشكال المختلفة - التي يسمى واحداً عادة «هلال» أنها تنقسم
الى المجموعات التالية :

١ - شكل سلاح (رمح أو حربة) الرقم ١ و ٢ و ٣ .

٢ - شكل يد (الرقمان ٦ و ٧) . والرقم ٨ يمكن أن يندرج أيضاً في هذه المجموعة ، بينما
يرينا الرقم ١٥ ، العدد «سبعة» المقدس .

٣ - أشكال مختلفة تمثل تطور القمر . الأرقام ٤ و ٥ و ٩ و ١٠ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ٢٠ . ويحمل الرقم
٢١ في القمر كتابة : لا اله الا الله محمد رسول الله . والأرقام ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ التي
تتخذ شكل الكرة أو الدائرة ، يمكن تصنيفها في هذه المجموعة ، مع أنها قد تفسر بأنها
تمثل الكرة الأرضية .



وهذه العلامات شائعة في الخرافات الشعبية التي نصادفها في الوصفات السحرية والطب الشعبي .

ومن القرى التي لديها عدد (أي آلات موسيقية) تأتي لزيارة النبي : بيت اكسا، والنبي صمويل وبدو وبيت عنان وبيت دقو وبيت سوريك وأبو غوش والعيسوية وسلوان والديوك وأريحا الخ . وقيل لي إن قبائل العدوان والكعابنة الخ . لا تحضر معها عدّة ولا علماً .

أما خدام النبي موسى فهم عائلات الحسيني ويونس وقلبيو وبزبزت . . ولكل عائلة من العائلتين الأوليين مطبخ في المقام تطبخ فيه كميات هائلة من الطعام ، وتوزع على الزوار

مرتين في اليوم . وأما حملة الأعلام فهم من عائلة قليبو، بنينا المؤذن من عائلة بزبزت . وللعائلة الأخيرة أيضاً حق انارة المقام . وعلى مفتي القدس أن يسير على رأس الزفة . ويعتز خدام النبي موسى أيما اعتزاز بالشرف الذي تسبغه خدمة كليم الله على عائلاتهم .

وفي كل يوم تطبخ عائلة الحسيني قنطاراً (٣٠٠ كيلو غرام) من اللحم وتطبخ عائلة يونس الكمية ذاتها تقريباً . ويطبخ اللحم في حلل كبيرة تابعة للمقام^(٢٠) . تفلفل كمية كبيرة من الرز، كما تطبخ اليخاني وأهمها يخني الفول ويخني البصل ، ويخني الملوخية ويخني الباذنجان الخ . ويقصد باليخني الخضار المطبوخة مع اللحم والسمن . وفي كل يوم تقدم وجبتان عامتان ، وجبة غداء ووجبة عشاء . وعندما يجهز الطعام يأتي الزوار ويأخذ كل منهم حصته . ويشكل هؤلاء عادة مجموعات صغيرة يأتي ممثل عنها لاستلام الطعام . ويوزع الخبز أيضاً . وتحتشد جماهير غفيرة عند التوزيع ، ويحمل كل شخص اناء ويحاول أن يكون من السابقين ، فيتدافعون ويتحاشرون ويصرخون . وكثير من الزوار الذين يفضلون أن يطبخوا بأنفسهم يتسلمون حصصهم «خرج ناشف» لحم نيء ورز غير مطبوخ . وفي وسع العائلات المعروفة التي تطبخ طعامها بنفسها أن تتسلم أواني الطبخ من المطبخ في حين يدفع الآخرون رهنا . وتذبح المواشي ، وأكثرها من الأغنام والخرفان ، في مكان خاص خارج المقام في الطريق المؤدي إلى طريق العربات . وحتى الشخص الذي نذر «ذبيحة» للنبي موسى يذبحها عادة في هذا المكان . وهو يقول بهذه المناسبة : «منك والك اجر وثواب لسيدنا موسى» . وكثيراً ما تضاف العبارة التالية : «إتقبل نذكرك يا كليم الله» واللحم الذي يذبح أما أن يوزع على الحاضرين أو يرسل إلى واحد من المطبخين في المقام ، ليطبخ ويوزع على الزوار . ويحتفظ صاحب النذر دائماً بحصة جيدة من الذبيحة له ولأصحابه . وتغطي النفقات الهائلة التي تنفق في هذه الأيام السبعة من ربيع وقف النبي .

وتحتشد غرف المقام وفناؤه والساحة الواسعة المحيطة به بالزوار . وانه لمنظر رائع شديد الامتاع ومنير للذهن ذاك الذي يشهده المرء وهو يراقب الوجوه والأزياء والعادات والألعاب المختلفة والخصائص الأخرى التي يتميز بها هذا الحشد من الناس : الفلاحون وانصاف البدو يختلطون بأهل القدس ونابلس والخليل . والذي يدرس البلاد عن كثب يستطيع أن يميز بسهولة بين الأنماط المختلفة . وباستثناء نساء المدن اللاتي يلزمن الغرف معظم الوقت

(٢٠) كانت الحلل من النحاس . وكان يسكب منها الطعام بعد صلاة الظهر في صوان كبيرة توضع على الأرض ويجلس حول الواحدة منها من ٨ - ١٠ أشخاص (ك . ع .) .

أو يقفن على الشرفة المكشوفة في الطابق الأول، فان جميع الزائرات الأخريات يشاركن الرجال النشاطات المختلفة ويختلطن بهم باستمرار. ويرتدي كل واحد من هذا الجمع أحسن ما عنده من الملابس التي تعرض كل لون من ألوان قوس قزح. ويكون عدد الزوار في بعض الأوقات كبيراً جداً، وهو يصل إلى الذروة يومي الاثنين والثلاثاء. وبعد ذلك يبدأ الكثيرون في المغادرة. وطوال هذه المدة باستثناء اليوم الأول (الذي لا يغادر فيه أحد) واليوم الأخير (الذي لا يحضر فيه أحد) يكون الناس في حركة دائبة من المجيء والذهاب.

وقول كيرتس Curtiss إن خمسة عشر ألف شخص يحضرون الاحتفال مبالغ فيه. وحالما ينتهي موسم النبي موسى يهجر المكان ولا يبقى فيه أحد طوال العام سوى حارسين. وأحد الحارسين الآن هندي عيّنه آل الحسيني والآخر هو أحمد يونس عيّنه آل يونس. (٢١).

وينزل جزء كبير من الزوار في الغرف المختلفة. ولبعض العائلات حق موروث في غرفة من الغرف، فتحجز هذه الغرفة لها دائماً. أما الغرباء فتدعوهم عادة إحدى العائلتين «خادمتي» المقام وتبهيء لهم أسباب الإقامة المريحة. ولكل عائلة من هاتين العائلتين قاعة استقبال يستقبل فيها الزوار حيث يرحب بهم أحد أفراد العائلة، عادة أكبرهم سناً. ويقدم شراب الليمون والقهوة والسجائر. ويظل صالون آل الحسيني على ساحة المقام، حيث يمكن مشاهدة كل النشاطات التي يقوم بها الجمهور. ويحضر كثير من الزوار خيامهم وينصبونها على أحد التلال المجاورة. أما البدو فينصبون بيوت الشعر الخاصة بهم. ومنظر قدوم هؤلاء الأخيرين ومبارحتهم منظر رائع للغاية فالجمال تزّين بأحكام وتحمل النساء والأطفال في الهودج.

ومن المبهج أن يتمشى المرء في المساء في أرجاء المخيم. فالخيام كلها مضاءة، وغالباً ما تتم الاضاءة بشموع نذرت لاشعالها في هذا المكان. في خيمة من الخيام تسمع عزف العود مصحوباً بغناء يصغي إليه الحاضرون باهتمام ويعربون عن استحسانهم بين وقت وآخر بترديد هم: الله الله. وفي خيمة أخرى نجد مجموعة من الناس يجلسون باسترخاء

(٢١) يُعتقد أن النبي، شأنه شأن كل ولي، يحمي مقامه من السرقة. والقصة التالية توضح هذا الاعتقاد. دخل بدوي المقام ذات مرة في غيبة الحراس ليسرق ستائر القبر. وعندما حاول الخروج من الشباك نفسه الذي دخل منه بسهولة، اقتربت القضبان بعضها من بعض، فعصرته عصاراً شديداً مات على اثره. وفي الليلة نفسها ظهر النبي الى موسى يونس في القدس وقال له ثلاث مرات: موسى، اذهب وأزل الجثة من مقامي. وفي اليوم التالي ذهب موسى برفقة بعض الموظفين ووجد البدوي الميت.

ويروون الحكايات ويشربون القهوة أو يدخنون النرجيلة . وكثيرون يتجولون في التلال المجاورة .

إن جمعاً كهذا يجتذب كل أنواع التجار ومقدمي ألعاب التسلية . وتمتلئ الساحة على الجانبين بالتجار الذين يبيعون الحلوى والملبس والفواكه المجففة والمناديل ، وأحزمة القماش ، ومواد الاستعمال اليومي والأواني الزجاجية والأساور المذهبة والخواتم والسلاسل والمسابيح وأباريق الفخار والجرار والقدور ، والكتيبات والكراريس والحجابات والتبغ وعلب الكبريت والشموع وأشياء عديدة أخرى . وبينما يضع الكثيرون بضاعتهم على رفوف خشبية صُنعت على عجل يفرش آخرون بضائعهم على قطعة من القماش مبسوطة على الأرض (يبسطون) . ويقف هؤلاء بلا كلل طوال النهار وإلى ساعة متأخرة من الليل ، ويحاول كل منهم أن يتفوق على جاره بالصراخ وهو يمتدح البضاعة التي يبيعها . وإلى خارج الساحة تجلب قطعان من الخراف للبيع . وكل من عليه أن يقرب ذبيحة يمكنه أن يشتري حيواناً في هذا المكان . ويحضر كثيرون ذبائحهم معهم .

وفي خارج مبنى المقام يجد المرء دائماً المقاهي التي يقيمها أصحابها من قماش الخيام الخشن . ويجلس الزبائن فيها على الكراسي العربية الواطئة ، ويطلبون القهوة أو شراب الليمون أو النرجيلة . ولا يخلو الجلوس في المقهى من المتعة ، خصوصاً في المساء ، حيث يراقب المرء حياة الناس ونشاطاتهم بينما يؤدي الحاكي (الفونوغراف) ألحاناً رتيبة . ويجذب خيال الظل (الكراكون) اهتمام المارة ويغريهم بالدخول . وكثيراً ما يزور هؤلاء أيضاً ، خصوصاً الأطفال منهم والفلاحين والبدو ، صندوق العجم وهو صندوق مستطيل مزدان من الخارج بالأجراس الصغيرة والمرايا وكرات الزجاج والصُّور والزهور ، ويستند إلى كرسي صغير . وله من الأمام ثقب صغير يرى النظارة من خلالها لفافة من الصور المخبأة في الوسط والتي تدار بحيث يستطيع المشاهد أن يتابع القصة التي يتلوها مشغل الصندوق بسرعة بأسلوب رتيب . وقد يمضي المرء وقته أيضاً في لعب الورق (الشدة) وطاولة الزهر (النرد) .

وتجتمع الجماعات في الحقول خارج المقام وتمضي الوقت في سباق الخيل ولعب الجريد (وهو مبارزة هزلية بأغصان طويلة مستقيمة يفوز فيها من يرمي عصاه مسافة أبعد من غيره) . وقد تلعب هذه اللعبة الأخيرة على ظهور الخيل . ويحاول الفلاحون وأهل المدن أن ينافسوا البدو ، ولكنهم نادراً ما يُظهرون براعة الأخيرين الذين يقودون أفراسهم العربية الرشيقة

بسهولة كبيرة. وفي لعبة أخرى يقسم اللاعبون أنفسهم إلى فرقتين ويقوم بدوي من الفرقة الأولى بالعدو بفرسه بأقصى سرعة وهو يمسك بعنانها بيد ويمسك ببندقيته باليد الأخرى، محاولا القاء خصمه من الفرقة الأخرى على الأرض أو يقطع عليه خط التراجع، فإذا نجح في ذلك فهو يمسك بخصمه، أما إذا أمسك به الرجل الذي يقابله في الفرقة الثانية أو لمسه مجرد لمس، فعليه أن يذهب معه. ويحاول الباقيون في فرقة الرجل الممسوك أن يطلقوا سراحه بالاندفاع نحوه ولمسه.

ولا يجوز لنا أن نُغفل الممارسات الدينية في هذه الأيام. فحالما يؤذن المؤذن يستجيب معظم الناس لندائه ويؤدون الصلاة، ولا يهم أين يصلي المرء: في المقام، في الجامع، في غرفة، أو في خيمة في الخارج. وتعتقد بين وقت وآخر حلقات الذكر التي يرتل فيها شيخ حسن الصوت جزءاً من القرآن ترتيلاً شجياً، فيستمع إليه جميع الحاضرين بصمت تام فلا كلام ولا تدخين ولا شرب قهوة. وقد حضرت حلقة ذكر كهذه ذات مرة في النبي موسى فوجدت أنه مما يسمو بالنفس أن يرى المرء كيف كان الجميع يصغون بورع وتقى.

والختان (الطهور) شائع جداً في هذه الأيام وفي هذا المكان المقدس. ويرى المرء كل يوم عمليات عديدة كهذه. يلبس الطفل ملابس حريرية جديدة ويزين بالسلاسل والأزرار الذهبية الخ. بقدر ما يسمح به جيب أبيه. ولا ينسى أهله أبداً بالطبع المسبحة الزرقاء والحجاب والمشخص وحجر الشب. وغير ذلك من التائم والتعاويد، التي تحميه من شرور «العين» أو «النفس» الحاسدة، فالطفل يكون في مناسبة الطهور أكثر تعرضاً لفعل القوى فوق الطبيعية من أي وقت آخر. ويرافق الوالدان والأقارب والأصدقاء والجيران الحاضرون الطفل في زفته التي تبدأ بدورة حول المبنى، وتستأجر لهذه الغرض فرقة أو مجموعة من السراقصين ويغني الجميع بأعلى أصواتهم، وتعرب النساء القريبات عن فرحتهن باطلاق الزغاريد بصوت مرتعش. أما الطفل الذي يكون خالي الذهن تماماً مما سيحل به من ألم، فيستمع أياً استمتع بالاحتفال كله. وحالما تصل مجموعة المحتفلين إلى الباب المؤدي إلى الساحة يترجل الطفل ويحمله أبوه أو أقرب أقربائه الذكور. ويرتفع صوت الموسيقى وتزداد حماسة الغناء. وعند شباك المقام تفرع الطبول على نحو صارخ ويشد الصياح. ووسط جمهور هائج يقوم الحلاق - وهو الجراح المحترف - بأجراء العملية الصغيرة بأقصى درجات البراعة. لا يُستعمل مخدر موضعي ولا تتخذ أي إجراءات لتطهير الجرح أو تعقيمه، ويختن عشرات الأطفال بسكين واحدة. ولهذا السبب تتسم كثير من الجروح وتسبب متاعب كثيرة. ويتمتع الحاج أحمد الحلاق وأولاده بسمعة جيدة لمهارتهم في هذا التخصص. ويغرق

صياح الطفل أثناء العملية بأصوات الموسيقى ويتسلم الحلاق أجره الذي يتوقف على قدرة والد الطفل وكرمه ، ويتراوح بين مجيدي وجنيه . وهي لا تسمى أجراً في الواقع بل إكرامية . ويقوم الحلاق بختان بعض الفقراء مجاناً لينال بذلك الأجر والثواب . إذ انه يعتقد أن النبي سيباركه بسبب عمل الخير هذا في الدنيا والآخرة . وبعد أن تعود جماعة المحتفلين يضمم الجرح بالنباتات المجففة التي تسحق وتمزج أحياناً بزيت يؤخذ من مصابيح المقام . ويعتقد الكثيرون أن هذا الزيت هو خير علاج شاف . وفي الوقت الحاضر يستعمل الحلاق أحياناً مسحوقاً مطهراً لشفاء الجرح .

إن معظم الأغاني التي تتردد خلال الاحتفال بالختان وكذلك خلال الرقص ولعبة السيف والترس لا علاقة لها بالنبي موسى بل هي أغان عادية تغنى في أي مناسبة من المناسبات . وكثير من الأغاني التي هي في الواقع مدائح نبوية خاصة بالنبي محمد تغنى في هذه الأيام . وسأورد فيما يلي بضع أغان مرتبطة مباشرة بالنبي موسى :

- ١ -

يا زوار موسى

سيروا^(٢٢) بالتهليل .

زرنا النبي موسى

عقبال الخليل^(٢٣)

يا زوار موسى

زوروا بالعدّة

زرنا النبي موسى

عقبال الحجة

يا زوار موسى

زوروا بالدرقة

(٢٢) البعض يقولون : زوروا .

(٢٣) ويقال أيضاً : زرنا النبي موسى

عقبال الخليل

وشعرك يا موسى

سائل عالقنديل .

وشعرك يا موسى
حرير في ورقة .

يا زوار . . .
زوروا بالاعلام .
زرنا . . .
وعليه السلام

يا زوار .
طحتوا سالمين
يا زوار
تردّوا سالمين

- ٢ -

على بير زمزم اتوضا النبي^(٢٤)
ببريق فضة وشمع ينضوي
على بير زمزم اتوضا الرسول^(٢٤)
ببريق فضة وشمع ويخور
يا ليلي بنيتك^(٢٥) يا نبي
في جنب بيتك عشش المصطفى
كوني خوانه يا نجوم السما
كوني هنية يا طريق النبي
زبدة طرية تحت إجرين الزوار
مسيك بالخير يا موسى يا ابن عمران .
يا ليلي تقوم من منامك تشبه الغزلان .^(٢٦)

(٢٤) أي النبي محمد .

(٢٥) أي نبوتك (أي نبوة النبي موسى) .

(٢٦) سمعت من امرأة من المألحة .

الجزء الأول من هذه الأغنية يُغنيه الحجاج وهم في طريقهم إلى مكة . وقد سمعت الأغنية كلها يغنيها زوار النبي موسى .

- ٣ -

العرس ما هو فرحة
ولا طهور الصبيان
ما فرحة إلا زيارة موسى
عليه الصلاة والسلام
لولاك يا موسى ما جينا ولا تعنينا
ولا دهسنا الحصا ولا الرمل باجرينا
مسيك بالخير يا موسى يا ابن عمران
يا ساكن الغور وبلاد حوران.

ومن الأقوال القصيرة في النبي موسى :

يا ابن عمران حرك الميزان
حلاوة النبي موسى بركة
ثمر النبي موسى بركة
ليمون النبي موسى بركة.

وينادي بعض الشحاذين قائلين باستمرار:
أنا إلي ع سيدي الكلیم كعكة ومعمولتين.

وهكذا ينقضي الاسبوع بالألعاب والأغاني والاحتفالات بصورة ممتعة ايما إمتاع .
ويمكننا أن نعتبر الموسم واحداً من أهم المواسم الاسلامية في لواء القدس ، حيث يلعب هنا
الدور الذي يلعبه النبي روين والنبي صالح (دير غسانة والرملة) وعلى بن عليم وحسن
وحسين في مناطقهم المختلفة . الرجال والنساء والكبار والصغار والأغنياء والفقراء يستمتعون
به ، وكل طبقة من الطبقات تجد فيه التسلية التي تناسب أذواقها . كما أن دارس العادات
والتراث الشعبي يجد في هذا الموسم فرصة ممتازة لدراسة الفروق بين القبائل والعادات
 والملابس والخرافات . . . الخ . لقد زرت النبي موسى ثلاث مرات أثناء الموسم ، وبت
هناك مرتين ، كما زرت المبنى والمنطقة المحيطة به مرتين في غير أوقات الموسم .

وفي يوم الخميس يعود موكب النبي موسى رسمياً مع علم النبي . ويكون حينئذ

معظم الزوار قد غادروا المقام. (٢٧) وحالما يصل سدّارى النبي إلى رأس العمود، تبدأ الزفة من جديد. وتتحف الاعلام والعدد المختلفة التي ودعت العلم لدى مغادرته القدس الى استقباله والترحيب به، ومن بينها البيارق وفرق الموسيقى العائدة للشيخ القزاز والشيخ عاطف وأبو مجيد وحسن والعيزرية والقرى الأخرى، جنباً إلى جنب مع أعلام النبي (داهود) والحرم وشباب القدس ونابلس والخليل. وعندما تتحرك الزفة نحو المدينة، يشاهد المرء من النظارة من جميع الطبقات والفئات العدد ذاته الذي شاهده لدى مغادرتها المدينة. وتشكل الموسيقى والرقص والسيف والترس والغناء الخ أهم ملامح الزفة. ويتم ارجاع علمي النبي موسى والنبي داود إلى المكانين اللذين يحفظان فيها بقية السنة.

بيد أن نهاية هذا اليوم لا تشكل نهاية النبي موسى، ففي يوم الجمعة يحتشد الناس في الحرم للاحتفال بزفة العليات، فيحمل علم الصخرة المشرفة، وعلم النبي محمد (ﷺ) عد صلاة الظهر في موكب كبير من المسجد الأقصى إلى الصخرة المشرفة. وعائلة القطب بي المسؤولة عن هذه المهمة الشريفة. ويقف هؤلاء في منتصف الطريق بين المسجدين. ويعتقد أن شجرة الزيتون الكائنة، قرب الكاس مباشرة، والتي تعرف بزيتونة النبي، تعود إلى الحياة في هذا الوقت، عندما يزور النبي محمد والصحابة الحرم ويسكنون الشجرة. وتحت هذه الشجرة. توضع الاعلام، ويعتقد أن أغصانها تنحني لتكريم الأعلام (٢٨)، ويصعد ممثل عن عائلة القطب إلى المنبر (٢٩) الكائن فوق الدرج المؤدي من الكاس إلى صحن الصخرة، ويتسلم الاعلام ويلفها في (بقجة) من الحرير ويحملها إلى مكانها في مسجد الصخرة. ويسيطر على المشاركين في الموكب جو مفعم بالحماسة لكن دون رقص أو ألعاب.

(٢٧) كثير من الزوار يحيون ذكرى زيارتهم الى مقام من المقامات بكتابة آية أو دعاء على حائط المقام. وقد سبق أن وصفت الصيغ البسيطة من قبل. ووجدت في مقام عكاشة صيغة معقدة هذا نصها: «أودعت في هذا المقام الشريف شهادة أن لا اله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله شهادة ألقاها يوم القيامة اتضرع الى الحق جل جلاله بأن يغفر لي ويرحمي ويعفو عني ويتوفاني على الايمان بجاء سيدنا محمد ﷺ وبجاء سيدنا عكاشه صاحب رسول الله».

(٢٨) هذا مثل آخر من مخلفات عبادة الأشجار في قديم الزمان، وهي عبادة استمرت بعد الاسلام بعد أن نسبت الشجرة إلى ولي من الأولياء، أو اعتقد أن ولياً يسكنها - وهنا يسكن الشجرة النبي محمد والصحابة! وقد أورد علي مبارك أسماء أشجار كثيرة يقدّسها العامة في مصر. وهناك أشجار مقدسة أخرى في بلدان مختلفة - (ك. ع. ٠)

(٢٩) منبر برهان الدين بن جماعة (ك. ع.).

وفي هذا اليوم واليوم التالي يغادر معظم زوار النبي موسى القدس، وتترك العدة تلو الأخرى المدينة وتعود من حيث أتت، وتنظم في كل حالة زفة صغيرة تضم الشيخ وحامل العلم وضاربي الموسيقى وبعض الاتباع. ولدى عودة «سيارات» القرى إلى قراها تتوقف عند كل مقام من مقامات الأولياء الكبار تمرّ به أو حتى تدور حوله. وكلما تقترب السيارة من ولي تقرأ الفاتحة، وتعزف الموسيقى وينكس العلم تكريماً للولي ويتوقف الموكب. ويعتقدون أن تكريم أولياء الله هؤلاء يعود عليهم بالأجر. (٣٠).

ويزور العائدون كذلك مقامات قريتهم الأصلية الواحد تلو الآخر، بينما يخف أهل القرية لاستقبالهم ويجعلون من ذلك اليوم عيداً من الأعياد.

وإذا كان موسم النبي موسى هو أكبر المواسم فإن هناك مواسم أخرى تساويه في الرتبة ومواسم أقل منه شأنًا. ومما يجعل موسم النبي موسماً بالغ الأهمية أن مقامات أخرى عديدة لها زيارات أو مواسم في وقت موسم النبي موسى ذاته أو بعده بأسبوع.

وتقدم لنا القائمة التالية بعض أهم هذه المواسم :

اسم الولي	الموقع	تاريخ الاحتفال
- النبي صالح	دير غسانة	جمعة العليمات
- النبي صالح	الرملة	الجمعة التي تلي جمعة العليمات
- النبي أيوب	قرب الجورة	الثلاثاء بعد الظهر والأربعاء في اسبوع النبي موسى.
(ويدعى ابرية أيوب)	(جورة عسقلان)	الأربعاء في اسبوع النبي موسى
- الحسين	قرب الجورة	جمعة العليمات
- النبي عنيّر	بني حارث	خلال موسم البطيخ (ويدعى الموسم موسم الحرم)
- علي بن عليم	شمال يافا	في الشهر القمري الذي يقع في شهري آب وأيلول.
- النبي رويين	نهر رويين جنوبي يافا	

(٣٠) اجتازت «عدة» قرية اصطاف ذات مرة دير ياسين وهي في طريقها إلى النبي موسى. وإذا أغفلت العدة مراسم التكريم الواجب للشيخ ياسين، أي أنها لم تتوقف لعزف الموسيقى ولم يقرأ مرافقوها الفاتحة، فقد أرغمهم الولي - على نحو خارق - على العودة وأداء هذا الواجب.

- النبي أيوب	راس سمحان	يوم الأربعاء في اسبوع موسم النبي موسى .
- النبي كفل	بين دير طريف وولهيما	١٤ شعبان
- الخضر	اللد (ويعرف بعيد اللد) .	
- الخضر	حيفا (الكرمل) .	
- الزرقا	نبع بين دير غسانة وعابود	مع عيد اللد ^(٣١)
- الشيخ اعمر	بيت دقو	جمعة العليات .
- ابراهيم الخواس	دير غسانة	خميس الطلعة ^(٣٢)
- الخضرا	نابلس	عاشوراء .

وفي أثناء موسم النبي روين يجتمع الناس باعداد كبيرة عند النهر المسمى بهذا الاسم ويستمر الاحتفال طوال شهر، ابتداءً من هلال شهر آب . ويبلغ المكان ذروة شعبيته في ليالي البدر . ويفوق عدد زوار النبي روين^(٣٣) عدد زوار النبي موسى . وتنصب فيه مقاه ودكاكين أكثر . ويمتلئ السهل المحيط بالخيام ، وخصوصاً في الجهة الشمالية الغربية من المقام . ويأتي الزوار بصفة رئيسية من يافا واللد والرملة والقرى المحيطة . ومن المناظر البهية أن يرى المرء قافلة صغيرة من الجمال التي تحمل عائلة كاملة مع الأدوات المنزلية الضرورية لقضاء عدة أيام أو أسابيع قلائل في هذا المكان .

أما المقام نفسه فهو مبنى صغير يتألف من المقام الأصلي والقبر (١٧٥ متر طولاً ومتر واحد عرضاً)، وغرفة صغيرة إلى جهة الشرق ورواق ذي ثلاثة أقواس مفتوحة إلى جهة الشمال ومحراب . وهناك مئذنة متصلة به . ويحيط بمجمع البناء كله سور بداخله عدد قليل من الأشجار .

(٣١) ان بعض القديسين المسيحيين لهم مواسمهم أيضاً . فلكل من مارجريس ومار الياس ، موسم يستمر يوماً واحداً . أما القديسة مريم فيستمر موسمها عدة أيام يقضيها الناس في المرح والتسلية .

(٣٢) في هذا اليوم تصبغ الحيوانات .

(٣٣) يقال روين ورويل . اما الكتابة على شاهد القبر فهي : «بسم الله الرحمن الرحيم ورويل نبي الله» وعلى كثير من يافطات الدكاكين نقراً ما يلي : «مخصوص لزوار النبي روين» .

إن النبي رويين وعلى بن عليم هما الموسمان الصيفيان لسكان السهل - بل انه يحكى أن نساء يافا المسلمات كنّ يقلن لأزواجهن: «يا بتروني يا بطلقني» أو «يا بتروني أو ببريك».

وهناك مواسم محلية عديدة لها صلة بمقامات أصغر. وفي يوم الجمعة آخر أيام موسم النبي موسى (جمعة العليات) يقوم سكان القرى بزيارة معظم المقامات الهامة في قراهم. ويقضي الناس بعد الظهر في الحقول حول المقامات، وتوفى هناك النذور التي لم يكن قد تمّ الوفاء بها من قبل.

انتهى كلام الدكتور توفيق كنعان ووصفه الممتع الدقيق لموسم النبي موسى. ولا أدري كيف غاب عن الدكتور كنعان الإشارة في تضاعيف هذا الوصف إلى موكب علم نابلس الذي كان يأتي للمشاركة في احتفالات النبي موسى. فقد كان قدوم هذا العلم، كما كان قدوم علم الخليل، عنصراً هاماً في الاحتفالات لاعطائها الطابع الفلسطيني العام. ونحاول فيما يلي أن نستدرك ذلك فنقول إن نابلس وقراها كانت تستعد استعداداً كبيراً للمشاركة في مهرجانات النبي موسى فقبل الموسم بأيام قليلة كان القرويون في جبل نابلس يتجملون بأفخر الملابس وينزلون إلى مدينة نابلس ليتلقوا بزملائهم من القرى المجاورة ويسيّموا حلقات الدبكة على أنغام المجوز وتجري بينهم المسابقات لكسب الأولوية في هذا الميدان كما يقول محمود العابدي^(٣٤). ويواصل العابدي كلامه عن احتفالات نابلس وجبلها فيقول:

[وكان يرافق حلقات الدبكة (المطافشة بالبيض) يضرب أحمد بيضته على سنه ويراهن محمود عل أنها أصلب من بيضته. ثم يتبادلان (التطقيش) ومن كسرت بيضته فانه المغلوب ويستولي عليها المنتصر. وقد يجمع أحدهما عشرات البيض المكسر، بهذا النوع المسكوت عنه من القمار.

وغالباً ما كان يسلق البيض مع ورق البصل أو الخبيزة أو... كسباً لصباغ جديد يمتاز به بيض الموسم... عيد البيض عيد اوزيروس وايزيس ورع، منذ أيام الفراعنة، عيد اخراج الحي من الميت، عيد قيامة المسيح من قبره، العقيدة الأساسية في المسيحية. وتكون المدينة قد قامت بصنع حلالة الموسم - من سكرية وجوزية وقرعية وجزرية -

(٣٤) محمود العابدي، من تاريخنا، المجموعة الرابعة، ص ١١٥.

يشتريها الناس تحلية لأفراد الاسرة ولجبر خواطر العواقب وصلة الأرحام . كل يرسل إلى ذات رحمه مقداراً منها فتفخر بها أمام أهل زوجها ويفرح أطفالها بهدية جدهم أو خالهم . . انها عادات كانت تراعى بدقة تامة - ويذكرها الناس حتى يدور الحول .

وفي القرى هناك ما يسمى بشهر الخميس - تطبخ القروية الحليب بالأرز (البحثة) أو بالنشاء (الهيطلية) وتعمل الكعك والمسفن (فطير بالزيت يحلى بالسكر أو الدبس أو العسل) لتأخذه يوم الخميس إلى التربة وتوزعه عن أرواح الموتى ، وتبقى الخميسية مدة شهر كامل - ومن أعيب العيوب على قروي أمام مواطنيه أن لا يقوم بتأدية هذا الواجب .

لكن اليوم الأكبر كان يوم زفة بريق النبي موسى - في ذلك اليوم يتقاطر رجال القرى إلى المدينة ليشاركوا في الزفة - فيه يخرج رجال الطرق الصوفية اعلامهم من زواياهم ويزفونها في الشوارع مبتدئين من حارة الغرب ومنتھين بحارة الشرق (في نابلس) وهم يضربون العدة من طبول ومزاهر ويذكرون الله كثيراً . وفي المساء يودعون دار البلدية .

وفي صباح اليوم التالي يخرجون بها إلى القدس راكبين الجياد - التي ابدلت بعد الحرب الأولى بالسيارات التي تستأجرها البلدية لهذه الغاية - يرافق الاعلام عدد من شبان المدينة باشراف عدد من مشايخ الشبان اعرف منهم صدقي شبارو وسبع العقاد وأسعد بلعوط وحامد الشخصير وحسن الشنتير (رحمهم الله جميعاً) كما يرافقهم قوال كان آخر من عرفته بائع السوس الحاج محمد الخراز المشهور بأقواله التي تحمس الشبان . فاذا تجاوز الموكب قرية شعفاط خرج لاستقباله شبان القدس بأعلامهم وعددهم - وبعد تبادل التحيات يسير الموكب الموحد إلى الحرم الشريف . . وبعد يومين تخرج أعلام القدس وأعلام نابلس إلى قرب المحطة في جنوب القدس حتى يستقبلوا مواكب الخليل . فاذا وصلوا وتبادلوا التحيات والتمنيات تقدموا نحو الحرم بهذا الموكب الضخم . [انتهى كلام محمود العابدي^(٣٥) .

وكان يجري لكل من علم نابلس ، وعلم الخليل احتفال خاص لدى مغادرته كلا من المدينتين ، كما كان يجري استقبال خاص لكليهما في القدس . وكانت الصحف الفلسطينية تأتي على ذكر الاحتفالات جميعها بالتفصيل . ونورد فيما يلي مقتطفات قصيرة منها :

وصفت صحيفة الدفاع في عددها المؤرخ في يوم الخميس ١٨ نيسان ١٩٣٥ ، الاحتفال بتوديع علم نابلس يوم الأربعاء فقالت :

(٣٥) المصدر نفسه، ص ١١٥ و ١٦٦ .

[ما كادت تقترب الساعة ١٢ حتى أخذت الجماهير تهرع الى ساحة البلدية للاحتفال بزفاف علم النبي موسى . وبعد أن اكتمل الجمع الزاخر تسلم الشباب العلم من سعادة رئيس البلدية كالعادة وساروا بزفة كبرى ينشدون الأناشيد الوطنية والأهازيج العربية على الترتيب الآتي :
حملة العلم وشبابه ، حملة السيوف ، المنشدون . مشايخ الطرق الدينية ، تلاميذ المدارس الوطنية ، وسار الجميع على هذا النظام من البلدية إلى شارع السرايا ومنها إلى الشارع الشرقي ودام المهرجان على هذا المنوال حتى النادي الرياضي وهناك استقبل أعضاء النادي الرياضي الشباب بالهتافات والأناشيد وبعد أن استراحوا قليلا . وتناولوا المرطبات وضعوا العلم في النادي المذكور على أن يستلمه الشباب غداً في الصباح الباكر ليسافروا به إلى القدس .]

وفي عدد اليوم التالي الجمعة (١٩ نيسان ١٩٣٥) وصفت الدفاع استقبال علم نابلس في القدس في يوم الخميس في ١٨ نيسان :

[- وصل في منتصف الساعة الحادية عشر علم شباب نابلس وكان في استقباله سعادة أمين بك التميمي وفضيلة الشيخ سعيد أفندي الخطيب وغيرهما من موظفي الأوقاف والمجلس الاسلامي وفريق من شباب القدس مع موسيقى دار الأيتام الاسلامية التي كانت تصدح أمامه بالأناشيد الوطنية ، وظل الموكب سائراً حتى الحرم الشريف . وهناك كان في استقباله سماحة الحاج أمين أفندي الحسيني والاستاذ جمال الحسيني ، وبعد أن جرت المراسم المعتادة انتهى المهرجان].

ووصفت صحيفة الجامعة العربية في ٩ نيسان سنة ١٩٢٨ ، استقبال موكب أهالي نابلس فقالت :

[في يوم الخميس الماضي الموافق ٥ الجاري قدم موكب أهالي نابلس للاشتراك في الاحتفال ، فلما وصلوا إلى ضاحية المدينة خرج لملاقاتهم شبان القدس بعلمهم واستقبلوهم أحسن استقبال . وقد كانت جماهير النابلسيين تهتف أمام دار الحكومة في باب العمود بسقوط المبشرين والمؤتمر التبشيري^(٣٦) ولما وصلوا إلى المجلس الاسلامي الأعلى بباب الحرم الشريف خرج اليهم عطوفة

(٣٦) اضيف سبب ديني الى أسباب التدمير والقلق السياسية والاقتصادية التي كانت تسود فلسطين من جراء محاربة حكومة الانتداب للصهيونية عندما عقد المجلس الدولي للرساليات التبشيرية أول مؤتمر له في النصف الأول من شهر نيسان ١٩٢٨ . وقد انتهت الاحتجاجات من مختلف المناطق والهيئات ضد هذا المؤتمر التبشيري معبرة عن الخوف من اعتناق المسلمين للمسيحية على نطاق واسع . وأطلق البوليس النار على جمهور غاضب في غزة فجرح ثلاثة أشخاص وقطعت جميع الاتصالات التلفونية والتلغرافية بغزة لتلافي وقوع ملابسات للحادث في القدس وغيرها أثناء مهرجانات موسم النبي موسى (انظر عبد الوهاب الكيالي ، تاريخ فلسطين الحديث ص ٢٢٧ - ٢٢٨) .

كاظم بابا وسماحة رئيس المجلس الاسلامي فحيوهما وكرروا الهتاف بسقوط المبشرين والمؤتمر التبشيري].

وفي العدد ذاته وصفت صحيفة الجامعة العربية مراسيم وداع علم مدينة الخليل وقضائها يوم الأحد في ٩ نيسان ١٩٢٨ م، فقالت :

[ان العلم بعد أن أخرج من الحرم الابراهيمي الشريف الى فسحة الميدان كان أهالي الخليل قد تجمعوا على اختلاف طبقاتهم واصطف الجنود حول العلم ثم بدأ الموكب بالسير بالأناشيد الحماسية، ثم حضر شبان النادي الرياضي الأدبي وساروا مع العلم بالأناشيد الوطنية، ولما وصلوا إلى المحل المعتاد فيه وداع العلم حلوا في سرادق نصبه هناك رئيس الجمعية صاحب الفضيلة الشيخ طالب أفندي مرقه، وبعد أن تناولوا المرطبات وقف الكل في باب السرادق حيث تليت الخطب ونودي بسقوط المؤتمر التبشيري، .

وقد كان بين المجتمعين سعادة القائم مقام وفضيلة القاضي الشرعي وحاكم صلح الخليل مع كثيرين من الموظفين، وقبل أن يسير العلم ودعه فضيلة القاضي بدعاء حار، ثم أخذ الموكب طريقه نحو القدس، وكانت الحكومة قد عينت لمحافظة العلم حضرة ضابط البوليس فريد أفندي عبد الهادي وستة من الجنود].

ومن التقاليد الجميلة التي يحسن ذكرها في المقام أن أحد أعيان بيت لحم المسيحيين كان يستضيف موكب الخليل لدى مروره ببيت لحم ثم يتابع الموكب سفره في صباح اليوم التالي إلى القدس. (٣٧)

وعن استقبال علم الخليل في القدس قالت الدفاع يوم الاثنين ٢٢ نيسان ١٩٣٥ :

[استقبال فخم لعلم مدينة الخليل]

اشتركت الوف من الجماهير في استقبال علم الخليل قبل قدومه الى مدينة القدس وحوالي الساعة التاسعة من صباح اليوم كانت طريق الخليل تعج بالألوف المحيطة باعلام نابلس والقدس وفرق الكشافة التي كانت تسير بنظام وتنشد الأناشيد الوطنية، كما وكانت موسيقى دار الأيتام الاسلامية تتقدم الجميع

(٣٧) يسرى جوهريّة عربنطة، الفنون الشعبنة فى فلسطين ص ١٦٧، (عمان ١٩٨٨)

الوفود تسافر الى النبي موسى

وظلت هذه الألوف تزحف زحفاً بطيئاً، حتى التقت بوفود القدس ثم اتجهت إلى المدينة القديمة فالحرم الشريف فوصلت إليه حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر وهناك طويت الأعلام وتفرقت الجماهير. وفي صباح الغد تغادر الوفود باعلامها المدينة إلى مقام سيدنا موسى حيث تبقى إلى صباح الخميس وتعود.

كثرة الفرسان والمشاة هذه السنة

وكانت قوى البوليس في هذه السنة اكثر من أية سنة سابقة اذ كان الفرسان والمشاة يتخللون الموكب كما كانت فرقة من الجند البريطاني لايسي الخوذات الفولاذية على أتم الاستعداد فوق السور. وقد شاهدنا فخامة المندوب السامي وسعادة حاكم لواء القدس وسعادة روجي بك عبد الهادي والمستر سبايسر وغيرهم من كبار الموظفين يتفرجون على سير الموكب من أعلى السور. [

وأقول بهذه المناسبة إنني وجدت في أوراقى القديمة وصفاً كنت قد كتبتة قبل سنوات يتضمن ذكريات شخصية حول اشتراكي مع الجماهير الغفيرة في استقبال علم الخليل في القدس سنة ١٩٣٨م، وقد جاء فيه ما يلي:

«أول ذكرياتي عن موسم النبي موسى تعود الى سنة ١٩٣٨م، حينما ذهبت وأنا صبيّ مع والدتي رحمها الله ولقيف من القريبات لمشاهدة طرف من احتفالات الموسم. أذكر أننا جلسنا وقتئذ وسط جماهير لا تحصى على سفح جبل صهيون أو جبل النبي داود المطل على بركة السلطان وعلى الطريق القادم من الخليل وبيت لحم، وعلى مسافة قصيرة من كلية صهيون أو «كلية الأسقف غوبات» التي أنشأها المرسلون البروتستانت في القدس في القرن الماضي. كان سفح الجبل كله، حتى مسافة قريبة من باب الخليل قد امتلأ بجماهير القدس والقرى والمدن الفلسطينية المختلفة التي توافدت لتشاهد الموكب القادم من خليل الرحمن والذي يحمل بريق الخليل للمشاركة في احتفالات النبي موسى. كان الموكب قد ملأ الطريق الى باب الخليل بآلافه المؤلفة حتى لم يبق في الطريق موطىء لقدم، وقد انعقدت فيه حلقات الرقص وتعاليت منه الهتافات والأناشيد الشعبية والوطنية تشق عنان السماء. وكان الهتافون يعتلون أكف المشاركين في الموكب، ويطلقون الاصوات بأعلى قوتها. وكانت تشاركهم النساء والجموع الجالسة على سفح الجبل بالزغاريد والتهاليل. وأذكر أنه كان على رأس الموكب يومها السيد جميل الحسيني راكباً حصاناً أبيض - نيابة عن الحاج أمين الحسيني الذي كان قد غادر البلاد. وكانت تشارك في الموكب فرقة الموسيقى النحاسية التابعة لدار الأيتام

الاسلامية فتشنت الآذان بالألحان الشجية . وكان الموكب يسير وئيداً ، فاستغرق مسيره ساعات إلى أن وصل إلى باب الخليل ، واتجه من هناك إلى الحرم الشريف .

لقد انطبع هذا اليوم في ذاكرتي بما فيه من أحداث وأصوات وألوان ورايات ، وأزياء وملابس وملامح لآلاف الفلاحين وأبناء المدن ، الذين كانت تسودهم الحماسة والبهجة ، وتتألق في وجوههم فرحة عيد النبي موسى . يومها شاهدت لأول مرة عياناً ما كنت أسمعه من حديث الكبار عن موسم النبي موسى وروعته . . .

ووصفت الصحف الاحتفالات الكبيرة التي كانت تقام لتوديع علم النبي موسى من القدس الى المقام . وفي سنة ١٩٢٩ ، مثل شبان الرملة وشبان يافا بالاضافة الى نابلس والخليل في الاحتفالات لأول مرة . قالت صحيفة الجامعة العربية في يوم الاثنين ٦ مايس (أيار) ١٩٢٩ ، تصف احتفالات موسم ذلك العام ما يلي :

[في صباح يوم الجمعة قدم موكب كبير معظم قوامه شبان مدينة الرملة وأعضاء جمعية الشبان المسلمين فيها وشبان يافا . ومما هو جدير بالذكر أن هذه هي أول مرة يشترك فيها موكب من الرملة ويافا في الاحتفال بصورة رسمية ، وقد كانوا ينشدون الأناشيد الحماسية وسار الموكب من المحطة ماراً بباب الخليل حتى ساحة الحرم الشريف .

وبعد صلاة يوم الجمعة بدأ الاحتفال العظيم من ساحة الحرم الشريف حيث سارت الجماهير الغفيرة بالألوف يتقدم الموكب رجال الزوايا وأعلامهم ، فموكب شبان نابلس فالرملة فيافا فشبان القدس فشبان القرى فتلامذة كلية روضة المعارف وكشافتها فتلامذة دار الأيتام الاسلامية وموسيقاها تعزف الألحان البديعة فعلم النبي موسى . وكان رجال البوليس الفرسان يحيطون بالموكب ويتخللونه لحفظ النظام .

وكان الحماس بالغاً أشده والأناشيد الوطنية القومية أثارت الحماس في الجمهور ومما استلفت الأنظار أن جمعية الشبان المسلمين في سلوان كانت تنشد النشيد العام لجمعيات الشبان المسلمين . في مصر الذي وضعه الاستاذ مصطفى صادق الرافعي .

وسار الموكب في طريقه المعتاد من ساحة الحرم الشريف فمحلة الواد فأمام هوسبيس النمسا فكلية روضة المعارف فباب حطة فباب الاسباط ورأس العمود . وكانت المشارف والتوافد والربا على طول الطريق مغطاة بالوف الخلق من وطنيين وأجانب . ولما وصل الموكب الى رأس العمود استقبله المستر لوك والمستركيث روش (حاكم المدينة) ورئيس بلدية القدس وأعيان المدينة . وبعد تلاوة الدعاء وشرب المرطبات ركب الزوار السيارات الى مقام النبي موسى عليه السلام .

وفي يوم الأحد الموافق ١٩ ذي القعدة (٢٩ نيسان) قدم موكب الخليل بالمراسيم المعتادة
والأناشيد والأهازيج . .]

ووصفت جريدة الدفاع في ٢١ نيسان ١٩٣٥ ، الاحتفال بتشيع علم النبي موسى
في ذلك العام فقالت :

القدس في ٢٠ نيسان - لمراسل الدفاع الخاص - احتفل نهار أمس الجمعة بزفة وتشيع علم
النبي موسى وبقية الاعلام الدينية الى مقام النبي موسى احتفالاً شائقاً اشتركت فيه جماهير كثيرة
مع فرق الكشف التي أمت القدس من سائر جهات فلسطين ، وقد سارت هذه الجماهير بانتظام
بديع نشيد الأنشيد الوطنية والأهازيج الشعبية وكانت موسيقى دار الأيتام الاسلامية تعزف
بالموكب بين آونة واخرى وقد دام هذا الاحتفال من منتصف الساعة الواحدة حتى الساعة
الخامسة . وعند خروج الموكب من باب الاسباط اطلقت المدافع تحية لعلم سيدنا موسى وبقية
الاعلام . وكان سماحة الحاج أمين افندي الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الأعلى يتصدر
الموكب ، وظل الموكب سائراً بانتظام بديع الى أن وصل الى الصيوان المنسوب بالموقع المعروف بـ
«رأس العامود» حيث كان في انتظار الاعلام سماحة المفتي وسعادة رئيس البلدية وسعادة نصوحي
بك يفضون وغيرهما من كبار الموظفين .

وبعد أن أديرت المرطبات نزل سماحته ومن معه عن الخيول التي كانوا يركبونها وبعد أن تلا فضيلة
الشيخ سعد الدين افندي الخطيب دعاء حاراً آمناً عليه المجتمعون طويت اعلام سيدنا موسى
وسيدنا داود وركبت الجماهير السيارات يتقدمهم سماحة المفتي وتوجهوا إلى مقام سيدنا موسى .
ويبقى سعادة رئيس البلدية في الصيوان يستقبل المهتئين إلى ساعة متأخرة ثم تفرقت الجماهير ولم
يحدث ما يعكر صفو الأمن العام .

أما البوليس فقد كان أفراداه وضباطه متشرين على طول الطريق كما كانت قوة من فرسان
البوليس تحيط بسماحة المفتي افندي وبالاعلام أيضاً أعاد الله هذه المواسم وهذه الأعياد على الأمة
العربية وهي موحدة الكلمة متمتعة باستقلالها التام انه على ما يشاء قدير .

وبعد ذلك بيومين أوردت «الدفاع» (الثلاثاء في ٢٣ نيسان) خبر الاحتفال بتشيع اعلام
الخليل ونابلس والقدس الى النبي موسى ، وهو الاحتفال الذي يجري يوم الاثنين ، قالت :

[احتفل اليوم بتشيع علم سيدنا الخليل وعلم شباب نابلس وعلم شباب القدس الى مقام سيدنا
موسى ابتداءً من الحرم الشريف فباب الاسباط وقد اشتركت جماهير كثيرة في هذا الاحتفال ، وعلى
هذا يكون هذا اليوم آخر ايام احتفالات تشيع الاعلام الى أن يأتي يوم الخميس القادم فتجري

الاحتفالات لاستقبالها عند عودتها ويوم الجمعة بعد صلاة الظهر يودع الجميع علم سيدنا الخليل. [

ووصفت «الدفاع» ختام موسم النبي موسى في تلك السنة فقالت في عددها الصادر في ٢٦ نيسان ١٩٣٥ ما يلي :

[بكر أهالي القدس والذين وصلوا من الخارج لاستقبال علم سيدنا موسى وبقية الاعلام في رأس العامود وما كادت الساعة تقرب من التاسعة حتى كانت الطريق المؤدية إلى باب الأسباط فرأس العامود مكتظة بالأهالي نساء ورجالا . كانت قوى البوليس الراكب والمشاة منتشرة على طول الطريق وفي منتصف الساعة التاسعة ظهرت طلائع الموكب واطلق أول مدفع ايداناً بوصوله إلى رأس العامود، ونحو الساعة التاسعة وصل ساحة رئيس المجلس الاسلامي الأعلى والمواكب والاعلام وفرق الكشفة وموسيقى دار الأيتام الاسلامية وموسيقى الكشفة الاسلامية في حيفا وأعلام شباب القدس والخليل ونابلس، وكان في انتظار الموكب سعادة رئيس البلدية وسعادة نصوحي بك بيضون وأعضاء المجلس البلدي وغيرهم وبعد شرب المرطبات سار الموكب بنظام بين عزف الموسيقى وإلقاء الأناشيد الوطنية والأهازيج العربية إلى باب الأسباط فهو سيبس النمسا ومن هناك ذهبت الجماهير إلى الحرم الشريف أما ساحة المفتي وحلة اعلام سيدنا موسى وسيدنا داوود وغيرها من الاعلام فقد ساروا إلى الدار المعروفة بدار المفتي حيث طويت الاعلام.

وغداً بعد صلاة الجمعة تودع الجماهير علم سيدنا الخليل حتى قرب المحطة أعاد الله هذه المواسم والأعياد على الأمة الاسلامية وهي نائلة أمانيتها انه سميع الدعاء. [

أما صحيفة الجامعة العربية فقد وصفت ختام الاحتفال بالموسم، سنة ١٢٧ بقولها :

[كان يوم الخميس الماضي اليوم المعين لعودة علم النبي موسى عليه السلام إلى القدس . . . وكان موكباً جليل الشأن تقدمه الخليليون بعلمهم يتقدمه شبابهم بأهازيجهم الحماسية، ويتألفهم المتواصل للكتلة الوطنية العاملة في البلاد عامة، وللمجلس الاسلامي الأعلى وساحة رئيسه خاصة . وكان علم نابلس يتبع علم الخليل . . . وكان المقدسيون يتبعون النابلسيين ومن بعدهم مدرسة الأيتام الاسلامية وموسيقاها الغنية ثم حملة الاعلام من آل الدجاني وآل القطب فساحة رئيس المجلس الاسلامي الأعلى بجلال طلعتة وراء علم النبي موسى عليه السلام. (٣٨)]

(٣٨) عن نشرة فلسطين (التي كانت تصدرها الهيئة العربية العليا)، العدد ١٤٦، ربيع الثاني ١٣٩٣ / ١٩٧٣ م.

وكانت جماهير نابلس والخليل تستقبل علمي المدينتين لدى عودتهما استقبالا رائعاً وفي جو احتفالي مهيب. ويصف لنا مراسل الدفاع في نابلس استقبال المدينة لوفدها العائد من الموسم سنة ١٩٣٥ «الدفاع ٢٩ نيسان ١٩٣٥» فيقول:

[هرعت الجماهير الغفيرة من أهالي المدينة إلى الجهة الشرقية لاستقبال علم نابلس وفي الساعة الواحدة سافر رتل من السيارات يقل فريقاً من وجهاء المدينة وشبابها لاستقبال العلم على طريق القدس. وفي اللبن استقبل استقبالا فخماً وبعد أن استراح الشباب نصف ساعة أخذت السيارات تسير بانتظام إلى نابلس وفي الجهة الشرقية من المدينة كان جمهور كبير من الأهالي ينتظرون قدومه وما إن وصلت السيارة حتى قوبل بالهتاف وسارت الجماهير بمهرجان كبير على الترتيب الآتي: فرقة كشافة خالد بن الوليد وفرقة كشافة مدرسة النجاح بأعلامهما وموسيقاهما، مشايخ الطرق الدينية بأعلامهم وأناشيدهم الوطنية، حملة السيوف، الشباب الذين كانوا يحافظون على العلم. طلبة المدارس الوطنية، القرويون بأهازيجهم الحماسية، ودام سير الموكب على هذا الترتيب مخترباً شوارع المدينة حتى دار البلدية حيث كان هناك سعادة رئيس البلدية والأعضاء. ويوصل العلم ألقى سيادة رئيس البلدية على الجماهير خطبة وطنية بعثت بها اليكم في البريد قوبلت بالتصفيق الحاد والاعجاب وانقضت المهرجانات والجميع يدعو الله أن يعيده على العرب وهم في حرية.]

ومما هو جدير بالذكر أن إقامة الصيوان أو السرادق في رأس العمود لتشجيع علم النبي موسى عند نزوله إلى المقام قد توقفت بعد خروج الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين من البلاد في تشرين الأول سنة ١٩٣٧. ويشير إلى ذلك مقال كتبه عبدالله مخلص عن موسم النبي موسى في مجلة هنا القدس (عدد ٢٩/٣/١٩٤٢، ص ١٠) إذ يقول: (أما في السنوات الأخيرة وللحالات الطارئة فان مراسم التشجيع قد اقتصر فيها على خروج الركب من باب الاسباط ثم السير مباشرة إلى المقام إذ لا تنصب الخيام في المكان المعهود).

وفي هذا الكلام إيحاء إلى جو التوتر والغليان السياسي الذي كان يسود فلسطين في تلك الأيام وكان يكسب احتفالات النبي موسى طابعاً سياسياً يتسم بحدة العداء للحكومة الانتداب وحليفتها الصهيونية. وفي المقتطفات الصحفية التي أوردناها كثير من الإشارات التي توضح أن الفلسطينيين كانوا يشعرون بالتهديد لكيانهم وكان ذلك ينعكس في مختلف المناسبات القومية، وخاصة في أيام الاحتفالات بموسم النبي موسى، وتجلّى ذلك في الهتافات التي كانت تتردد بحياة الحاج أمين الحسيني مفتي البلاد، وزعيم الحركة الوطنية الفلسطينية زمن الانتداب، وقد أشرنا من قبل إلى الاستفزازات التي حدثت في الموسم سنة ١٩٢٠م وأسفرت عن أحداث دامية. ورغم كل الاجراءات التي اتخذتها السلطات المنتدبة

تصاعد انعكاس غضبة الجماهير ضد سياسة الدولة المنتدبة في موسم النبي موسى عاماً بعد عام . ويزودنا الدكتور صبحي غوشة في وصفه الممتع لموسم النبي موسى في كتابه «شمسنا لن تغيب»، والذي أثبتناه في ملحق كتابنا هذا، بمقاطع من الأناشيد الوطنية المعادية للاستعمار التي كانت تتردد في الموسم - ويقول «أثناء وجود الحاج أمين في مقام النبي موسى كانت تعقد الاجتماعات والندوات السياسية» . (٣٩) .

كان موسم سنة ١٩٤٧م، آخر المواسم التي شهدتها فلسطين، ففي السنة التالية ١٩٤٨م، وقعت الكارثة وضاعت معظم البلاد الفلسطينية .

ولا يفهم من هذه أن زيارة النبي موسى لأداء الشعائر الدينية أو الابتهاال أو الوفاء بنذور أو ختان الصبيان قد توقفت تماماً منذ ذلك الحين، ولكن الذي توقف هو الموسم الكبير الذي وصفناه في الصفحات السابقة .

ومما يذكر أن دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس والمؤسسات التابعة لها أحيت موسم النبي موسى في موقع المقام يوم الجمعة في ١٧ نيسان ١٩٨٧، وشارك عدد من المواطنين في الاحتفال وأداء صلاة الجمعة في المقام .

واننا لنرى بعين الغيب بل نحن على يقين من أن الاحتفالات بموسم النبي موسى ستعود بكامل حيويتها إلى الحياة يوم تتحرر البلاد من ربة الاحتلال وتعود إلى أهلها ويعود أهلها إليها .

★ ★ ★ ★

(٣٩) د . صبحي سعد الدين غوشة، شمسنا لن تغيب، الجزء الأول، أنغام الحياة، الكويت ١٩٨٨م، ص ٥٥ .

كلمة ختامية

آمل أن تكون الصفحات السابقة قد بيّنت الدور الهام الذي لعبه موسم النبي موسى في جوانب متعددة من نشاطات الشعب الفلسطيني طوال فترة تقارب سبعة قرون، وأن تكون بذلك قد برّرت تأليف هذا الكتاب عن الموسم والمقام.

وليس لي بعد أن قلت ما قلت، وبعد أن أثبت في نهاية الكتاب ملحقاً بها كتبه الرحالة والمؤرخون عن الموسم والمقام في فترات زمنية متباعدة، إلا أن أوجز أهم النقاط التي وردت في معرض بيان الدور الكبير الذي لعبه الموسم في حياة الشعب الفلسطيني فأقول:

موسم النبي موسى كسائر الأعياد في كل زمان ومكان كان موسم بهجة وترفيه، وقد ترجع أصوله إلى أعياد الربيع التي كانت تقام في بلدان الشرق الأدنى القديم شكراً للقوة الخالقة التي وهبت الطبيعة النماء والخصوبة والوفرة، أو استدراكاً لعطفها لتمنع القحط وتحمي الناس من الغوائل، ولذلك فهي ذات أصول اقتصادية اتخذت شكلاً دينياً. والترفيه ضرورة من ضرورات الحياة الانسانية تقتضيه حاجة النفس إلى الراحة بعد العناء لتستأنف العمل من بعد بقوة متجددة.

ويظهر الترفيه بمظاهر متعددة من المتعة وتشارك فيه تجمعات بشرية تزيد أو تقل، وتكون المشاركة بين الناس أساساً لهذه المتعة التي تظهر بأشكال عدة منها المواكب الاحتفالية المزدانة بالزينات والاعلام والتي تسير فيها طوابير منتظمة أو غير منتظمة من فئات الناس المختلفة. وكان لمواكب النبي موسى وقع كبير في النفس لأنها كانت حافلة بأنواع الفنون والألعاب، ومثيرة للحماسة بهتافاتها المدوية وموسيقاها الصاخبة وانفجارات العواطف المتدفقة. وفي هذه المواكب نفسها أو في المدن التي كانت تقام فيها: نابلس والخليل، وخاصة القدس، وفي مقام النبي موسى نفسه كانت مظاهر الترفيه متعددة من جملتها أنواع الرقص الشعبي خاصة السحجة والدبكة بأنواعها المختلفة والغناء وأبرزه أغاني الدلعونة، والموسيقى التي كانت تعزفها فرقة دار الأيتام الاسلامية في القدس وفرق المدارس والكشافة، والعدد المختلفة التابعة للمدن والقرى والفئات الاجتماعية المختلفة والتي كانت تضم آلات الموسيقى الشرقية كالناي، والأرغل والشبابة والزمارة، والمزهر، والكاس والطبل. كما كان للأهازيج (الشوباش) والأناشيد الشعبية التي ترددها فرق ومجموعات من المدن والقرى دور كبير في احتفالات الموسم. والكل يتنافس لتقديم أحسن ما عنده من الأغاني والأناشيد. ويقال الشيء نفسه عن القصص والحكايات التي كان يقدمها القوالون والحكواتية في أثناء الموسم.

وبالطبع كان للألعاب - ألعاب الصغار والكبار - وأنواع الفروسية دور أساسي . كانت هناك المراجيح ولعبة السيف والترس ولعبة الجريد ، كما كانت هناك سباقات الخيل والمصارعة وحمل الأثقال وغيرها . ومن ألعاب التسلية التي كانت تعرض على الناس صندوق العجم (العجب) والكراكوز وتلعيب القردة .

وقد كان في الموسم حافز على تطوير هذه الفنون الشعبية والألعاب وتجديدها . وكان مقدموها يتبارون في إظهار أحسن ما عندهم ليجتذبوا أكبر عدد من الناس ، وخاصة حين كان الأمر يتعلق بأجر على الأداء أو هبات . وكان الموسم يوفر الفرص للفنانين للاطلاع على نتاج بعضهم بعضاً في مختلف أنحاء البلاد ، فيأخذ بعضهم عن بعض ، ويطورون ما عندهم .

وبطبيعة الحال كان للتجارة دور هام في هذا كله ، فتجار المدن ، نابلس والخليل ، وغيرها وخاصة القدس ، كانوا يجنون فوائد كبيرة من هذه الآلاف المؤلفة من الناس التي كانت تفد للاستعداد للموسم والاشتراك فيه . وكان التجار يترقبون أيام الموسم ويستعدون لها استعداداً كبيراً . وكانت تروج كل أنواع التجارات : الملابس والألعاب ، والمأكولات بشكل خاص ، يستوي في ذلك أصحاب الدكاكين والباعة المتجولون سواء في الأسواق أو في منطقة الحرم الشريف ، أو في منطقة مقام النبي موسى بشكل خاص .

وفي منطقة المقام كان الباعة يبسطون أو يتجولون وهم ينادون على بضائعهم ، سواء كانت من أنواع الطعام أم غير ذلك . كذلك كان باعة اللحوم المشوية المختلفة والكبة والكباب والفلافل . . . وباعة الأشربة والخروب والليمون والعرقسوس والعصير ، وباعة الحلويات : حلاوة النبي موسى وغزل البنات والكعك والملبس والهريسة والحلاوة السمسمية وحلاوة جوز الهند . وباعة المملحات : الفستق والترمس والبقول والبرزر . ومثل باعة الطعام كان تجار الخردوات ينتظرون الموسم بفارغ الصبر فيقيمون الأكشاك الصغيرة لبيع المتاديل والأحزمة والقماش والأواني الزجاجية والأساور والخواتم والسلاسل والمسابيح وأباريق الفخار والحجابات والتبغ والشموع . وكان أصحاب المقاهي يشاركون في الاحتفالات بإقامة عشرات المقاهي الصغيرة التي كانت تعمل حتى ساعات متأخرة من الليل . وهكذا كان الموسم فرصة جيدة لتشجيع التجارة الداخلية التي تدر الكسب الوفير للتجار من جميع الأنواع في المدن وفي منطقة المقام . وليست هناك أية احصاءات بالطبع عن التجارة ، ولكن الغلة كانت وفيرة ببركة النبي .

ولا يجوز بالطبع أن ننسى الاحتفالات الدينية التي كانت تعطي الموسم طابعاً خاصاً

وتظهر فيها آيات الشكر لله على ما أنعم والتمجيد لخاتم النبيين ولكليم الله . مجالس قراءة القرآن الكريم كانت كثيرة، وكذلك قراءة البخاري، والصلاة الجماعية التي يشارك فيها المحتفلون وحلقات الذكر والموائد وتقديم الأضيأحي ووفاء النذور. وكان الموسم المكان المفضل لآتان الصبيان الذي تقام له الاحتفالات ذات الرسوم والطقوس الخاصة .

ولعب الموسم على الصعيد الاجتماعي دوره في تدعيم الصلات بين الناس والتعارف بين مختلف الفئات في المدن والقرى، وكان مناسبة لقيام علاقات شتى بين المشتركين فيه، ونقل العادات والأفكار والفنون الشعبية، مما كان يفضي إلى صقل الشخصية الاجتماعية للشعب الفلسطيني وتنمية روح الجماعة وتداول الرأي في المسائل التي تههم الرأي العام، وهكذا كان يعقد الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الاجتماعات السياسية في الموسم لتدارس أفضل السبل لمواجهة الخطط الصهيونية والبريطانية . .

وقد كان الموسم بحق عاملاً مهماً في بلورة الشعور القومي وبلورة الشخصية الوطنية الفلسطينية . وكانت احتفالاته المختلفة واجتماعاته الحاشدة تلهب الحماسة وتشد العزائم وتمتّن روح النضال ضد الغزاة والمحتلين . وفي هذا الشأن قال خليل السكاكيني يصف الموسم والجماهير الملهبة حماسه له :

«في نفوسهم عاطفة قوية لا يستطيعون أن يمثلوها الا بمواكب واعلام وسيوف وأهازيج، في صدورهم آمال بعيدة يتطلعون إلى تحقيقها ويعبدون من يعمل على تحقيقها، لا تحيا الأمم إلا اذا كانت في نفوسهم عاطفة قوية، ولا تطرب للحياة الا اذا كان في صدورها آمال بعيدة .

ولولم يكن لفلسطين هذا الموسم «موسم النبي موسى» لكانت جديرة أن تخلقه، فهي في حاجة إليه اليوم كما كانت في حاجة إليه قبله .»^(٤٠)

وهكذا كان الموسم مناسبة احتفالية متعددة الفوائد ورائعة من كل الوجوه . واذا كان الموسم قد توقف منذ نيف وأربعين عاماً فاننا واثقون من أنه سيبقى العيد الشعبي الكبير من أعياد الشعب الفلسطيني . ولسوف يعود الموسم، سيعود بصورة أبهى مما كان عليه ليعبر عن روح الشعب المتعطش للحرية والحياة، الشعب الذي كانت فلسطين له وستبقى له على مدى الأزمان .

(٤٠) صحيفة الشورى - القاهرة، ٧ مايو (أيار) ١٩٢٦ نقلا عن: يوسف أيوب حداد، خليل السكاكيني حياته مواقف، آثاره، ص ١٥٩ .

صور لاحتفالات النبي موسى في القدس

(مرتبة حسب المراحل الزمنية)



استلام علم النبي موسى من الدار الكبيرة (دار الحسيني) سنة ١٩١٩ (عن كتاب «الفنون الشعبية في فلسطين» ليسرى جوهريّة عرنيطة ص ١٦٥)

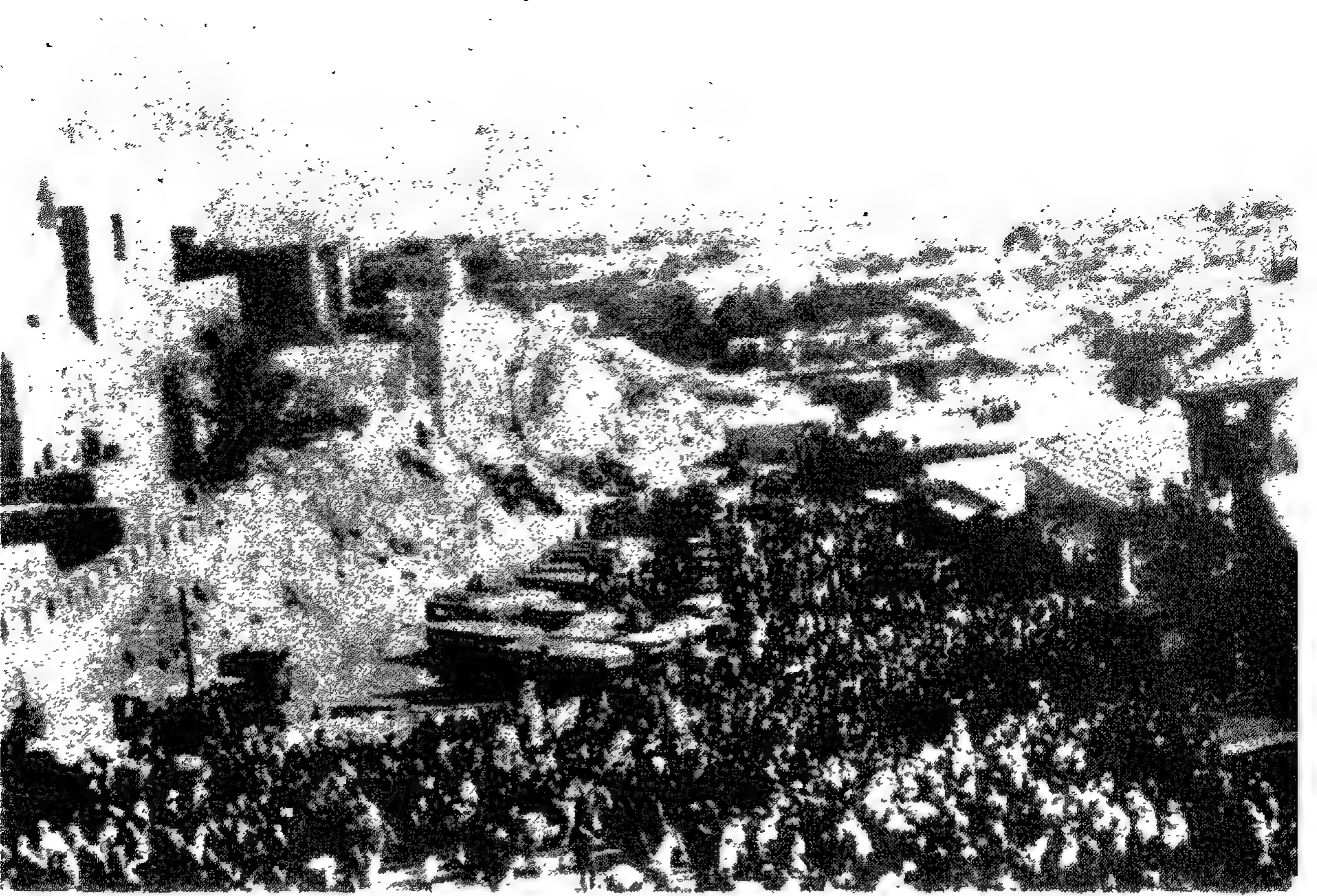


حاكم لواء القدس كيث روش يقدم اعلام النبي موسى الى حملتها بباب السلسلة في شهر نيسان ١٩٤٢ (بعد خروج المفتي الحاج أمين الحسيني من البلاد أخذت الأعلام تحفظ في مبنى المحكمة الشرعية (المدرسة التنكزية سابقاً) بدلا من دار الحسيني).

يظهر في وسط الصورة حاكم لواء القدس كيث روش والى يساره القائم مقام جمال طوقان. وفي الصف الأول (الثاني من اليمين) عبدالله مخلص مدير الأوقاف العام والى جانبه الشيخ عارف يونس الحسيني شيخ الحرم. وفي آخر الصف الأول إلى اليسار الضابط جميل العسلي ضابط بوليس القدس القديمة.



بيرق الخلايلة يستعد للدخول إلى القدس (شمسنا لن تغيب للدكتور صبحي غوشة
ص ٤٢).



بىرق الخليل لى وصوله إلى القدس سنة ١٩٢٩ (عن الفنون الشعبية في فلسطين
ص ١٦٨)

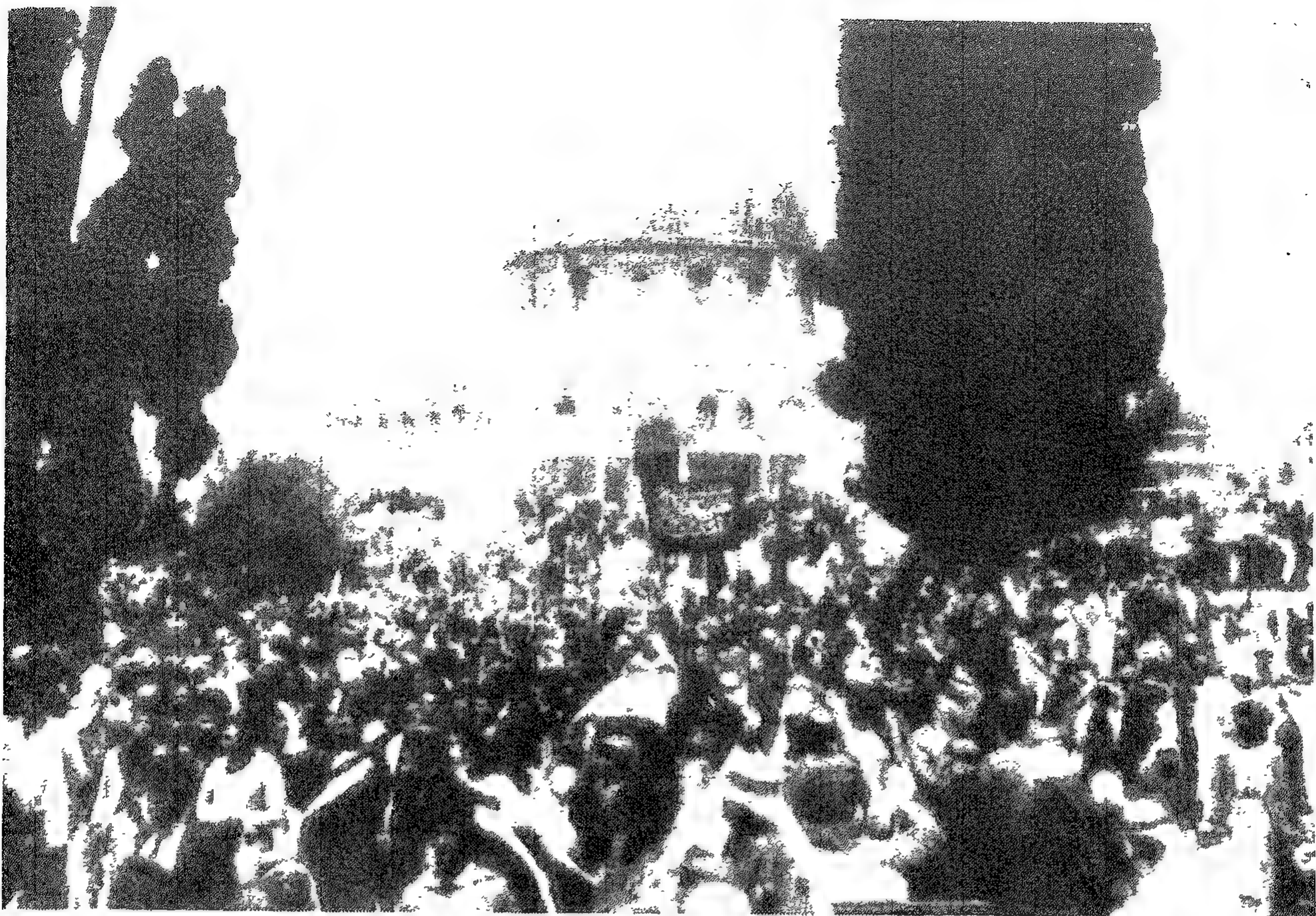


احتفالات النبي موسى قرب باب الخليل (عن كتاب :

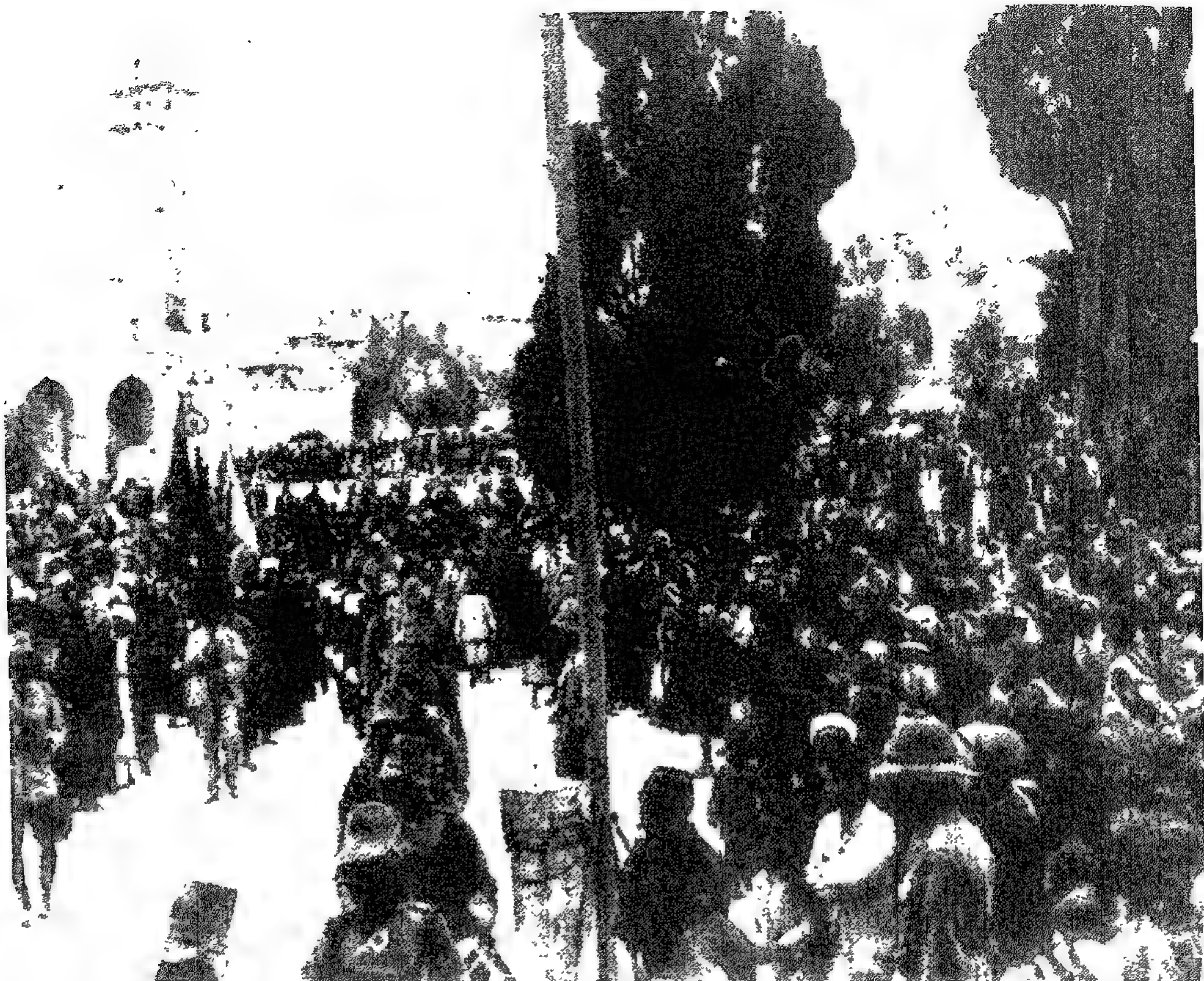
Before Their Diaspora by W. Khalidi, Washington D.C., 1984, no. 207.)



موكب أهل قرية عين كارم في شارع مأمّر الله في القدس سنة ١٩٢٩ (الفنون
الشعبية في فلسطين، ص ١٧٠).



بـيرق النوابـلـسة فـي ساحة الـحـرم الشـريف (تـمـسـنا لن تـغـيب، ص ٤٥).



احتفال النبي موسى داخل الحرم الشريف سنة ١٩٢١ . وتظهر في الصورة فرقة الموسيقى المصرية .

(الفنون الشعبية في فلسطين، ص ١٦٧)



قبل الحرب العالمية الأولى ، الجماهير تنتظر موكب النبي موسى خارج باب الأسباط .
ويرى النساء والرجال يحملون الشماسي حتى دعى الموسم باسم عيد الشماسي (عن كتاب :

Palestinians and Their Society by Sarah Graham-Brown, no.11)



نزلة البيرق - الموكب خارج باب الأسباط . ويشاهد في وسط الصورة مفتي فلسطين
الحاج أمين الحسيني ممتطياً حصاناً أبيض (Before Their Diaspora, no. 208)



السراشق المقام برأس العامود سنة ١٩٣٣ . وجوه القدس يجلسون على الكراسي
ورئيس البلدية يتسلم علم النبي موسى (Palestinians and their Society, no. 13)



الاف الناس يسرون في مواكبهم الى المقام وهم يحملون اعلاهم من المدن والقرى
واحياء المدن والهيئات (Palestinians, No. 12)



طلعة البيرق من مقام النبي موسى الى القدس (شمسنا لن تغيب، ص ٥٨).



احتفالات النبي صالح سنة ١٩٤٣ (Palestinians no. 15)



موكب ظهور (ختان) في احتفالات النبي روين قرب يافا. الطفل الذي ينتظر الختان
يجلس في محمل فوق الجممل (Palestinians, no. 14)

« الملحق »

نصوص

من كتب الرحالة والمؤرخين عن وفاة النبي موسى عليه السلام
ومكان دفنه ، ومقامه وزيارته وموسمه .

- ١ -

عنوان الكتاب : اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى .

مخطوط ، مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، نمرة ٣ ، والجامعة الاسلامية بالمدينة
المنورة ، نمرة ٢١٢ .

المؤلف : شمس الدين محمد السيوطي

(٨١٠ - بعد ١٤٠٧ / ٨٨٠ - بعد ١٤٧٥)

(ورقة ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩)

ورقة ١٤٧

روى صاحب كتاب الأنس بسنده إلى قتادة عن حسن قال : مات موسى فلم يدر
أحد من بني إسرائيل أين قبره ولا أين توجه فهاج الناس في أمره ولبثوا لذلك ثلاثة أيام لا
ينامون الليل فلما كان ثالثة غشيتهم سحابة على قدر محلة بني إسرائيل . وسمعوا منها منادياً
يقول بأعلا صوته مات موسى ، وأي نفس لا تموت ، يكرر القول حتى فهمه الناس كلهم ،
وعلموا أنه قد مات ، ولم يعرف أحد من الخلائق أين قبره . ويسنده إلى محمد بن إسحق يرفعه
إلى النبي ﷺ قال : ما طلع أحد على قبر موسى إلا الرِّخْمَةُ^(١) فنزع الله عقلها كيلا تدل عليه
أحداً . وقال القرطبي في كلامه (على قوله تعالى) : (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا
موسى)^(٢) أي بقولهم قتل موسى أخاه هرون فتكلمت الملائكة بموته ، ولم تعرف قبره إلا
الرِّخْمَةُ ولذلك جعله الله أبكم أصم . وكذلك رواه الحاكم في مستدركه في كتاب تاريخ

(١) الرخم ، الواحدة رِخْمَةٌ ، طائر من فصيلة النسريات ورتبة الجوارح .

(٢) قرآن كريم ، سورة الأحزاب ، آية ٦٩ .

الأنبياء ، ثم روى بسنده إلى قتادة قال : قال الحسن مات موسى وهو ابن عشرين ومائة سنة ، ومات هرون قبل موسى بثلاث سنين ، وهو ابن ثمانية عشر ومائة سنة ، وهو أكبر من موسى بسنة ، وكذا ذكر أبو جعفر الطبري في تاريخه أن عمر موسى مائة سنة وعشرون سنة . وقال غيره : مات موسى وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة ، ومات في سابع آذار ودفن في الوادي من الأرض التي مات فيها ، قال : وهرون ولد قبل قبل موسى بسنة في عام الذبح وذلك أنه وقع في مشيخة بني إسرائيل موت ، فقال روس القبط لفرعون : قد وقع الموت في هؤلاء القوم ويوشك أن يفنى الكبار وأنت تذبح الصغار ، فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون في سنة الترك وموسى بعدها في سنة الذبح ومات هارون قبل موسى بثلاث سنين ، فموسى أكبر من هرون . وقول صاحب كتاب الأنس حكاية عن الأنس وهو أكبر من موسى بسنة مراده أسبق منه في الوجود سنة لأنه أسن منه . قال وهب : لما قبض هرون ، كان عمر موسى مائة وسبع عشرة سنة وعاش بعده ثلاثين سنة . وأما فائدة سؤاله الدنو من الأرض المقدسة رمية بحجر وذكر موضع قبره في الصحيحين أن موسى عليه السلام قال يا رب أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر . قال رسول الله ﷺ : ولو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكتيب الأحمر فان قيل : لم لم يسأل موسى عليه السلام نفس الأرض المقدسة ولا مكاناً مخصوصاً معروفاً عند الناس وإنما سأل الدنو من الأرض المقدسة رمية بحجر فالجواب عن ذلك بما رواه القرطبي في تفسيره إنما سأل الدنو منها لشرفها ولم يسأل مكاناً مخصوصاً خوفاً من أن يعبد وتكثر الأحداث عنده . ولا ينافي سؤاله الدنو منها القول بأن قبره ببيت المقدس فانه عليه السلام سأل شيئاً أعطاه الله فوقه ، وهذا شأن الكريم يعطي فوق المستول وعمل الناس اليوم من أهل بيت المقدس وغيرهم على القول الثالث المتقدم وهو أنه دفن شرقي بيت المقدس وقبره مقصود بالزيارة في القبة التي تقدم ذكرها والناس يتحملون مشقة الذهاب إليه فيبيتون عنده ومشقة الأياب ويبدلون الأموال في عمل المآكل والمشارب وأجر الدواب يفعل ذلك الرجال والنساء من أهل بيت المقدس ، وغيرهم الواردين عليه بقصد الزيارة لا يخلون بذلك حتى الآن .

عنوان الكتاب : -

الدر النظيم في أخبار سيدنا موسى الكليم .
(مخطوط تشستر بيتي Chester Beatty رقم ٣٤٦١) .

المؤلف : -

محمد بن ابراهيم بن عبدالله بن جماعة أبو البقاء، نجم الدين المتوفى بعد سنة ١٤٩٦/٩٠١، شيخ الصلاحية وخطيب المسجد الأقصى .

الورقة ١١٠ : -

قال الامام أبو حاتم البستي : -

« . . . ان قبر موسى بمدين بين المدينة والبيت المقدس . . . » وقول الشيخ قبره بمدين فيه نظر، وذلك أن موسى عليه السلام سأل ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، ومدين ليست قريبة من بيت المقدس ولا من الأرض المقدسة . وقد أنكر قول البستي الحافظ ضياء الدين المقدسي وقال « قد اشتهر قبره في الأرض المقدسة وهو قريب من أريحا، فقال ان ذلك القبر الذي اشتهر أنه قبر موسى فان عنده كتيب أحمر وطريق » . فالقبة المذكورة اشتهر أمرها وصار ذلك الموضع علماً يقصده الزوار والناس من العلماء والصلحا . وقد بنى القبة المذكورة الملك الظاهر سنة ستين وستماية . ونقل بعض الحفاظ عن الشيخ سالم التلي قال ما رأيت أجابة الدعا أسرع منها عند قبره هذا المذكور . قال العلائي : وحدث الشيخ عبدالله بن يونس المعروف بالأرموي أنه زار هذا القبر وأنه نام فرأى في منامه قبة في هذا الموضع ورأى فيها شخصاً أسمر فسلم عليه وقال أنت موسى أو قال نبي الله قال نعم ، فقلت قل لي شيئاً فأومأ اليّ بأربعة أصابع ووصف طولهن قال فانتهدت فلم أدر ما قال فجاء اليّ الشيخ (ديال؟) فأخبرته بذلك فقال يولد لك أربعة أولاد فقلت قد تزوجت امرأة فلم أقربها فقال تكون غير هذه قال فتزوجت أخرى فولد لي أربعة أولاد . وهذه الرؤية كانت قبل بناء القبة المذكورة بأكثر من عشرين سنة . وجمع الفيزاري جزءاً وذكر أن قبره بدمشق وذكر أدلة . قال المؤرخون لما قبض الله موسى عليه السلام كان عمره مائة وعشرون سنة . قال وهب بن منبه إنه لما قبض هارون كان لموسى مائة وسبع عشرة سنة وعاش بعده ثلاث سنين . وقد أخبرنا جماعة عن الحافظ أبي سعيد خليل .

ورقة ١١١

ابن كيكلدي العلالي عنه في موضع قبر موسى عليه السلام فقال : -

يا طالباً نهج الحياة مؤملاً دركاً ينال به الأمان مكملاً
عرج على سفح الكثيب وعج به إن كنت تبغي أن تكون محصلاً
واغضض هناك الطرف منك تخشعاً والزم به الأدب الأتم الأكمل

- ٣ -

عنوان الكتاب : -

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل .

ج ١ ، مكتبة المحتسب ، عمان ، ١٩٧٣ .

المؤلف : -

مجير الدين الحنبلي ، عبد الرحمن بن محمد (٨٦٠ - ٩٢٧ / ١٤٥٥ - ١٥٢٠ م) .

ص ١٠١

ومات موسى ولم يعرف احد من بني اسرائيل أين قبره ولا أين توجه . فهاج الناس في أمره ولبثوا كذلك ثلاثة أيام لا ينامون الليل ، فلما كان ثالث ليلة غشيتهم سحابة على قدر بني اسرائيل فسمعوا منها منادياً يقول بأعلى صوته : مات موسى وأي نفس لا تموت . ولم يزل يكرر ذلك القول حتى فهمه الناس كلهم .

ص ١٠٢

وعلموا أنه قد مات فلم يعرف احد من بني اسرائيل أين قبره . ونقل انه دفن في الوادي من الأرض التي مات فيها .

واختلف الناس في محل قبره ف قيل - وهو المشهور عند الناس - : انه شرقي بيت المقدس بينه وبين بيت المقدس مرحلة ودربه عسر لكثرة الوعر وعليه بناء وداخله مسجد وعن يمينه قبة معقودة بالحجارة وفيها ضريحه وبوضع على قبره في أيام موسم زيارته ستر من حرير أسود وعلى الستر طراز احمر مزركش دائر على جميع أطرافه بالذهب . والاكثرون على أن هذا قبره . وفي الصحيح أن النبي ﷺ مر به ليلة الاسراء وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر .

والذي بنى القبة المذكورة الملك الظاهر بيبرس رحمه الله عند عوده من الحج وزيارته بيت المقدس في سنة ثمان وستين وستمائة . ثم بنى بعده أهل الخير وزادوا زيادات في المسجد وحوله فحصل النفع بذلك للزائر ثم في سنة خمس وسبعين وثمانمائة وسع داخل المسجد من جهة القبلة ولم تكمل عمارته إلى سنة خمس وثمانين وثمانمائة . ثم بنى به منارة بعد الثمانين والثمانمائة وهذا المكان بالقرب من أربحا الغور من أعمال بيت المقدس وأهل بيت المقدس يقصدون زيارته في كل سنة عقب الشتاء ويقيمون عنده سبعة أيام .

وقد ظهر في هذا المكان أشياء من أنواع المعجزات منها : أنه عند الضريح الذي بداخله القبة لا يزال يرى فوق المحراب خيال أشباح ألوانهم مختلفة منهم صفة الراكب ومنهم صفة الماشي ومنهم من على كتفه رمح ومنهم لابس أبيض ومنهم لابس أخضر ويصافح بعضهم بعضاً وغير ذلك من الصفات . وللناس في ذلك أقوال مختلفة فيقال انهم ملائكة . ويقال : انهم الصالحون . وينظرهم كل الناس من الرجال والنساء والأطفال ولا يخفون على أحد .

وإذا دخل المسجد امرأة من النساء يكون عليها حيض أو جنابة أو فعل أحد حول المسجد منكراً من المعاصي يثور هواء في تلك البرية حتى لا يقدر الرجل على رؤية من بجانبه وتنقطع حبال الخيام وتقلع الخيام من مكانها . وغير ذلك من الخوارق الباهرات التي يستدل بها على أنه ﷺ مدفون هناك في هذا المكان .

﴿فائدة﴾

فان قيل : لم سأل موسى عليه السلام الدنو من الأرض المقدسة ولم يسأل بيت المقدس ولا مكاناً مخصوصاً معروفاً عند الناس ؟ .

فالجواب عنه : ما رواه القرطبي في تفسيره : بأنها انما سأل الدنو من الأرض المقدسة لشرفها ولم يسأل مكاناً معروفاً : خوفاً من أن يعبد ، ولا ينافي سؤاله الدنو من الأرض المقدسة القول بأن قبره ببيت المقدس فانه سأل شيئاً أعطاه الله فوقه وهذا شأن الكريم يعطي فوق المطلوب ، وأما صلاته في قبره فلم تكن بحكم التكليف بل بحكم الاكرام والتشريف لأن الأنبياء عليهم السلام حبيب اليهم في الدنيا عبادة الله تعالى والصلاة فكانوا يلزمون ذلك وتوافقوا عليه فشرفهم الله تعالى بابقائهم على ما كانوا يصنعون ومحبون فعله في الدنيا فعبادتهم إلهامية كعبادة الملائكة لا تكليف فيها .

عنوان الكتاب : -

رحلة الشيخ الامام العلامة القدوة الهمام العارف الكبير والمحقق الشهير أبي سالم
سيدي عبدالله العياشي، الجزء الثاني، طبع فاس ص ٣١٨ - ٣١٩.

المؤلف : -

عبدالله بن محمد بن أبي بكر العياشي الفاسي أبو سالم (١٠٣٧ - ١٠٩٠)، (١٦٢٧ -
١٦٧٩) (زار فلسطين ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٢ - ١٦٦٣م).

ص ٣١٨

وأما قبر موسى عليه السلام بينه وبين القدس نحو من نصف مرحلة أو أزيد إلى ناحية
المشرق وقد أروني ما يحاذيه من الأمكنة عندما صعدنا إلى الطور وأخبروني أن المسافة بيننا
وبينه مخوفة غاية ولا يوصل إليه إلا في قوّة ومنعة وكنت كثير الاشتياق لمشاهدة ما يقال هنالك
من العجائب وان لم يرد أثر صحيح في أن ذلك قبره ولم يشتهر ذلك المكان في العهد القديم
ولا في صدر الاسلام وانما بناء وأظهره المتأخرون من الملوك وأكثر ذلك كان في المائة السادسة
أو السابعة بإشارة أمير الكشف، ومما ذكروا من العجائب هناك أن حول القبر حجراً في
حائطه لا يزال ترى فيه صور منها ما يكون كالفارس أو الراجل عليه سلاح أو غير ذلك
يشاهده كل من كان في ذلك المكان، وقد أخبروني بكرامة وقعت في بعض الأزمنة القريبة
وذلك أن المحل الذي هو فيه ليس فيه عمران، إنما يأتيه الوفود في وقت معلوم للزيارة وعليه
بناء متقن عظيم وعلى المزار أبواب عظيمة مغلقة لا يتمكن أحد من فتحها بحيلة حتى يقدم
القيم من القدس فيفتحها ثم إن السّتر الذي على قبره وكانت له قيمة عظيمة وجد مبيعاً في
بعض أسواق الشام وعرفه الناس فسألوا عن بائعه فاذا هو أعرابي فقير فأخذ وأتى به إلى والي
البلد فبعث إلى المشهد فوجدوا السّتر قد أخذ منه والأبواب على حالها مغلقة فأمر بعقوبة
الأعرابي فأقر أنه هو الذي سرقه فسأله كيف تمكنت من أخذه مع غلق الأبواب فقال اني
أحدثكم في ذلك فانه لما أن حان وقت موسم من مواسم السنة وأنا فقير ذو عيال ولا مال
جئت إلى المشهد فناديت: يا نبيّ الله يا كلیم الله اني فقير ومضطر وقد أقبل الموسم ولا شيء
عندي فاعطني ما أنفق على بناتي أو قريباً من هذا الكلام. قال فمددت يدي على مغلق

انفتح حتى وصلت إلى القبر وأخذت السّتر فلما خرجت غلقت الأبواب كما كانت . وظهر لهم أثر صدقه في ذلك فأطلقوه ولم يعاقبوه . واستشرت بعض الاخوان في وجه نتوصل به إلى زيارة المحل المذكور وإلى مدينة الخليل عليه السلام فإن الطريق في تلك المدة قد بترت . ولا يوصل لزيارتها إلاّ مع قوة وقد خشيت أن أحرم زيارة المكائين ونحن في غاية الضيق لا يمكننا تطويل الإقامة خشية فوات الركب لمصر فأشار على المستشار بالوصول إلى قاضي البلد والتعرّف له فانه قد يمكن ذلك على يده . وكان القاضي في ذلك الوقت الشيخ محمد النفاقي التونسي المغربي قدم من اصطنبول متقلداً لقضاء القدس وكانت له وجاهة عند السلطان والعسكر من لدن عهد أخيه الشيخ أبي الحسن النفاقي رحمه الله فترقى بجاه أخيه اذ استوطن اصطنبول مدة أعوام وقدم في هذه السنة إلى القدس . وليست له قوّة الحافظة العلمية ، إنما هو مجرد ترسيم ووجاهة أكسبته ذلك إلاّ أنه ينتمي إلى الصّلاح بسبب أسلافه فيظهر الانخراط في سلوكهم فتوصلت إليه وسلمت عليه وأكرمني غاية وهش وبش وأظهر المسرة بقدومي وقال لأصحابه هيئوا له منزلاً ينزل فيه هو وأصحابه وأجروا له من الضيافة ما يليق به مدّة إقامته ، فقلت له إنّنا قد نزلنا بيت في المسجد ولا يمكننا التحول منه إثارةً لقرب المسجد والصلاة فيه فأجرى لنا المحتاج له من خبز ولحم يصلنا كل يوم إلى منزلنا بل أجرى لنا ما يفضل عن كفايتنا فجزاه الله خيراً ، فأبنت له مقصدي من إرادة الوصول إلى المقامين فقال لي : أما مشهد الكليم عليه السلام فلا يتيسر في هذه المدة مع هذا الضيق الذي أنتم فيه لشدة الخوف وبعد الشقة ولا عمران هناك ويحتاج إلى ذهاب القيم من هنا وعليه في الذهاب كلفة ، ولا أرى بك تحمّل هذه المشقة كلّها مع كون المحل ليس موثقاً به أنه قبر الكليم ولا هو قريب من الوثوق فقبلت عذره في ذلك ورأيت أن النية كافية وتوجّهنا إلى المحل بقلوبنا ووجوهنا عندما طلّعنا وزرناه من هناك والله يتقبّل .

- ٥ -

عنوان الكتاب : -

الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية .

مخطوط في مكتبه عارف حكمت في المدينة المنورة . ومنه نسخة على مايكروفيلم في مكتبه الجامعة الأردنية رقمها ٨٢٠ .

المؤلف : -

الشيخ عبد الغني بن اسماعيل النابلسي (١٠٥٠ - ١١٤٣هـ / ١٦٤١ - ١٧٣١م)،
(زار القدس سنة ١١٠١هـ / ١٦٨٨ - ١٦٨٩م).

ورقة ٧٣ : -

وهو اليوم الثاني بعد العشرين من هذه الرحلة الى زيارة المحبين وهو يوم الاثنين المبارك
فعرزنا بقدرة الله تعالى وتبارك على زيارة نبي الله موسى بن عمران عليه من الله تعالى أوفى
الصلاة والسلام على مدا الأزمان فحشناهم المحبين والاخوان وخرجنا نطوي تلك المسافات
بجماعة الماشين وجماعة الركبان وخرج لوداعنا هاتيك الأصحاب والأحباب حتى شيعونا الى
بعيد من خارج ذلك الباب وكان الماضي من طلوع الشمس ما يقرب من ساعتين حتى انتهى
وداعنا وحصول أول البين . وقد صحبتنا صديقنا الصالح والكامل التقي الفالح الشيخ محمد
وأخوه الصالح الشيخ أحمد من ذرية الششتري المشهور وكل منهما فيما تقدّم مذكور وذهب
معنا أيضاً من أهل بيت المقدس قريتنا مفخر الأفاضل الكرام وسليل العلما الأعلام الشيخ
محمد بن جماعة والحسيب النسيب والحبيب الذي هو أكمل حبيب السيد خليل وصديقنا
مفخر الأعيان وخلاصة ابنا الزمان الحاج أحمد حضر المتقدم ذكرهم والفايح عطرهم وغيرهم
أيضاً من أهل بيت المقدس الكرام فسرنا على بركة الله تعالى بالاعزاز والاكرام وذهب معنا
طايفة من السباهية راكبين خيولهم العربية ولم نزل في الطريق حتى وصلنا إلى حمى ذلك

ورقة ٧٤

الفريق بعد قطعنا كل فج عميق وكان قد دخل وقت الظهر وفات وكادت أن تدرك المشاق
وفات من شدة الوعر وكثرة الوغر^(٣) فأشرطنا من ذلك الشاهق العالي ووجدنا ذلك النور
المتلالي وأقبلنا على ذلك الكثيب الأحمر وقد بني حوله بالجص والحجر الأغبر، ثم لم نزل
نازلين وفي مسيرنا مسرعين إلى أن وصلنا إلى ذلك الحرم الأمين وكان معنا الخادم من بيت
القدس فسبقنا وفتح ذلك المقام المؤنس فدخلنا من الباب مع الجماعة وبادرنا إلى امتثال أمر
الله تعالى بأداء الفرض والاطاعة ثم بعد الفراغ ساغ لنا الاقبال على الزيارة أكمل مساع فقمنا
وتوجّهنا إلى جهة ذلك المزار العظيم والقبر الذي أشرقت عليه أنوار الكليم، عليه من الله
تعالى أفضل الصلاة وأتمّ التسليم فوجدنا باب هاتيك القبة مفتوحاً، وكان صدرنا بدواع
القبول مشروحاً فدخلنا الى قبالة القبر الشريف ووقفنا نقرأ الفاتحة وندعو الله تعالى مع

(٣) الوغر : اشتداد الحر.

الجماعة في ذلك المقام المنيف وإذا بالخيالات تلمع في تلك القبة بحيث تتحير فيها عيون الأحبة وهناك من الحضور من يشهد أنها خيالات الملائكة تصعد وتنزل من حضرة الملكوت على هاتيك التربة المباركة. وقد ذكر ذلك الشيخ الامام العلامة العمدة الفهامة الشيخ يوسف بن محمود بن أبي اللطف المقدسي في رسالته التي صنفها في تحقيق ذلك وأن هذه الخيالات التي تظهر في داخل قبة موسى عليه السلام خيالات الملائكة حيث قال ما ملخصه : أنه وجد الناس من أهل العلم وغيرهم يبحثون في ذلك عن ثلاثة أشياء الأول عن هذا القبر المشهور الذي للسيد موسى عليه السلام في غور أرمحا شرقي بيت المقدس على ذلك الكثيب الأحمر وما يظهر في القبة المبنية عليه من داخلها تلك الخيالات الصاعدة والنازلة على صور مختلفة، وإذا قلتم إنها أشباح الملائكة فكيف يكون للملائكة أشباح وظلالات وهم أجسام لطيفة نورانية والجسم اللطيف النوراني لا شبح له والثاني ما الحكمة أن الناس يرون هذه الأشباح دون أشخاصها ومن لازم وجود الشبح وجود الشخص والثالث ما وجه المناسبة في ظهورها عند القبر الشريف في هذا المكان دون غيره من سائر قبور الأنبياء والمرسلين من أولي العزم وغيرهم عليهم الصلاة والسلام وملخص ما اجاب عنه ذلك أنه قال إن الملائكة أجسام لطيفة نورانية بسيطة مقدسة عن ظلمة الشهوة وكدورة الطبع ذوا (ذوو) حياة مستقرة وعقل ونطق، وقد جعل فيهم قوة التشكل في صورة مجسمة مهيبة، والقرآن والسنة يدلان على ذلك، فلا يبعد من أن تكون الملائكة قد تصوّرت في صورة مجسمة ونزلت على قبره الشريف فصار لها أشباح ترى وكان من لطف الله تعالى بالزائرين أن ترى الأشباح دون صورها اذ لا يلزم من رؤية الأشباح رؤية الأشخاص وان كان رؤيتها دون أشخاصها من غير المألوف للانسان بحسب العادة هذا وقدرة الله صالحة أنا نرى الشخص ولا شبح له يرى على الأرض وترى شبحاً دون شخص كما هنا أو لا ترى شخصاً ولا شبحاً مع وجود ذات حاضرة كما ورد أن جبريل كان ينزل على النبي ﷺ في صورة رجل والحاضرون عند النبي ﷺ لا يرونه لا شخصاً ولا شبحاً والجن أيضاً يرونه ولا نراهم ولا شخصاً ولا شبحاً وقد نراهم إذا تشكّلوا وقدرة الله صالحة لكل ممكن. وأما ما وجه مناسبة ظهور الأشباح عند تربة الكليم دون غيره من سائر قبور الأنبياء والمرسلين من أولي العزم وغيرهم فقد اشتهر جوابه بين علما بيت المقدس أن قبر النبي ﷺ قد اشتهر بالمدينة المنورة وثبت ذلك بالتواتر والسيد ابراهيم الخليل

ورقة ٧٥

عليه الصلاة والسلام ثبت أنه في داخل الغار الشريف المشهور به في حبرون والسيد عيسى

عليه السلام في السما والسيد موسى عليه السلام قد اشتهر أن قبره هنا ولم يثبت ذلك بدليل قطعي فأوجد الله تعالى هذه الكرامة عند قبره يستأنس بها أن قبره الشريف هنا وفيه نظر فانه إن اريد بالخصوصية في هذا المكان كون المدفون فيه موسى عليه السلام وهو من أولي العزم الخمسة كما يدل عليه سياق الكلام ينتقض ذلك بقبر نوح عليه السلام فانه من أولي العزم، وقد اشتهر قبره في كرك نوح بأرض البقاع كما اشتهر قبر موسى عليه السلام علامة ما يستأنس بهما سوى الشهرة وهي موجودة للسيد موسى عليه السلام. وإن كان الجواب لمطلق النبوة مع قطع النظر عن أولي العزم فينتقض أيضاً بقبور ساير الأنبياء عليهم السلام كداود ولوط ويونس ولم يوجد شيء من ذلك عند قبر واحد منهم والجواب القريب أن يقال لا مانع أن يكون وجه الخصوصية في ذلك تحقيقاً لاجابة سؤال موسى عليه السلام عند هذه الأمة حيث دعا الله تعالى عند موته في التيه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر كما ورد ذلك في الحديث الذي ذكره البخاري عن النبي ﷺ أن موسى عليه السلام لما حضرته الوفاة سأل ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر ودعوة النبي لا ترد فظاهر الحديث الشريف أن قبر السيد الكلیم بالقرب من الأرض المقدسة فقد أجاب الله دعوته بأبلغ مما طلب وهو من صفات الكرام يجيبون من دعاهم بأكثر مما يدعونهم به وقد حقق الله تعالى ذلك عند هذه الأمة باظهار أشباح الملائكة ليعلم الناس أن الله تعالى أجاب موسى فيما دعاه به من شوقه إلى الأرض المقدسة وأن يكون مدفوناً فيها. وقد تكون الخصوصية في ذلك بسبب أن موسى لما ظهر للنبي ﷺ في ليلة المعراج وأمره أن يراجع ربه في شأن الصلاة تخفيفاً عن هذه الأمة كما ورد ذلك في حديث المعراج حقق الله قبره لهذه الأمة باظهار أشباح الملائكة عنده ليتحقق قبره عندهم فيجازونه على ما فعله بهم من التخفيف عنهم في أمر الصلاة بكثرة الزيارة له والدعاء عند قبره واهداء الفاتحة له وأنواع البر والخير. وهذا ملخص معنى ما ذكره المصنف رحمه الله في رسالته المذكورة. . .

ورقة ٧٧

ومما يؤيد هذا من الخوارق المشهورة عند قبر موسى عليه السلام أن الزوار إذا قصدوه في كل سنة وخرجوا إلى زيارته ونزلوا عنده في داخل ذلك المكان المبني أو خارجه في خيامهم فاذا صدر من أحدهم شيء من المعاصي المخالفة للشريعة والفواحش وإن كانت خفية لم يظهر عليه (عليها) أحد إلا الله تعالى ثارت ريح شديدة وعجاج كثير بحيث تكاد تضطرب تلك الأرض بأهلها وتكاد تقتلع تلك الخيام ويضطرب الناس اضطراباً شديداً وربما نزل الأمطار الغزيرة بسبب ذلك، وقد تكرر هذا مراراً (و)عرفته الناس حتى أخبرني رجل أنه كان مرة في صحبة بعض العلماء الكبار في ذلك المزار سنة من السنين فثارت الريح الشديدة وتحرك

العجاج الكثير واضطربت تلك الأماكن على العادة المعهودة فعرفوا أن شيئاً وقع ممن هو حاضر هناك من الزوار ففتشوا على ذلك وإذا رجل جاء عندهم من المكارية وأخبرهم أنه أكرى امرأة من بيت المقدس إلى السيد موسى مع الزوار دابة له وأنه طمع في إيقاع الفاحشة معها وصدر منها ما عصا الله به وجاءت المرأة فاعترفت بذلك وتابا إلى الله تعالى وأقلعا عن المعصية . ومعلوم أن ذلك الاقرار بالزنا لا يوجب الحد لعدم كونه عند حاكم شرعي وعدم تكراره أربع مرات كما هو مقرر في كتب الفقه ثم ان ذلك الرجل العالم سأل المرأة هل لها مانع من النكاح

ورقة ٧٨

من الموانع الشرعية فلم يكن لها مانع فعقد النكاح بينهما وقرأوا الفاتحة لحضرت موسى عليه السلام ودعوا الله تعالى فما استتموا ذلك حتى انجلت تلك الحالة وسكن ذلك الريح وذلك العجاج الثاير وصار كائن الأمر لم يكن . وهذه أيضاً من الأمور الدالة على تحقيق أن قبر موسى عليه السلام هناك نظير الأشباح التي تتراعى في القبة وذلك من خصوصيات هذا المكان لا يوجد هذا عند قبر نبي غير موسى عليه السلام لأجل ما ذكرناه من المعنى المتقدم ، وكأن الملائكة عليهم السلام هم الذين يثيرون ذلك العجاج والأرياح الشديدة في ذلك المكان كما أنهم يتصورون في الصور الجسمانية فتظهر خيالاتهم في تلك القبة وانما يفعلون كل ذلك تصديقاً للنبي ﷺ فيما أخبر به عن موسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآل

ورقة ٧٩

هذا وقد وجدنا رسالة للعلامة المحدث العمدة الفهامة الشيخ محمد بن طولون الصالح رحمة الله تعالى سماها «تحفة الحبيب بأخبار الكتيب» يذكر فيها أن قبر السيد موسى عليه السلام في مسجد القدم قبالة الكتيب الأحمر في دمشق الشام خارج باب الله في الطريق الحاج ، وقد ذكر فيه بسنده المتصل إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ مررت بموسى عليه السلام ليلة أسرى بي وهو قائم يصلي في قبره بين عايلة وعويلة وذكر بسنده إلى أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر في تاريخ دمشق في كلامه على مساجد دمشق التي خارج البلد مسجد القدم بقرب عايلة وعويلة قديم جدده أبو البركات محمد بن الحسن بن حامد وقيل قبر جدّه لأمه أبي الحسن الواعظ الزاهد وله منارة ووقف ويقال ان قبر موسى عليه السلام فيه ، قال الحافظ أبو القاسم في تاريخه المذكور في أول ترجمة موسى عليه السلام روى أن قبره ﷺ بين عايلة وعويلة وهما محلتان كانتا بقرب مسجد القدم ويقال إنه روى في النوم أنه قبره وقيل ان عايلة وعويلة بضم العين المهملة قريتان يقال لهما سبيينة

وسبيلات وقيل القبة الطويلة براس القببات وأخرى أمامها وذكر بإسناده إلى الشيخ أبي الحسن محمد بن جبير الكناني الأندلسي في كتابه الذي سَمَّاه بكتاب الرحلة وتاريخها سنة ثمان وتسعين وخمسمائة في ذكره لمشاهد دمشق فقال: ومن المشاهد مسجد الأقدام وهو على مقدار ميلين من البلد مما يلي القبلة على قارعة الطريق الأعظم الآخذ إلى بلاد الحجاز والساحل وديار مصر وفي هذا المسجد بيت صغير به حجر مكتوب عليه كان بعض الصالحين يرى النبي ﷺ في النوم فيقول له ها هنا قبر أخي موسى صلوات الله عليه والكثير الأحمر على قارعة الطريق بالقرب من هذا الموضع وهو بين عايلة وعويلة كما ورد في الأثر وهما موضعان بالقرب وشأن هذا المسجد في البركة عظيم. ويقال إن النور ما خلا من الموضع الذي يذكر أن فيه القبر حيث الحجر المكتوب وله أوقاف كثيرة، والأقدام من حجارة في الطريق إليه يعلم عليها، تجد أثر القدم في كل حجر وعدد الأقدام تسع ويقال إنها أثر قدم موسى عليه السلام انتهى، وذكر أيضاً بسنده عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال بالشام من قبور الأنبياء ألفا قبر وسبعماية قبر وقبر موسى عليه السلام بدمشق فان دمشق معقل للناس في آخر الزمان من الملاحم، وأورد أيضاً بسنده عن كعب الأحبار رضى الله عنه قال قبر موسى عليه السلام بدمشق. قلت قال العلامة أبو اسحق الفزاري الشافعي فقد وجد النقل بأنه في دمشق مطلقاً وهذا المطلق يحتمل التنزيل على ذلك المقيّد ولم أجد نقلاً عن المتقدمين بتعيين موضع لقبره على الخصوص غير ذلك وأما بيان احتمال ذلك فلا يبعد أنه قد نقل من تاريخ متقدم ولم يثبت تعيين فيما اشتهر في الصدر الأول أن التاريخ المتقدم أقرب إلى الصحة والله أعلم بحقيقة الحال. وكذا نقل هذا الكلام أيضاً الشيخ الامام العلامة برهان الدين ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن ضياء بن سباع الفزاري الشافعي في رسالته التي سَمَّاه «تبين الأمر القديم في تعيين قبر الكليم»، وهو الجازم أن قبر موسى ﷺ في دمشق الشام في مسجد القدم المذكور ثم أورد الأحاديث التي ذكرناها نحن فيما سبق وتكلف وتعسف في دلالتها على ما أراد. ومن العجايب أنه نقل عن الإمام الجليل محمد بن جرير الطبري في تفسيره وتابعه على هذا النقل أيضاً الشيخ الامام محمد بن طولون الصالح في رسالته التي تقدم ذكرها حيث قال الطبري في الكلام على قوله عز وجل فانها محرمة عليهم أربعين سنة الآية: وافتتح قرية الجبارين موسى وسار بهم إلى أريحا ودخلها وقتل من بها من الجبابرة الذين كانوا فيها وأقام بها ما شاء الله أن يقيم ثم قبضه الله عز وجل لا يعلم قبره أحد من الخلق ورجح ذلك واستدل به وجعله الصواب، وقال الثعلبي اختلف العلماء على يد من كان الفتح فقال قوم انها فتح أريحا موسى بمن معه من بني اسرائيل وانه دخلها وأقام بها ما شاء الله أن يقيم ثم قبضه الله جلا وعلا لا يعلم قبره أحد، وهذا أصح الأقوال انتهى فان موت موسى عليه

السلام في أريحا وان لم يكن قبره معلوماً فإنه يكاد أن يكون صريحاً بأنه هو القبر الموجود الآن في غور أريحا المشهور في بيت المقدس فان الأصل في حق الميت بأرض أنه مدفون فيها ما لم يثبت أنه نقل منها إلى غيرها من الأرض كما صار ليوسف عليه السلام أنه مات في مصر ثم نقل إلى حبرون ودفن عند ابراهيم الخليل ويعقوب واسحق عليهم السلام . والمتبادر الذي يسبق إلى الافهام لا ينبغي أن يشك فيه أحد من الأنام أن قبر موسى عليه السلام هو هذا القبر الذي هو الآن مشهور في غور أريحا كما قدمنا ذكره على التفصيل لا أنه الذي في دمشق الشام

ورقة ٨١

والحاصل أن الحق الذي تطمئنُ إليه القلوب والله أعلم بالغيوب أن قبر موسى عليه الصلاة والسلام هو هذا القبر المشهور الآن في بيت المقدس في غور أريحا خصوصاً وقد تأيد بنزول الملائكة الكرام وترائي أشباحهم في ذلك المقام وكان معنا رجل صالح من أهل مصر يقال له الشيخ علي بن علي الديصطي نسبة إلى ديصط بكسر الدال المهملة وفتح اليا المثناة التحتية وسكون الصاد المهملة وبعدها طا قرية من قرى ريف مصر كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فقال اكتبوا من حفظي هذا الموال في هذا المكان وهو قوله :-

الخير كله لِحَمَالِ الأَسَى مجلوب وجنة الخلد لي في الرفق مغلوب
رافقت أنا ناس قالوا لي الأدب مطلوب امشي عدل يراعوا لك عيون وقلوب

ومعلوم أن الموال مبني على اللحن فريد بقوله اللي للذي ويقول عدل بكسر العين يعني معتدلاً . ثم ان ذلك الرجل دعا الله تعالى كما أخبرنا في ذلك المقام الشريف بأنه لا يعود إليه الا وهو يعرف أن يقرأه بنفسه ثم انه رجع معنا إلى دمشق الشام واشتغل في قراءة القرآن الى أن فتح الله عليه في مدة يسيرة مقدار الأربعة أشهر وصار يعرف القرآن ثم اشتغل في حفظ القرآن عن ظهر قلب . وهذا ببركة دعاية هناك في ذلك المقام المبارك واجابة الدعاء محققة في الأماكن المباركة خصوصاً عند مقامات الأنبياء الكرام عليه السلام .

ورقة ٨٢

وقد ذهبنا عشية النهار حين أخذت الشمس في الاصفرار لنسير في تلك الفلاة الواسعة خارج مزار السيد موسى عليه السلام بالقرب من حضرته الشاسعة حتى صعدنا على صخور عالية وتلول سامية ورأينا هناك محاريب في الأرض مخطوطة في الأحجار فإنها

معابد لبعض الصالحين السايحين الأخيار وأشرفنا على بركة لوط المشهورة وهي بركة واسعة كبيرة.

ورقة ٨٤

... ثم عدنا بعد ذلك بعد غروب الشمس واقبال الليل الحالك وقد صلينا المغرب بين تلك المحارب المخطوطة على هاتيك الأرض المبسوطة ودعونا الله تعالى بما تيسر من الدعا وقد تفرغ للاخلاص منا الوعا الى مزار السيد موسى عليه السلام وبتنا به في غرفة عالية رفيعة المقام ذات شبابيك مطلّة على تلك الجهات واشراق زايد وأنوار لا يحات ، ثم اجتمعنا بعد صلاة العشا الأخيرة على قراءة شي من القرآن والذكر في هاتيك الحضرة المنيرة حتى لاح الصباح وقد أخذنا حظنا من الزيارة والاسترواح وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء وهو الثالث والعشرون من هذا السفر المبارك الميمون فهيئت الدواب للمسير وتيسر على الرفاق كل عسير وركبنا فسرنا على الطريق مع من كان معنا من ذلك الفريق والرفيق إلى أن مررنا بقبر الراعي في مكان مهاب تحمد اليه المساعي فوجدنا قبراً عظيماً يشابه قبر موسى عليه السلام شهامة وتكريماً إلا أنه ليس عليه قبة مبنية ولا هناك بنا وهو في البرية بين البرية غير أنه قبر كبير وحوله الحجار مصفوفة على شكل التحجير حتى بلغني أن بعضهم يقول بين الأنام إن هذا هو قبر موسى عليه السلام ولكن الأول هو الذي عليه المعول وإليه يرجع المعنى المأول (المؤول) فوقفنا هناك وقرانا الفاتحة ودعونا الله تعالى ثم سرنا متوجهين الى جهة بيت المقدس

- ٦ -

عنوان الكتاب : -

الخمرة المحسّية في الرحلة القدسية .

- نسخة خطية نقلها مؤلف هذا الكتاب عن المخطوط المحفوظ بمكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة تحت رقم ٣٨٤٠ (رقم التصنيف ٩٤/٩٠٠) .

المؤلف : -

مصطفى بن كمال الدين الصديقي (نسبة الى أبي بكر الصديق رضى الله عنه) .

(١٠٩٩ - ١١٦٢هـ/١٦٨٨ - ١٧٤٩م) . زار فلسطين سنة ١١٢٢هـ/١٧١٠م ،

وسكن بيت المقدس فترة من الزمن .

بعد أن تحدث مصطفى الصديقي عن تردّده في القدس على مقام النبيّ داود و«دار الضيافة المعمورة» في المقام بناء على دعوة خادم المقام الشيخ يحيى الدجاني السالك طريق السادة الخلوتية قال:

وما زلنا بين كرّ وفرّ في حرّ وقرّ نتردّد على هذا المقرّ الى أن حانت أيام الموسم الكليمي الكريم وتوجّه الموكب إلى ساحته فسرنا ببسط مقعد وأنس مقيم وكان قد تقدمنا الصديق اليه علم الدين^(٤)، كان الله تعالى له معين، ودعانا وأكد في دعوته وألح وأبرم أن ننزل في خيمته، ولما توجّهنا كدنا من الفرّح أن نظير بلا جناح، ومررنا على قرية سيدنا العزيز فزرتنا خالعين العذار ولا جناح قال شيخنا قال الحنبلي: ومن المشهورين حول بيت المقدس سيدنا عازر فلعلّه العيزار بن هارون عليهما الصلاة والسلام بقرية العازرية، بظاهر القدس الشريف من جهة الشرق بالقرب من طور زيتا على الطريق المار إلى السيد موسى عليه الصلاة والسلام، وهو ظاهر في القرية بمشهد عظيم، يقصد للزيارة، ويقال إن العيزار إنما هو بقرية عورتا من أعمال نابلس ويقال إن عازر هو الذي أحياه المسيح عليه الصلاة والسلام انتهى وسرنا نقطع السباسب ونترجى نيل ما للحال يناسب، فلاحت على البعد قبة الضريح الباهر، وفاحت روايح ذلك المربع المريع الزاهر، ووقع منا قصور، حيث لم ننزل عند رويتها، وفتور، بالنسبة لواجب حرمتها، وقد سوّلت النفس الأمّارة ببعد محل الزيارة فاعتراني في الحال صداع زايد كاد أن يجرمني من اجتناء الفوايد وعند الوصول إلى الخيام، ذكرنا ذاك المقام وأدنى مني مدني الهنا فتلّقنا صديقنا الداعي بالترحيب لابساً من السرور القشيب، وكذلك فعل خاله السيد محمد النسيب الامام بالمسجد الأقصى، والقلب من ألم الصداع وجيب، ولما صلينا الظهر وأكلنا ما تيسر من زاد رأيت ألم الراس الحاصل قد نما وزاد، ولم أزل متحملاً لتلك المشقة إلى أذان العصر لعلّ أن تنطوي هذه المشقة، وبعد أدا الفرض والحكم بلزوم القضاء، لعدم شعور (؟) ضيق متسع ذاك القضاء، خرجت صحبة الصديق المشار إليه لتجديد الطهارة، وبعد تحصيله قلت له سر بنا نزور السيّد الذي رفع الله مناره فتعلّل بازدحام الناس، واختلاط النّساء بالرجال الغير أكياس، فقلت سر أمامي وانظر مواقع الأقدام وأنا أتبعك بهذه الصفة حالة الأقدام، فعسى يزول كربّي وما بي، وتنجلي بزورته سحب أوصابي فأجاب لما به عليه أشرنا، وجئنا رحاب تلك الهضاب والمرقى السامي عبرنا مصاحبين الآداب بالذلة والاكتياب ودقاق البصداع مشغل والرأس بشيب

(٤) علم الدين العلمي من تجار القدس.

الغربة مشتعل . وبعد أن قرأنا الفاتحة مع إهداء ألف تحية توجّهنا إلى القبلة الشريفة وصلّينا صلاة التحية ثم أدت وجهي إلى التابوت مصلياً مسلماً على من أنزلت عليه السكينة والتابوت ورفعت طرف السّتر ووضعت على رأسي ففي الحال زال ذلك الصداع الراسي فحمدت الله تعالى ورجعت إلى الخيمة وقد ارتحل عن الفواد ضيّمه وأقمنا ستة أيام كانت كبارقات الأحلام وكنا نخرج كل ليلة قبل الغروب وندور في تلك المروج بقلب طروب ونتساجل مع صديقنا في الذهاب والأياب ، ونعود بانسراح وأفراح إلى غالي الرحاب ، وربّما نختم عنده في بعض الأوقات كتاب دلائل الخيرات وكان صديقنا السيد محمد الامام سريع قراءة لها وللكتاب المجيد باتمام وله مزيد حرص على الطاعة ومحافظ على الأوراد بحسب الاستطاعة . ولقد قلت متطفلاً على مدح السيد الكلیم مستشعراً حالة امتداحي جنباه العظيم خجلاً :

هل لصب قد أثخنوه كلاماً وصل من نال من مناه الكلاماً
(الى آخر القصيدة المؤلفة من ٤٥ بيتاً) .

وفي ثاني يوم من أيام الزيارة السامية اجتمع شيخنا الشيخ محمد الخليلي وخواص ذلك الجمع أرباب الرتب النامية وفرقوا الربعة الشريفة في تلك الحضرة الكلّيمية المنيفة وقرا دعا الختم صديقنا السيد خليل الامام بالمسجد الأقصى متضرعاً متخشعاً فبكى وأبكى فجرت مياه عيون لا تحصى وكانت الفقرا بالطبول والأعلام ترد كل يوم أفواجاً على المقام ويحصل من البسط في هذه الأيام ما لا يصفه واصف مقدام حدثني شيخنا الشيخ محمد الخليلي بلغ المرام في خلوته التي على يمين الصخرة شمال قبة المعراج ذات الأحكام أن هذا البسط الذي يجده الانسان عند الكلیم عليه الصلاة والسلام مُسْتَنْبَطٌ من قوله تعالى : «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةَ مَنِيٍّ» فافهم الخطاب المدني وأخبرني في ذلك المجلس اللطيف أنه دخل المرقد الكلّيمي المنيف وشرع في قراءة دلائل الخيرات وبعد هنيهة خطر له أنت في حضرة الكلیم ذي المبرّات فينبغي لك أن تصليّ وتسلم عليه لتحوز المسرات ، قال فشرعت في موافقة الخاطر فصليّت وسلّمت عليه أقل أو أكثر من عشر مرات فسمعت زعزعة في الضريح وصوتاً جهورياً وقايلاً من داخله يقول عصبة النسب مقدمة على عصبة الولاء قال ففهمت المراد وعدت للتلاوة فوراً كالمعتاد انتهى بمعناه لا بلفظه ومبناه ، وأخبرني أيضاً لحظه الله بالحظ ورعاه برعايته وحفظه بحفظه أنه زار الحضرة في غير أيام الزيارة ومعه جملة من القصاد وقال فأسهرت عيني خوفاً من وقوع فساد، من أخيار معنا في تلك المهادر، فرأيت عليه الصلاة والسلام ، وقد سرقتني العين بالنام ، قايلاً ومشيراً بما ينفي الظنون ، فتمدّدت ونمت بملء العيون .

وفي ساحة الكليم عليه الصلاة والسلام آبار للما معدّة لجمع مياه الأمطار ويستقي منها الزوار في هذه المدة، وقد سعى في تعميرها وتسليك مجاريها وترميمها صديقنا الشيخ محمد المكنّي بأبي فردة وله رحمه الله تعالى خيرات عدة منها رواق المغاربة المنتفع به الآن أسكنه الله بحبوحه الجنان . وماء تلك الآبار يحرق الطعام وينفع الجرب والحكة لأن أرضه كبريتية الأجرام وبذا أحجارها توقد ويجعل منها تنوراً فيتأجج ويتوقد، وأخبرني أن كل ما يقع بالموسم من دق ولعب مباح لا يؤاخذ به أهل الموسم ويقع لهم بذلك السماح إلا أن وقع فساد في تلك الأغوار والأنجاد فانه يثير عجاجة تقلع الخيام وترمي القدور وتريق الطعام حتى إن أهل الموسم لما تكرر هذا الأمر تيقنوه حتماً، فتصارخ الناس بالدعا على الفاعل ويشفون غيظهم شتياً، وجيء بالخيام في بعض السنين عند هذه الفعلة المقبحة تقبيحاً، من قرية بعيدة عن المقام نحو ساعتين يقال لها أريحا، ولم تقع في السنة التي كنا بحمد الله تعالى فيها بل وقعت كما أخبرني بذلك الخال في التي تليها . وأخبرني الصديق علم الدين كان الله خير معين أن بعض الثقة الأخيار أخبره أن بعد مضي الزوار من تلك الساحة الأنيسة والبقعة المباركة النفيسة تأتي طيور بيض بمناقير طوال يأخذون بها القاذورات ويرفعونها من تلك المحال ويعقبهم لا محالة غمامة هطالة تغسل تلك الأرض بالطول والعرض فقلت لا تكثر هذه العجيبة وعلى مثل هذا السيد ليست بغريبة وفي ثالث يوم وفد الخال علينا ونزل بمن معه من الأحباب لدينا وكان يظن أني لا ألبث إلا يوماً أو بعض يوم لوجود أمور . . . يتظاهر بها بعض القوم، وما درى أنا إذا كرعنا من حياض ذلك التجلي، ورتعنا في رياض قدس حدايق حقايق ذياك التلمي يستغرقنا البسط والأنس الموسوي ولما اعترا الشمس من فرقة ذلك الجامع الاصفرار خرجنا نتهادى في تلك الفلوات بجوار هاتيك الأنوار، ولم نزل نصعد ظهر صخور وتلال إلى أن ركبنا متن ظهور تلك الجبال وأشرفنا على بركة سيدنا لوط التي حنطت جنباتها من النبات بحنوط فجلسنا مستشرفين على تلك السهول والجبال مسبحين الله تعالى الكبير المتعال، وبالقرب من ذلك المحل محارب خطت من تلك الأحجار تنبي أنها كانت معابد بعض الأحبار الأخيار ورجعنا وقد أرخى الليل سدوله، وفرق في الأرجاء رجاله وخیوله، وعندما بدا من أهل الموسم الضجيج وخشعت الأصوات وفاح أرج ذاك الحي الأريج قمنا على أقدام الضراعة باسطين أكف الطلب في تلك الساعة، وهكذا كنا نفعل في أغلب تلك الليالي المسفرة بالسعود، ولقد جرى ذكر شيخنا الهمام الشيخ عبد الغني^(٥) المقدام فانطلق لسان المدح المسجون وانفتق رتق البيان المخزون فقال السيد

(٥) الشيخ عبد الغني النابلسي.

محمد الامام المتقدّم ذكره لكنه يقول بايمان فرعون وهذا قول يجب نكره فقلت له أنه ليس هو أول من قال ذلك وانما أبو بكر بن العربي الحاتمي في الفصوص قرر ما هنالك وعلى هذا أطبق شراح النصوص من أهل العموم والخصوص على أن الشيخ لم يقطع بايمانه لأنه قال في آخر كلامه : وأمره إلى الله

. وكنا ذهبنا ثاني يوم من القدوم لزيارة الراعي وأعدنا الزيارة له كرتة ثانية وثالثة

. ويقال إن الراعي المشير (المشار) اليه هو راعي الكلیم ﷺ ، وقيل انه مرقد صاحب الكلام^(٦) ، وقد رعى لشعيب أغنامه عشرة أعوام ثم ان ليلة الخميس ليلة وداع ذاك المقام الأنيس لما راق الليل وشمر أهل الميل الذيل وركبوا خيل الخيل وطفحوا الكيل

- ٧ -

عنوان الكتاب : -

موانح الأنس برحلي لوادي القدس .
مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق^(٧) .

المؤلف : -

مصطفى أسعد اللقيمي الدمياطي (١١٠٥ - ١١٧٨ هـ / ١٦٩٣ - ١٧٦٤ م) (زار
فلسطين سنة ١١٣٤ / ١١٤٤ هـ - (١٧٣٠ م) .

ورقة ٥٣ : -

وفي يوم الاثنين حادي عشر محرم الحرام^(٨) عزمت على زيارة السيد الكلیم عليه الصلاة والسلام فخرجت بعد صلاة الظهر مع رفاق رفاق واخوان ودّ لهم بنا مزيد اعتلاق . فوصلنا رحابه الوسيع وروضة واديه الخصب المريع حين أذنت شمس النهار بالاحتجاب وكادت تلثم الأرض من شدة الاقتراب إذ المسافة اليه من بيت المقدس خمس ساعات في

(٦) أي موسى عليه السلام .

(٧) هناك نسخة اخرى من «موانح الانس» في الخزانة الملكية بالرباط ، ومنها صورة في مكتبة الجامعة الأردنية ، غير أن النسخة التي اعتمدناها هي نسخة الظاهرية .

(٨) ١٦ تموز ١٧٣١ م .

جبال وأودية وعقبات فمرغنا الخد بأعتابه واكتحلنا بعبير ذلك الثرا ورجونا منه الامداد وحسن القرا ووقفنا تجاه ذاك المقام معلنين بالصلاة والسلام ولما شاهدت جمال جماله وورد عليّ البسط بكماله تذكّرت ما به شيخنا الخليلي أتحنّني أن بالمقام سر «وألقيت عليك محبة مني» .

- شعر -

ورقة ٥٤ : -

موسى عليه السلام نبيّ الله وكليمه وهو ابن عمران بن قاهب ابن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام ولد لمضي ألف وخمسمائة وستة وستين سنة من الطوفان

ورقة ٥٦

واختلف في قبره فقيل بالتيه وقيل بباب لد وقيل ببیت المقدس أو بدمشق أو بواد بين بصرا وبلقا أو بمدين بين المدينة وبيت المقدس أو بأريحا وهي من الأرض المقدسة والمشهور الآن أن مقامه عليه السلام بالقرب من أريحا وعنده كثيب أحمر الى جانب الطريق يشهد لذلك ما ورد في الصحيح أن النبيّ (ﷺ) مرّ به ليلة الاسراء وهو قايم يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر ويشهد لذلك ما يرى بداخل القبة من الأشباح التي ألوانهم مختلفة منهم الراكب ومنهم الماشي ومنهم من على كتفه رمح ومنهم لابس أبيض ومنهم لابس أخضر يصافح بعضهم بعضاً وغير ذلك من الصفات ينظروهم كل الناس من الرجال والنساء والأطفال ولا يخفون على أحد وللناس فيهم أقوال مختلفة . قال شيخنا صاحب النفس القدسي مولانا الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته : (قد دخلنا الى قبالة القبر الشريف ووقفنا نقرأ الفاتحة مع الجماعة في ذلك القبر المنيف، وإذا بالخيالات تلمع في داخل القبة، بحيث تتحرّ فيها عيون الأحبة . وهناك من الحضور ما يشهد أنها خيالات الملائكة تصعد وتنزل من حضرة الملكوت على هاتيك التربة المباركة وكانت الملائكة عليهم الصلاة والسلام هم الذين يثيرون العجاج والأرياح الشديدة إذا وقع فساد في مولده الشريف كما أنهم يتصوّنون في الصور الجثمانية فتظهر خيالاتهم في القبة، وانما يفعلون ذلك تصديقاً للنبيّ (ﷺ) فيما أخبر به عن موسى عليه السلام والله تعالى أعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآل) انتهى . ثم لما غربت الشمس من تلك الآفاق وصلّينا المغرب نحن واولئك الرفاق طلّعنا نشرح الصدر برؤية هذا الوادي البهيّج ونروّج النفس بانتشاق عبيره الأريج وإلى حسن محاسنه السنية نراعي إلى أن وردنا مقام الراعي فانه قريب من المقام المذكور وبه تلوح بوارق

السنا والنور وللناس فيه اختلاف في التعيين وليس هناك دليل يرجع إليه بيقين فيقال إنه راعي صاحب المقام ويقال إنه مرقده حين كان يرعى لشعيب عليه السلام . وبعد اهداء الفاتحة إليه توسلنا بجنابه وحاشا أن أرد وقد وقفت بأعباه . وقد كنت ابتدأت حال طلوعي من القدس في ختمة شريفة هدية للحضرة الكليمية المنيفة فيسر الله تعالى ختمها في تلك الليلة بالمقام وقد حصل لي من الأتس ما أذكرني ليالي منى والمشعر الحرام ولما كاد أن يبدو الصباح وعزمت على المسير مستبشراً بحصول النجاح فوقفت تجاه ضريحه ودعوت الله بمكني القول وصریحه و... القلب أنس أنعش الفواد فأيقنت بحصول المنى ووفق المراد ثم انشينا بالمسيرة راجعين مصلين عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين فوصلنا القدس عندما زالت الشمس.....

- ٨ -

عنوان الكتاب : -

نفحة البشام في رحلة الشام

دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠١/١٩٨١م.

المؤلف : -

الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي (١٢٥٤ - ١٣٢٠هـ / ١٨٣٨ - ١٩٠٢م).

(زار القدس ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م).

ص ٩٥

ولقد حضرنا هناك في الحرم الاحتفال بطلوع الصنجدق (البيرق) لسيدنا الكليم واجتمع الناس من الأمراء والذوات والعلماء والباشاوات، واصطففت العساكر على الجانبين من باب الأقصى إلى باب قبة الصخرة. ومعهم سعادة رؤوف باشا، متصرف القدس. وخرجوا به من الباب الشمالي وركب معه المفتي لكون خدمة مولد سيدنا موسى الكليم على بيت الحسيني من قديم، وهو منهم بل أكبرهم، وبعض الأمراء والتجار. فصار الحرم مزدحماً بالزوار وأرباب الإشارات ويقال لهم السيارات وكذلك الطرقات في حوالي الحرم وكان طلوعه بعد صلاة الجمعة في أول الموسم وما رجعوا إلا في الجمعة الثانية. وبعد صلاتها عمل له احتفال كأول، واصطففت العساكر على هيئتها النظامية من باب المسجد الأقصى إلى باب قبة الصخرة.

ص ٩٦

وكنا إذ ذاك واقفين على الباب مع حضرة شيخ الخدمة الشيخ عبدالله الدنف، وكبار أهل البلد فساروا بالصنجدق إلى أن وصلوا إلى قبة الصخرة ودخلوا به إليها، ودخلنا معهم. وقفل الباب خشية الازدحام وكان هذا الختام. وبعد ذلك انصرف الناس إلى بلادهم وجماهم.

وأما زيارتنا لحضرة سيدنا موسى الكليم فكانت في الجمعة التي بعد طلوع الصنجدق وقبل نزوله. فخرجنا من القدس ضحوة النهار وركبنا دواب من المكارية من أقبح دواب البرية، فسرنا تحت الأمطار والأخطار، الملجئ لذلك كون طريق الكليم لا تسلك ولا تؤمن إلا في أيام الموسم. وما زلنا في جبال وأودية إلى أن وصلناه قبيل الغروب، ودخلنا للزيارة في شدة الزحمة ونزول الرحمة، وطلعنا إلى ديوان عال مشتمل على عدة أود معدة للزائرين في تلك الأيام. ووجدنا مفتي القدس جالساً معهم في إحدى الأود. فاستقبلنا بغاية كل إكرام واحترام وأخرج لنا وللحاضرين كافة عشاء من مطبخه. ولما حان وقت النوم أرسل إلينا فرشاً وألحفة للغطاء. ويات غالب الزوار في الصحراء تحت المطر، لأن البناء الموجود حول ضريح سيدنا موسى غير كاف لإيواء هؤلاء الجمع. وفيه هناك بعض خيم صغيرة يسمونها شواذر لا تكفي ولا تدفي، بل بلغنا أن بعضها اقتلعه الهواء فلم يعرف بعد إلى أين ذهب وفي أي موضع وقع، وذلك لشدة الرياح العاصفة والأهوية القاصفة. وبتناها ليلة نابغية نعاني جهد البلاء ونتلوى من شدة اللأواء. ولما طلع النهار واستنار، ركبنا دوابنا بعد أن زرنا الضريح الأنور في جانب الكثيب الأحمر. وتوجهنا تجاه القدس ولم تزل الأمطار تنزل علينا كأفواه القرب وقد أيقنا بقرب العطب لما شاهدناه من هذه الكرب، ولكن الله سلم وتفضل وأنعم. ولا يمكنني أن أصف لك ما حصل للزوار في صعود تلك الجبال الشاهقة وكل نفس زاهقة وكل رجل زالقة حتى كنت في بعض الأحيان يحصل لي الإياس وتضييق

ص ٩٧

مني الأنفاس، وأنقطع في السير عن الناس، وأرى أن ترك المشي والوقوف أولى من السير مع هذا العناء الذي آخره كما كنت أظن الفناء. ولقد بلغنا أن بعض الزوار انقطع في الطريق من التعب والبعض حل به العطب. ومات جملة من شدة البرد وأرسل المتصرف من طرفه عساكر وغيرهم للتفتيش عمن تخلف بالاعياء أو الموت وأحضروهم إلى القدس في اليوم التالي.

وكيف أصف لك المشي على رؤوس الجبال وتحتها الأودية البالغة الغاية في الانخفاض التي لا يستطيع الإنسان أن ينظر إليها وإلا أخذته الدوخة والإغماء، فضلاً عن ضيق الطريق

وامتلائه بالأحجار وتزحلقه بكثرة ماء الأمطار. وصارت الشمسيات لا بقاء لها في الأيدي ولا ثبات وضاع أغلبها في الأودية من الهواء.

وبالجملة، فما دخلنا القدس إلا بعد الغروب، وتفرقنا فلا يلوي أحد منا على أحد ولا والد على ولد، وصرنا من أول النهار إلى آخره في ماء واصل إلى الأبدان لم تدفعه كثرة الثياب الثقيلة، فلا حول ولا حيلة. ولما أردنا تغييرها في القدس لم نستطع خلع بعضها إلا بشقّ الأنفس أو شقّ الأنفس. ومكث ما كان معنا من الفرش والغطاء منشوراً مدة من الأيام ولا يجف. ومضت علينا أيام الموسم ونحن من كثرة الأرياح في المساء والصباح وتراكم الغيث الغزير المدرار آناء الليل وأطراف النهار، لا نستطيع الوصول إلى الحرم إلا في بعض أوقات إذا حصلت في ذلك الحال فترات.

- ٩ -

عنوان الكتاب :-

سورية والعهد العثماني

المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ت.

المؤلف :-

يوسف الحكيم

(كان المؤلف قاضياً في القدس سنة ١٩١٠).

يحتفل المسلمون في القدس والقادمون إليها من سائر فلسطين والبلدان العربية والاسلامية بزيارة مقام النبي موسى، شرقي القدس، على مسافة نهار مشياً على الأقدام، بأهازيج وأدعية وابتهالات وراء رايات واعلام موشاة بآيات كريمة وأحاديث شريفة، في نفس الاسبوع الذي يحتفل فيه المسيحيون بعيد الفصح المجيد، حين تكون فلسطين ولاسيما مدينة القدس قبلة الزوار من جميع أقطار العالم.

وفي نيسان عام ١٩١٠، سار الموكب العظيم كسابق العرف يوم الجمعة من المسجد الأقصى إلى مقام النبي موسى، على أن يعود في نهاية الاسبوع بنفس الاحتفالات. وقبل عودته، طرأ على مسامع من في القدس ما لم يكن في الحسبان، مما يجده القارئ في البحث التالي.

ص ١٩٨

قبل أن يعود موكب النبي موسى إلى القدس، شاع خبر قيام بعثة أثرية بريطانية سرّاً حفريات في حرم المسجد الأقصى وتحت قبة الصخرة المشرفة، حيث كان يدخل عمال

البعثة الفنيون، بعد سابق الاتفاق مع شيخ الحرم، حوالي الساعة العاشرة ليلاً، حين تكون الأبواب الخارجية مغلقة ويحفرون مدة أربع أو خمس ساعات، يعيدون بعدها سطح الأرض إلى حالته الأصلية. وقد ثابرت اللجنة على عملها الليلي شهراً من الزمن، إلى أن ظفرت بضالتها المنشودة وهي سيف وأواني ذهبية يرجع تاريخها إلى عهد الملك سليمان الحكيم.

وشاع في الوقت نفسه أن الوزارة العثمانية هي التي أجازت لهذه اللجنة القيام بمهمتها الأثرية واتخذت الحكومة المحلية التدابير المقتضية لاتمامها سراً، بعد الانعياز إلى مديرية الأوقاف وشيخ الحرم.

ولما كان لكل معارضة في ظل الحكم الدستوري شأن يجعلها تغتنم الفرص لاثارة الشعب ضد القائمين على الحكم، ولا سيما إذا كان هنالك ما يمس المشاعر الدينية، لذلك انتشرت الاشاعة في المدينة بسرعة البرق ووصلت إلى مسامع موكب النبي موسى، فانقلب فور عودته إلى القدس إلى تظاهرات وهتافات عدائية عارمة على أولياء الأمر صغارا وكباراً. ولكن الحكومة، التي تجلّى موقفها بعزم رئيسها عزمي بك وحزم قائد الدرك والأمن العام سامي بك وحسن تدبيرهما، تمكنت من الحيلولة دون تفاقم الشر واضطراب جبل الأمن. فأحالت شيخ الحرم وغيره من صغار الموظفين إلى لجنة التحقيق، الذي لم ينته إلا بعد أن استقر الهدوء وعادت السكينة إلى المدينة وعاد كل شيء إلا الآثار المكتشفة إلى مجراه الطبيعي. وكما أثار هذا الحادث هجوم المعارضة في المجلس النيابي، أثار أيضاً حفيظة المتعصبين للدين ضد أولياء الأمور وضد البعثة الأثرية ومتبوعها بريطانيا العظمى ولكن بدون جدوى، لأن الحكومة القائمة لم يعسر عليها إفهام الشعب أن التنقيب عن كل هذه الآثار قد ينفع البلاد من الوجهات العلمية والثقافية والاقتصادية دون أن يكون له أي مساس بالشعائر الدينية.

- ١٠ -

عنوان المقال :-

كيف ومتى بدأ موسم النبي موسى عليه السلام

الكاتب :-

عبدالله مخلص المتوفى سنة ١٩٤٧ - مجلة هنا القدس العدد ٦ السنة ٣، ٢٩ آذار ١٩٤٢، ص ٦

بمناسبة المناداة بعد صلاة الجمعة من اليوم الثالث من شهر ربيع الأول سنة ١٣٦١ الموافق ٢ مارس سنة ١٩٤٢ في المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، بأن

اسبوع الزيارة السنوية المعتادة لمقام كلیم الله سیبداً في يوم الجمعة القادم رأينا أن ندون بهذه العجالة ما عرفناه عن هذا الموسم الإسلامي الكبير الذي يجري دائماً في الاسبوع الذي يسبق عيد الفصح عند الروم الاثوذكس ويقع عندهم في خلاله خميس الغسل والجمعة العظيمة ثم يعقبها سبت النور وأحد الفصح المجيد.

ونرجح أنه من وضع السلطان العظيم صلاح الدين يوسف بن أيوب ، لأن زيارة نبي عظيم من أولي العزم مثل سيدنا موسى عليه السلام مما يبهج المسلمين ويثلج صدورهم ويحملهم على شد الرحال اليه .

ويظهر أن السلطان صلاح الدين الذي قضى حياته مكافحاً منافحاً لم يجد فرصة لوضع الخطط التي تؤمن بقاء ذلك الموسم وتساعد على استمراره على مر السنين ومر الدهور فجاء السلطان الظاهر بيبرس بعد مضي تسع وسبعين سنة من وفاة السلطان صلاح الدين وبنى القبة والمسجد على ضريح سيدنا موسى عليه السلام الذي يقع في نشز من الأرض بين بيت المقدس وأريحا ووقف على إطعام الطعام لزواره إبان موسم الزيارة من كل عام من الأوقاف ما كفى ريعه لدوام المأثرة الخالدة إلى الآن وما سيكفي الاستمرار عليها في قابل الأيام . وكان بناء القبة والمسجد ووقف الأوقاف على مصالح المقام في أواسط شهر رجب سنة ٦٦٨ الهجرية الموافقة لسنتي ١٢٦٩ - ١٢٧٠ الميلادية . فكان عمل السلطان الملك الظاهر أجدى نفعاً وأبقى على وجه الدهر.

ومما هو حري بالتدوين ان الملك الظاهر بيبرس نصب الشيخ الشريف عبدالله بن يونس متولياً على الضياع والعقارات التي وقفها . وهذا الشيخ هو الجد الأعلى لآل يونس الحسيني الذين لا يزالون يقومون على الولاية والخدمة بالمقام الشريف الكليني .

ولعل الشيخ الشريف هو عبدالله بن يونس الارموي الوارد ذكره فيما سيأتي من أقوال ابن فضل الله العمري في فصل «أقوال الجغرافيين والمؤرخين الاسلاميين» أو هو من احفاده وقد سمي باسمه فان ابن فضل الله لم يذكر لنا التاريخ الذي وجد فيه الشيخ المذكور.

- قبر موسى عليه السلام -

جاء في صحيح البخاري في باب وفاة موسى وذكره «الجزء ٤ ص ١٦٤»: حدثنا يحيى بن موسى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ارسل ملك الموت الى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه . فرجع الى ربه فقال

أرسلني الى عبد لا يريد الموت . قال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بها غطت يده بكل شعرة سنة قال أي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالآن قال فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر . قال أبو هريرة فقال رسول الله ﷺ لو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر . أ . هـ .

قال علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفي في سنة ٣٤٦هـ - ٩٥٧ - ٩٥٨م . في كتابه التنبيه والاشراف .

«ومات موسى عليه السلام في أرض مؤاب ودفن في الوادي منها .»

وقال محمد بن احمد البشاري المقدسي المتوفي بعد سنة ٣٧٥هـ - ٩٨٥ - ٩٨٦م . في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم .
«وباقليم الشام قبر موسى عليه السلام» .

وقال علي بن الحسن الهروي المتوفي سنة ٦١١هـ . ١٢١٤ - ١٢١٥م . في كتابه الاشارات الى معرفة الزيارات .

«بلد مأب» به قرية يقال لها سيحان بها قبر ينزل عليه النور ويراه الناس وهو على جبل ويزعمون أنه قبر موسى بن عمران عليه السلام وهو على جبل هناك» .
وقال أيضاً :

«أريحا : قرية بها قبر ذكروا أنه لموسى بن عمران عليه السلام . وورد أن أريحا هي مدينة الجبارين المذكورة في القرآن» .

وقال ياقوت الحموي المتوفي سنة ٦٢٦ هـ . ١٢٢٨ - ١٢٢٩م . في كتابه معجم البلدان . «سيحان : قرية من عمل مأب بالبلقاء يقال بها قبر موسى عليه السلام وهو على جبل هناك»

وقال أيضاً :

«شيخان : جبل مشرف على جميع الجبال التي حول المقدس وهو الذي أشرف منه موسى عليه السلام . فنظر إلى بيت المقدس فاحتقره فقال يا رب هذا قدسك فنودي أنك لن تدخله .»

قلنا ويظهر أن ياقوت الحموي اشتبه عليه وجه الصواب بين سيحان بالمهملتين وشيخان بالمعجمتين فظنها قرية وجبلا . وهو يعذر في ذلك لأن الكلمات في عصره قل ما كانت تعجم حروفها لاعتقاد المعرفة بها فالسين تقرأ شيئاً والحاء خاء وبالعكس ، بيد أن

الجبل المطل على القدس والذي يفصله عنها البحيرة المتتنة ونهر الأردن بل قل الجبل المشرف على مقام الكليم بين بيت المقدس وأريحا فيه قبر يقال له قبر النبي موسى .

وقال أحمد بن يحيى العمري الشهير بابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٨هـ .
١٣٤٧ - ١٣٤٨ م . في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار :

«قبر موسى بن عمران عليه السلام بالقرب من أريحا وتعرف القرية بشيخان : رأيت بخط علاء الدين ابن الكلاس ما صورته : قال الشيخ ابراهيم ابن الشيخ عبدالله بن يونس الأرموي عن والده قال :

زرت قبر موسى عليه السلام الذي بالقرب من أريحا وكان اذ ذاك لم تبين عليه قبة ولا مشهد . قال فقلت في نفسي اللهم أرني ما ازداد به يقيناً في صحة هذا القبر . قال فبينما أنا نائم رأيت كأن القبر انشق وخرج منه إنسان طوال قال فجئت اليه وسلمت عليه وقلت له من أنت؟ قال موسى بن عمران وهذا قبري وأشار إليه ثم قعدنا . وإذا بالقرب منا رجل يطبخ في قدره فلما استوى طعامه أحضره إلينا وإذا شورباء ارز فأكل موسى عليه السلام منها ثلاث ملاعق وأنا ثلاث ملاعق ، والرجل ثلاثاً . ثم تداولناها بيننا الى أن فرغت .

قال الشيخ عبدالله وكنت على عزم العودة الى بلاد العجم فقال لي موسى عليه السلام أنت لا تسافر إلى شيخك وكيف تسافر؟ وانت تريد أن تتزوج بامرأة من نسل الرسول وترزق منها أربعة أولاد وأقام الشيخ ابراهيم اصابع يده اليمنى الأربعة وختم الابهام إلى باطن كفه يحكيه .

قال الشيخ ابراهيم فكان كما ذكر موسى عليه السلام فلم يسافر والدي وتزوج بامرأة شريفة هي أمي . ورزق أربعة أولاد أنا أحدهم ولما حضرته الوفاة قلت له يا سيدي : أنت راض عني؟ فقال كيف لا أرضى عنك وقد بشرني بك موسى عليه السلام» .

هذا ما ورد عن قبر موسى عليه السلام القريب من أريحا قبل بناء القبة والمسجد عليه . أما بعد ذلك فقد ورد في كتب المؤرخين ما يلي :

قال محمد بن أحمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤هـ . ١٣٦٢ - ١٣٦٣ م . في كتابه فوات الوفيات في ترجمة الملك الظاهر بيبرس بعد ذكر ما جده بقبة الصخرة وأنشأه من العمارات في بيت المقدس :

«وبنى على قبر موسى عليه الصلاة والسلام قبة ومسجداً وهو عند الكثيب الأحمر يقف عليها وقفاً» .

وقال عبد الرحمن بن محمد بن مجير الدين العليمي الحنبلي المقدسي المتوفي سنة ٩٢٧ هـ - ١٥٢٠ - ١٥٢١ م.

«اختلف الناس في محل قبر موسى عليه السلام فقليل وهو المشهور عند الناس إنه شرقي بيت المقدس وبينه وبينها مرحلة ودربه عسر لكثرة الوعر وعليه بناء وداخله مسجد وعن يمينه قبة معقودة بالحجارة وفيها ضريحه ويوضع على قبره في أيام موسم زيارته ستر من حرير أسود وعلى الستر طراز أحمر مزركش دائر على أطرافه بالذهب والأكثرون على أن هذا قبره . وفي الصحيح أن النبي ﷺ مر به ليلة الإسراء وهو قائم يصلي في قبره عند الكتيب الأحمر.

والذي بنى القبة المذكورة هو الملك بيبرس رحمه الله عند عودته من الحج وزيارته بيت المقدس في سنة ٦٦٨ ثم بنى بعده أهل الخير وزادوا زيادات في المسجد وحوله فحصل النفع بذلك للزائر ثم في سنة ٨٧٥ وسع داخل المسجد من جهة القبلة ولم تكمل عمارته إلى سنة ٨٨٥ ثم بني به منارة بعد سنة ٨٨٠.

وهذا المكان من أريحا الغور من أعمال بيت المقدس وأهلها يقصدون زيارته في كل سنة عقب الشتاء وقيمون عنده سبعة أيام».

كيفية اجراء الموسم

قبل المباشرة بزيارة مقام الكليم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم بأسبوع واحد ينادي في المحكمة الشرعية ببيت المقدس بعد صلاة الجمعة على أن أسبوع الزيارة سيبدأ في يوم الجمعة القادم ليستعد الناس إلى الزيارة وليخبر الحاضر الغائب، ويحضر حفلة المناداة هذه ممثلو الحكومة والمجلس الاسلامي الأعلى وإدارة الأوقاف والعلماء والأعيان.

وفي يوم الجمعة التالي بعد أداء الصلاة يخرج المصلون من المسجد الأقصى بالتهليل والتكبير لتشجيع الرعيل الأول من الزوار وهم السادة الحسينية واليونسية من متولي وقف النبي موسى عليه السلام وعددهم ثمانية، ومعهم علم النبي موسى وعلم النبي داود وعلم المسجد الأقصى وأعلام مشايخ الطرق ويسرون في الموكب إلى أن يصلوا إلى باب الناظر، ويسمى اليوم باب المجلس الاسلامي - وهناك يمتطي بعض المتولين ظهور الخيل المعدة لركوبهم فيخترقون مع الركب محلة الواد ويجتازون مخارج باب الساهرة وباب حطة المقابلة لأبواب المسجد الأقصى وباب الاسباط ثم ينحدرون في الطريق المؤدي إلى أريحا. وبجوار قرية سلوان موضع يقال له راس العامود تكون البلدية قد أعدت فيه نخيلاً للاحتفاء بهذا الموسم

السعيد فينزل الركب فيه وتدار على الجصور أكواب المرطبات ، ثم يستأنف الركب سيره إلى مقام الكليم بعد توديعه من قبل ممثلي الحكومة والبلدية والعلماء والأعيان الذين يكونون قد دعوا لشهود هذه الحفلة خصيصاً .

وقد كان الركب قبل تعييد الطريق يركب الخيول المطهمة أما الآن فهم يمتطون السيارات يصلون إلى المقام بأقل من ساعة واحدة ، بالرغم من أنهم يسرون سيراً وثيداً لكثرة ما في الركب من الناس وما يحصل من تراحم الأقدام .

أما في السنوات الأخيرة وللحالات الطارئة فان مراسم التشيع قد اقتصر فيها على خروج الركب من باب الاسباط ثم السير مباشرة إلى المقام ، اذ لا تنصب الخيام في المكان المعهود . وتستمر الزيارة مدة ستة أيام بلياليها يطهى فيها في المطابخ المتعددة أنواع الأطعمة وتقدم إلى الزائرين بالمجان ويبعث من يريد المبيت في الغرف العديدة الموجودة بالمقام كما يقيم من يشاء من الزوار في هذه الغرف أيام الموسم جميعه . وتجذب الكثيرين من بيوتات بيت المقدس ينقلون ما يحتاجون إليه من الأمتعة والفراش والأثاث إلى غرف المقام ويقضون أيام الموسم بها ثم يعودون الى دورهم بعد انقضاء الموسم .

وكان عدد زائري المقام يبلغ الألوف في كل موسم .

وريع أوقاف سيدنا موسى عليه السلام السنوي نحو سبعمائة وخمسين جنيهاً تنفق في هذا السبيل ، وقد لا تكفي احياناً فتضطر ادارة الأوقاف إلى تأمين الزيادة .

وفي اليوم السابع الذي هو يوم الخميس يعود الركب من نفس الطريق التي سار فيها إلى المسجد الأقصى وعند وصول الركب إلى محلة الواد يؤخذ علم النبي موسى من قبل السادة الحسينية إلى دار نقابة الاشراف حيث يحفظ فيها للموسم القادم .

وفي يوم الجمعة بعد أداء صلاتها يحتفل المصلون بعلم النبي داود وعلم المسجد الأقصى بالتهليل والتكبير حيث يطوى العلم الأخير ويحفظ في المسجد المبارك ، ويؤخذ علم النبي داود من قبل حملته إلى مقام النبي المشار إليه ويطوى أيضاً هناك . وهكذا ينتهي هذا الموسم الذي كان للملك الظاهر بيبرس الفضل الأكبر والأثر الأحسن في احيائه وإدامته مئات السنين بهذا الوقف الذي اجراه في هذا السبيل . أثابه الله عداد حسناته وأعاده هذا الموسم على المسلمين والعرب وهم أحسن حالا وأهدأ بالا .

عنوان الكتاب : -

- من تاريخنا

(المجموعة الرابعة) ، عمان ١٩٧٨ .

المؤلف : -

محمود العابدي .

موسم النبي موسى^(٩)

كان عرب فلسطين يجدون في موسم النبي موسى متنفساً يستعيدون فيه ذكريات الماضي ، فيحملون السيوف والطبول ويرفعون الاعلام ويدقون المزاهر ويلعبون بالتروس وينشدون الأناشيد الدينية والقومية ، وتتغنى نساؤهم بالأهازيج التي منها .

العرس ما هو فرحة	ولا طهور الصبيان
ما فرحة الا زيارة موسى	عليه الصلاة والسلام
لولاك يا موسى	ما جينا ولا تعبنا وتعنينا
ولا دهسنا الحصى	ولا الرمل باجرينا
مسيك بالخير يا موسى	يا موسى بن عمران
يا ساكن الغور	وبلاد حوران

بمثل هذه الأبيات من الأهازيج يحيي زوار مقام الكليم - هذا النبي الكريم عندما يسعون اليه . وقد تحسنت اليوم الطرق والمواصلات فصار الزائر يصل في ساعة زمنية إلى هذا المقام البهي - بعد أن كان يسير اليه مدة النهار بأكمله .

يقع موسم كليم الله في الربيع - وتشترك فيه جميع طبقات الشعب على مختلف مشاربها ، فيؤمه الزوار من جبل القدس والخليل ونابلس ، وحتى من حيفا وعكا ، وتعد الجماهير بالألوف ، ومدة الموسم سبعة أيام ، يقضي أولها وآخرها في القدس والخمسة الأخرى في ظل المقام ، الذي يبعد مسافة سبعة كيلومترات عن بلدة أريحا في الغور . وهو قبلي الطريق المؤدية إليها ، ويشير المارة إلى الكثيب الأحمر ، الوارد ذكره في الحديث الشريف .

(٩) كتب العابدي هذا المقال في جريدة الجهاد سنة ١٩٤٥ .

ص ١٠٩

ولا بدَّعَ أن أيام الموسم من أبهج أيام السنة على الزائرين - فالسرور سائد، والسلام
نخيم، والطقس لطيف، ومجلبات اللهو والطرب البريء ليست بقليلة. فهناك توفي النذور
وتطهر الصبيان وتغني الأهازيج مع الرقصات البلدية وفي مقدمتها السحجة على أنواعها
السبعة. وكان فيما مضى عدد أصحاب الطرائق الصوفية أكثر مما هم عليه الآن - وكذلك
تنظيم الجماعات حسب انتسابهم بها إلى مدن وقرى - حتى وإلى الصنائع التي يقومون بها -
كالأساكفة والدباغين - والكل في ضيافة النبي موسى

ص ١١٠

ويقدم قيمو الوقف الطعام الجيد بكثرة في ساعات معينة. وهم لا يألون جهداً في
خدمة الزوار وترفيههم واحلالهم محل الإكرام. وعند ختام الموسم تتقدم الاعلام المختلفة
سيارات الزائرين وهم ينشدون :

يا زوار موسى	زوروا بالتهليل
زنا النبي موسى	عقبال الخليل
يا زوار موسى	زوروا بالععدة
زنا النبي موسى	عقبال الحجة

لكن اليوم الأكبر في المدينة^(١٠) كان يوم زفة بريق النبي موسى - في ذلك اليوم يتقاطر
رجال القرى إلى المدينة ليشاركوا في الزفة - فيه يخرج رجال الطرق الصوفية أعلامهم من
زواياهم ويزفونها في الشوارع مبتدئين من حارة الغرب ومنتھين بحارة الشرق (في نابلس)
وهم يضربون العدة من طبول ومزاهر ويذكرون الله كثيراً. وفي المساء يودعونها دار البلدية.

وفي صباح اليوم التالي يخرجون بها إلى القدس راكبين الجياد - التي أبدلت بعد الحرب
الأولى بالسيارات التي تستأجرها البلدية لهذه الغاية - يرافق الاعلام عدد من شبان المدينة
باشراف عدد من مشايخ الشبان اعرف منهم صدقي شبارو وسبع العقاد وأسعد بلعوط
وحامد الشخشير وحسن الشتير (رحمهم الله جميعاً) كما يرافقهم قوال كان آخر من عرفته بائع
السوس الحاج محمد الخراز المشهور بأقواله التي تحمس الشبان. فاذا تجاوز الموكب قرية
شعفاط خرج لاستقباله شبان القدس بأعلامهم وعددهم - وبعد تبادل التحيات يسير

(١٠) أي نابلس .

الموكب الموحد إلى الحرم الشريف . . وبعد يومين تخرج اعلام القدس وأعلام نابلس إلى قرب المحطة في جنوب القدس حتى يستقبلوا مواكب الخليل . فاذا وصلوا وتبادلوا التحيات والتمنيات تقدموا نحو الحرم بهذا الموكب الضخم .

أول موسم شهدته كان في ربيع سنة ١٩٢٤ . بعد صلاة الجمعة ركب المفتي (الحاج امين الحسيني رحمه الله) حصانه من ساحة الحرم الشريف تحف به كوكبة من فرسان البوليس وقد تجمع حوله مئات - ثم أصبحوا ألوفاً من الشبان والشيخو بأعلامهم وطبولهم وهم يذكرون وينشدون وهبط الموكب الوادي وتسلق الجبل حتى رأس العمود فوق سلوان بعد مسير متند دام أربع ساعات . ومن هناك لفت الاعلام وامطى الموكب السيارات - وعاد المشيعون الى القدس وعدت معهم .

كان الأقدمون يعتبرون نيسان شهر تجدد الحياة بحلول فصل الربيع فاهتموا به غاية الاهتمام ، حتى شريعة حمورابي حثت قبل الميلاد بألفي سنة على تخصيص يوم من أيام نيسان يجز فيه الرعاة أصواف أغنامهم ثم يحتفلون بجز أصوافها لتخفيف حدة الحر المقبل عليها .

واني ما زلت اذكر كيف كان رعاة أغنام قريتي يتجملون بأفخر الملابس وأبهجها وينزلون إلى المدينة ليلتقوا بزملائهم رعاة القرى المجاورة وقيموا حلقات الدبكة على أنغام المجوز - وتجري بينهم المسابقات لكسب الأولوية في هذا الميدان وكان أهل المدينة يتمتعون بهذه المظاهر أيما متعة .

وكان يرافق حلقات الدبكة (المطاقشة بالبيض) يضرب أحمد بيضته على سنه ويراهن محموداً على أنها أصلب من بيضته . ثم يتبادلان (التطقيش) ومن كسرت بيضته فانه المغلوب ويستولي عليها المنتصر . وقد يجمع أحدهما عشرات البيض المكسر ، بهذا النوع المسكوت عنه من القمار .

وغالباً ما كان يسلق البيض مع ورق البصل أو الخبيزة أو . . . كسباً لصباغ جديد يمتاز به بيض الموسم . . . عيد البيض عيد اوزيروس وايزيس ورع ، منذ أيام الفراعنة ، عيد إخراج الحي من الميت ، عيد قيامة المسيح من قبره ، العقيدة الأساسية في المسيحية .

وتكون المدينة قد قامت بصنع حلاوة الموسم - من سكرية وجوزية وقرعية وجزرية . يشتريها الناس تحلية لأفراد الاسرة ولجبر خواطر العواقب وصلة الأرحام ، كل يرسل إلى ذات رحمه مقداراً منها فتفخر بها أمام أهل زوجها ويفرح أطفالها بهدية جدهم أو خالهم . . انها عادات كانت تراعى بدقة تامة - ويذكرها الناس حتى يدور الحول .

وفي القرى هناك ما يسمى بشهر الخميس - تطبخ القروية الحليب بالأرز (البحتة) أو بالنشاء (الهيطلية) وتعمل الكعك والمسفن (فطير بالزيت يحلى بالسكر أو الدبس أو العسل) لتأخذه يوم الخميس إلى الترية وتوزعه عن أرواح الموتى . وتبقى الخمسين مدة شهر كامل - ومن أعيب العيوب على قروي أمام مواطنيه أن لا يقوم بتأدية هذا الواجب .

في ثاني يوم استأجرنا الدواب من أهل سلوان - كل دابة بخمسة عشر قرشاً . وكان يسوق عدداً منها شاب يلهب ظهورها بعصاه حاثاً لها على الاسراع وبعد أربع ساعات وصلنا إلى مقام موسى الكليم (المسافة ٣٢ كم) وسرعان ما عاد بها أصحابها ليقوموا بمشوار ثان في اليوم الواحد .

بدأنا الوضوء من ماء الآبار المتوفرة بكثرة وتقدمنا لأداء التحية للمسجد وتحية صاحبه كليم الله موسى عليه السلام ، وأكثرنا من الصلوات وراء كل امام تقام الصلاة خلفه - طمعاً في الأجر والثواب .

وعند الظهر سكبوا الأرز المسلوق على الحصر وكانت عرمة كاهرم يغرف منها من يشاء بالقدر الذي يشاء ثم جيء بقدرور اليخنة من الباذنجان والكوسا والبندورة مع اللحم بشكل وافر وتحلقنا حوالي الصواني والبواطي والصدورة لتأكل بشهية من جهة ومن شدة الجوع من جهة أخرى وقد حمل الرجال إلى عيائهم الذين يحتلون الغرف الكثيرة ما فيه الكفاية وزيادة . وجرى مثل ذلك عند العشاء . بعد صلاة المغرب وبعد العشاء بدأت حلقات الذكر ودق الكؤوس التي طمعنا فيها حتى وهن من الليل .

وفي ثاني يوم زرنا قبر حسن الراعي الذي تقول الرواية إنه شاهد المكان الذي توفي فيه موسى عند الكثيب الأحمر وكان سيباً في تعيين هذا المكان بالذات وهناك مزارات لم نقصر في زيارة واحد منها .

وفي ثالث يوم عدنا ولكن بعشرين قرشاً للركوبة لأن طريق العودة تكون ، صعوداً ، والبعض تأخر هناك إلى نهاية الاسبوع والعودة مع الاعلام .

وبعد انقضاء الاسبوع خرجنا إلى رأس العمود لاستقبال الموكب الذي استمر في سيره الوئيد حتى قبيل غروب الشمس حينما وصل إلى الحرم الشريف . وفي ثاني يوم خرجت المواكب لوداع علم نابلس وفي ثالث يوم خرجوا لتوديع علم الخليل وبذلك يكون الموسم قد انتهى - ويكون الافرنج قد فرغوا من زيارتهم في عيدهم الأكبر وغادروا البلاد عائدين إلى بلادهم في أوروبا وارتاحت البلاد مما قد يكونون بيتوه لغدر واغتصاب .

فاذا عاد (المقدس) إلى بلده جاء الناس بسلمون عليه . ولا بد من الهدايا وكان أهمها للبنات والصبيان خواتم وأساور وغويشات من زجاج الخليل ومسابيح للرجال وشقف من الملبن الخليلي الذي كان ذا دلالة معنوية ولاسيما ما فيه من حب قریش ، ان لم يكن من الصنوبر.

لقد أمضيت في القدس طالباً بدار المعلمين أربع سنوات (أيلول ١٩٣٣ - تموز ١٩٢٧) كنت خلالها حريصاً على حضور مراسم الاحتفال بموسم النبي موسى والاشتراك على الأقل في إنشاد الأناشيد ، فأشعر بحماسة منقطعة النظير لأننا كنا ننشد أشعار ثورة العرب وهبتهم لطلب الاستقلال وحياء لغتهم وأمجادهم منها :

شَبَّوْا عَلَى الْخَصْمِ الْلُدُودِ	نَارِ الْوَعْيِ ذَاتِ الْوَقُودِ
نَحْنُ الْأُولَى فَتَحُوا الْبِلَادِ	دَانَتْ لَنَا كُلَّ الْعِبَادِ

ومنها :

يَا أَيُّهَا الْعَرَبُ الْكَرَامِ	إِلَى مَتَى أَنْتُمْ نِيَامِ
هَبُوا إِلَى الْمَوْتِ الْزَوَامِ	وَامْشُوا لَهُ مَشْيَ الْأَسُودِ
كُنْتُمْ مَلُوكاً لِلوَرَى	تَحْشَاكُمْ أَسَدُ الشَّرَى

ومنها :

خَضَبُوا الْأَرْضَ بِسَدَمِ	فَالْعِدَا خَانُوا الذَّمَمِ
وَإِذْكُرُوا مَاضِيَ الشَّمَمِ	وَاجْعَلُوا الْبَيْضَ حَكَمِ

ومنها :

يَا بَنِي الْأَوْطَانِ هَبُوا	مَنْ رَقَادٍ مُسْتَدِيمِ
وَاطْلُبُوا الْمَجْدَ وَلَبُّوا	دَعْوَةَ الْعِظَمِ الرَّمِيمِ

ومنها :

نَحْنُ خَوَاضُو غَمَارِ الْمَوْتِ	كَشَافُو
نَبْذِلُ الْأَرْوَاحَ نَفْدِيهَا	لَا حِيَاءَ الْوَطَنِ
هَلْ سِوَى الْأَرْوَاحِ لِلْأَوْطَانِ	فِي الدُّنْيَا ثَمَنِ
يَا ضِلَالِ الْأَلَى - لَمْ يَكُونُوا الْفِدَا	أَنْ نَمْتَ نَحْنُ - فَلْتَحْيِ أَوْطَانَنَا

ومنها :

نحن جند الله شبان البلاد نكره الذل ونأبى الاضطهاد
فارفعوا الاعلام وامشوا للجهاد حيث اعدانا تمادوا في الغرور

ومنها

لغة العرب اذكريننا وانديبي ما فات
كيف ننسأك وفيينا نسمة الحياة

إلى قولهم :

يا ليوث الوغى خصمنا قد طغى
فلنمت كلنا في سبيل الوطن

ومنها :

يا بني الشام ومصر وبني العراق
هل نسيتم ذكر عصر طبق الأفاق

ومنها :

سيروا للمجد طرا سيروا للحرب واستعيدوا بالمواضى دولة العرب

وكان البعض يقوم بختان أبنائه في هذا المكان المبارك ويوفي نذوره السابقة، كما يقوم بتقديم الصدقات للمحتاجين.

كنا نلاحظ أن عدد النساء كان يربو على عدد الرجال، وكن يملأن جنبات قبة الصخرة والمسجد الأقصى في حلقات حول شيوخ كلفنهم بقراءة موالد تهدي للأموات، مقابل أجر يعيش منه هؤلاء الذين انقطعوا للعبادة في جوار بيت المقدس.

وفي الأروقة وفي المداخل كانت تقام أسواق ناشطة في البيع لجميع أنواع المطلوبات من طعام وكساء وهدايا، فالمواسم للدين والدنيا.

عنوان الكتاب : -

شمسنا لن تغيب

ج ١ ، أنغام الحياة ، الكويت ، مطابع القبس التجارية ١٩٨٨ . ص ٣٩ - ٦٢

المؤلف : -

الدكتور صبحي سعد الدين غوشة .

النبي موسى

جماهير شعبنا الفلسطيني اغتنمت كل مناسبة للتعبير عن «شعورها» الوطني وتطلعاتها وطموحاتها في الأعياد الدينية، والمناسبات الاجتماعية مثل الأفراح والختان «الطهور» وغيرها . وأهم هذه المناسبات كانت «المواسم» ، وهي مناسبات «وطنية» بدأت منذ عهد صلاح الدين الأيوبي، وكان الهدف منها تجميع المواطنين في مناسبات وطنية ومهرجانات شعبية لتوثيق عرى المودة والتواصل بينهم بعد أن جثم الاحتلال الغربي الاستعماري المتستر باسم الدين على صدورهم طوال قرن من الزمان واستطاع أن يبعثر قواهم ويشتت وحدة صفوفهم . وقد فسر البعض إقامة صلاح الدين لهذه المواسم بأنها لجمع شمل المسلمين في مناسبات يحتفل فيها المسيحيون بأعيادهم ، وخاصة موسم النبي موسى حيث يتزامن مع عيد الفصح ولكن هناك مناسبات أخرى لا تتزامن مع مثل هذه الأعياد ولذلك لا يمكن تفسير هذه المناسبات على هذا الشكل .

وقد فسر البعض تزامن النبي موسى مع عيد الفصح بأنه هدف إلى مشاركة جميع المواطنين مسلمين ومسيحيين بالاحتفالات في هذه المناسبة وعدم اقتصارها على طائفة دينية معينة بحيث تثير الحزازات والاختلافات وخاصة أن مناسبة عيد الفصح مناسبة كبيرة عند المسيحيين ولها طقوسها التي تمتد عدة أيام . وشخصياً أميل إلى هذا التفسير فقد عاصرت الاحتفالات بموسم النبي موسى في القدس ولم أشاهد أو اسمع عن أي خلافات أو حزازات أو مشاجرات تستحق الذكر بين المسلمين والمسيحيين في هذه المناسبة .

أهم الاحتفالات أو «المواسم» كانت موسم «النبي موسى» في القدس «والنبي روبين» في يافا و«النبي صالح» في منطقة الرملة وغير ذلك من مناسبات «الأنبياء» في مختلف

أرجاء فلسطين . وحاولت العثور على تفسير لاقامة هذه الاتفالات حول مقامات «لانباء» يهود ولم أجد . وارجو أن يقدم المختصون دراسة حول هذا الموضوع .

موسم «النبي روبين» كان في شهر أيلول ، يبدأ في أول الشهر الهجري الذي يأتي في شهر ايلول وينتهي بنهاية ذلك الشهر الهجري ، وكان مناسبة دينية ووطنية ورياضية وفنية وغير ذلك ، فقد كان سكان المناطق الساحلية - وخاصة يافا - والرملة واللد يقيمون المخيمات هناك وتجري فيها احتفالات دينية بقراءة الموالد وختم الختمة وغيرها ، ثم تجرى مسابقات الخيل والفروسية وكانت عدة فرق غنائية تقيم حفلاتها الغنائية والموسيقية هناك طوال الشهر - بحيث أصبح موسم النبي روبين مهرجاناً متنوعاً فيه كل أنواع المتع - وأصبح الذهاب اليه مطلباً ملحاً لدى كثير من العائلات بحيث انتشر القول الشائع والمطلب الذي تطلبه النساء هو «روبي أو طلقني» أي «خذني إلى روبين أو طلقني» .

بالرغم من كل البهجة والتجمع الوطني لمعظم هذه المواسم فان موسم النبي موسى كان يختلف عنها جميعاً فقد أخذ طابعاً وطنياً خاصاً إثر الاحتلال البريطاني لفلسطين ١٩١٨ . وقد كان موسم ١٩٢٠ نقطة انطلاق وطنية متميزة . ففي هذا العام بالذات جرت الاحتفالات ضمن نهوض ثوري عاشته البلاد تجاوباً مع الحركات الثورية العربية ، وقد تزايد السخط الشعبي خاصة بعد منع السلطات البريطانية عقد المؤتمرات الوطنية وبعد تصريحات سلطات الانتداب البريطاني بالتمسك بوعده بلفور وتشجيع الهجرة وقيام حركة الاستيطان الصهيونية بتوسيع مستوطناتها والتحرش بالعرب في القدس ويافا وحيفا بشكل خاص وبالمدين والقرى الفلسطينية بشكل عام .

وفي موسم النبي موسى كان سكان مختلف المدن والقرى الفلسطينية كالعيزورية والطور وسلوان وأبوديس والعيسوية وقرى عديدة اخرى يتوافدون على القدس بأيام معينة وهم يحملون البيارق والأعلام المختلفة وينشدون الأناشيد الوطنية المختلفة . وفي ذلك العام في الرابع من نيسان ١٩٢٠ وصل أهالي الخليل إلى القدس . وكان أهل الخليل يصلون إلى القدس سيراً على الأقدام أو في العربات «الكروسة» أو «الحناطير» ويعسكرون قرب باب الخليل - حول بركة السلطان ومن ثم يدخلون من باب الخليل . وفي ذلك اليوم وصل موكب الخليل ومن شرفة «النادي العربي» ألقى فيهم كل من موسى كاظم الحسيني والحاج أمين الحسيني وعارف العارف وغيرهم ، خطباً سياسية ألهمت حماس الجماهير وفجرت سخطها وما كادت الجماهير تصل إلى باب الخليل حتى تصدت لها القوات البريطانية وكان معظم هذه

القوات من الجنود «السيخ» الهنود الذين كانوا يشاركون في الجيش البريطاني وحدث تصادم بينهم ولكن «آثرت» السلطات البريطانية عدم تصعيد الصدام وفتحت لهم الطريق -ولكن المؤامرة التي رسمها الأعداء لضرب هذا التحرك الجماهيري الشعبي تمت بطريقة أخرى فتم تحرش من قبل بعض اليهود وقيل إن قبلة وضعها المندسّون انفجرت أثناء المسيرة- فثارت نائرة الجماهير مما أدى إلى الاشتباكات بين العرب مسلمين ومسيحيين من جهة والأعداء بريطانيين وصهاينة من جهة أخرى. وهاجم العرب الحي اليهودي القريب من باب الخليل مما أوقع خسائر بين الأطراف المختلفة كانت حصيلتها بعد اسبوع من الاشتباكات، مقتل أربعة من العرب وخمسة من اليهود، كما أصيب ٢١١ يهودياً وسبعة من الجنود البريطانيين و١٣١ من العرب وأصدرت المحاكم أحكاماً بالسجن ضد ٢٣ شخصاً من بينهم الحاج أمين الحسيني وعارف العارف، اللذان فرا خارج البلاد إلى شرق الأردن فدمشق.

نُحِتَ سلطات الانتداب موسى كاظم الحسيني عن رئاسة البلدية في القدس وعينت راغب النشاشيبي بدلا منه وادى هذا إلى تكريس الصراع العائلي والسياسي بين العائلتين مما كان له الأثر الكبير على الحياة السياسية والحركة الجماهيرية في البلاد. وبالرغم مما قامت به سلطات الانتداب من بطش وارهاب ومحاولة تقليص النشاطات الوطنية أثناء موسم النبي موسى وغيره من المواسم إلا أن الجماهير لم ترضخ لهذه الاجراءات. وبالعكس فانها زادت من تحديها لسلطات الانتداب ووجدت في المناسبة فرصة للتعبير عن أهدافها وشعاراتها الوطنية. ولذلك كانت الاجراءات تجري على قدم وساق قبل فترة من الموسم وكانت المدن والقرى تتنافس للاعداد لهذا الموسم كما كانت تتنافس في الوصول إلى القدس قبل الوفود الأخرى مما أدى في بعض الحالات إلى اشتباكات بين وفود المدن المختلفة وخاصة بين وفود نابلس ووفود الخليل في الدخول إلى القدس والخروج إلى النبي موسى والعودة منه ولذلك تم الاتفاق على تعيين مواعيد محددة لدخول هذه الوفود ولوصولها إلى ساحة الحرم حيث يبدأ التجمع ومن هناك تنطلق الوفود إلى مقام النبي موسى.

الاعلان عن بداية مهرجانات موسم النبي موسى كان يبدأ من القدس ويتم في «يوم المنادة» قبل اسبوع من بداية الاحتفالات حيث يبدأ «الدلالون» أو المنادون بالطواف في الشوارع وهم «ينادون» بأن الاسبوع المقبل هو أسبوع النبي موسى وعلى الجميع أن يكونوا على استعداد لهذا الموسم والترحيب بضيوف القدس ورعايتهم وأخذ الحذر من الأعداء وأخذ الحذر من السرقات ومن كل المخالفات، وكان من أشهر الدالين أو المنادين هو أبو عيد الدلال . . . والحاج أبو ندى.

بعد المناذاة يبدأ اعداد البيارق أو الاعلام وكانت هناك عدة بيارق للعائلات أهمها بirq آل الديسي وأشهرهم بirq الشيخ عاطف الديسي ، الذي كان دقيق طبل وكاس من الدرجة الأولى ، وكذلك بirq آل القزاز ومن رجالاتهم الحاج ناجي القزاز والشيخ أحمد القزاز والشيخ يوسف القزاز والحاج عمر القزاز، وهؤلاء عاشوا في البلدة القديمة في باب السلسلة في وقف آل القزاز - الحاج ناجي القزاز كان مؤذن المسجد الأقصى - وتسلم هذه الوظيفة عن والده وجده منذ العصر التركي . الحاج ناجي والشيخ داود القزاز كانا من حملة بirq القزاز وكانا مشهورين باجادة الدق على الطبل والكاس وكذلك كان هناك بirq آل العلمي ، وآل الحسيني وأهم هذه البيارق كان بirq الشباب . . وكان في عهدة الحاج أحمد الطحان «شيخ شباب» البلد لفترة من الزمان .

بirq كل عائلة كان له لون خاص ومكتوب عليه بعض الآيات القرآنية ولا أستطيع تذكر كل ألوان البيارق في القدس ولكن أذكر بirq الشيخ عاطف الديسي فكان أخضر اللون مكتوباً عليه «لا اله الا الله» وكان ينطلق من جامع الشيخ جراح حيث يحفظ هناك دائماً ، وكان يسبقه قارعوا الطبول والكاس ، و«الكاس» هو قطعتان مثل الصحون المجورة من النحاس يحملها دقاق الكاس ويضربهما ببعض بنغمات موسيقية مع دقات الطبل بحيث تخرج نغمات متناسقة يتمايل على صوتها الموكب السائر وراء البirq . أحياناً كان الشيخ عاطف يمتطي حصاناً ويسير في مقدمة الموكب وأحياناً يكون راجلاً أمام الموكب، وحملة البirq الكبير الرئيسي وعدد من البيارق الأخرى يسرون خلفه والموكب يردد الأناشيد الدينية والأهازيج الوطنية، ويتوجهون نحو دار البirq في البلدة القديمة في القدس . وكنا نسير وراء هذا الموكب ونحن صغار ثم كبار ونشارك في الأناشيد والأهازيج .

أما باقي البيارق فكان المسؤولون عنها يخرجونها من مكانها ويسرون في مواكب مشابهة ويتوجهون نحو «دار البirq» في القدس وكانت حسبها أذكر هي دار الحاج أمين الحسيني في أحد الشوارع المتفرعة من الواد ولكن بعد خروج الحاج أمين الحسيني من البلاد أصبح تجمع البيارق في القدس يتم في دار مجاورة لساحة الحرم القدسي الشريف في باب السلسلة - وأصبحت بعد انتهاء الانتداب البريطاني - وضم الضفتين ومنع مواسم النبي موسى ، أصبحت داراً للمؤتمر الاسلامي جعلناها مقراً للمستوصف الاسلامي التابع لجمعية المقاصد الخيرية في القدس .

تتجمع البيارق في دار البirq ثم تنطلق إلى ساحة الحرم القدسي الشريف تتبعها المواكب المقدسية الكبيرة وهم ينشدون الأناشيد الوطنية . ومعظم هذه الأناشيد كانت

تمجيداً للحاج أمين الحسيني رمز الحركة الوطنية في تلك الفترة :

حاج أمين عزك دام	بلبقلك شك النيشان
حاج أمين يا منصور	ويسيفك هديننا السور
حاج أمين لا تعبس	بكدك عسكر لنلبس
يا ناصر الحق المبين	انصر زعيمنا الحاج أمين
يا ربنا بالبقرة	وبالرجال العشرة
تهلك ديار الكفرة	حتى يموتوا اجمعين

إضافة إلى أناشيد أخرى مثل :

انت سوريا بلادي انت عنوان الفخامة
أو نحن الشباب لنا الغد . . ومجده المخلد .

وأناشيد أخرى عديدة ينشدها الجمهور . أما فرق الكشافة المختلفة التي كانت تشارك في المواكب فكانت تنشد :

نحن كشاف العرب خير ركن للوطن
أما النساء فكن يشاركن بهذه المناسبة باطلاق الرغاريد تحية للجماهير أو يرششن ماء الورد أو الملبس على المواكب .

تبقى مواكب القدس في ساحة الحرم - وتشارك وفود القرى المجاورة في هذه التجمعات وبيارق لفتا والمالحة وبيت صفافا وقالونيا والقرى الشمالية عناتا وحزما وجبع والرام والشرقية سلوان ابو ديس العيزرية وتبدأ الدبكات والدلعونا والصحجات في هذه الساحة .

موكب الخليل كان يدخل من باب الخليل وكانت أهاليه كثيرة ومتعددة وكان أهمها :

نحننا الخلايلة دويننا لفينا	في صخرة الله والحرم صلينا
صهيوني خذ ربك وسير	هدي البلاد بلادنا
مندوب خبر دولتك	لندن مربوط خيولنا

أما وفود نابلس فكانت تحضر مثلها مثل باقي الوفود سيراً على الأقدام أو «الكروسة» أو «العربات الخنطور» أو على ظهور الخيل وفيما بعد بواسطة الباصات . وكان الموكب يتوقف

في شرفة القدس - أرض السمار- حيث يتم تنظيم الموكب ثم ينطلق سيراً على الأقدام وسط هتافات وترحيب الجماهير التي تصطف لاستقبالهم . ولكن فيما بعد أصبح الموكب يختصر السير على الأقدام وينزل في ساحة المصراة ثم يسير الموكب من باب العمود -الواد- باب السلسلة ثم ساحة الحرم الشريف . والنشيد الذي أذكره والذي كان يردده أبناء نابلس هو:

نحن ولد جبل النار شوكة بحلق الاستعمار

إضافة إلى الأناشيد الوطنية الأخرى . ولم تحضر أي وفود «رسمية» من يافا أو حيفا أو غيرها من المدن ولكن المواطنين كانوا يحضرون للفرجة .

بعد وصول وفود الخليل ونابلس في يومين مختلفين تبدأ بهجة موسم النبي - خاصة أن هناك منافسة تقليدية بين الوفدين فكان كل وفد يتباهى بالدبكة والدلعونا وإظهار فنون الدلعونة والدبكة الشمالية والدبكة الجنوبية . وكذلك المنافسة في الصحجة وخاصة صحجة «يا حريكو نريكو» وفيها يقف الفريقان المتباريان مقابل بعضهما البعض ويتنافسان في إنشاء أبيات الشعر بمدح انفسهما أو ذم خصومهما أو غير ذلك من أبيات الشعر الوطنية وغيرها وينهيان بيت الشعر بقولهم «يا حريكو نريكو» .

حماسة الدبكة والمغنيين للدلعونة وغيرها والمنشدين كانت تزداد بتشجيع الجماهير في ساحة الحرم الشريف وخاصة النساء منهن . وكان كل واحد منهم يتفنن في إظهار مواهبه . وكان أشهر الدبكة هو «ابو الشعر» عبد اللطيف أبو سنيته من الخليل . وكان طويل القامة - طويل الشاربين - طويل الشعر - منسدلاً على جانبيه . وكان البعض يشيع أنه يضع خرزاً في شعره حتى يصدر صوتاً أثناء الدبكة .

العائلات العديدة من القدس ومن مختلف المدن والقرى المجاورة كانت تقضي طوال النهار في ساحة الحرم القدسي وكانت «شطحة» طويلة يحضرون فيها الطعام والشراب وتفرش الساحات الخضراء الكبيرة، ويحضرون طعامهم معهم وخاصة «اللحمة على ورقة» و«الكبة» و«الفلافل» و«الجبنة» وغيرها من الأطعمة أو يشترون «الكبة» و«اللّية ولحم» وغيرها من الأطعمة من الباعة المتواجدين في ساحة الحرم أو الساحة المجاورة خارج سور الحرم .

أما الأولاد فبالإضافة إلى لعبهم في ساحة الحرم فانهم كانوا يلعبون في الساحة المجاورة للحرم - لعب المراجيح - ولعبة الثلاث ورقات والثلاثة فناجين واليانصيب المختلفة .

يوم الجمعة يكتمل نصاب الوفود وتبدأ بالتوجه نحو باب الأسباط للنزول إلى مقام النبي موسى .

نزلة البيرق

يوم الجمعة، يوم نزول أو «نزلة البيرق» الى النبي موسى كان يوماً مشهوداً في القدس، الجماهير كانت تتجمع في الصباح الباكر، حتى البعض منها كان ينام في «لواوين» الحرم والأحياء المجاورة حتى يكونوا في الصفوف الأمامية لمشاهدة المواكب. وبما أن الموكب والبيارق تمر من باب حطة ثم تتوجه منه بمحاذاة سور دير الصلاحية إلى باب الأسباط فكانت كل الدور المتاخمة لهذا الطريق والأسوار والأشجار تغص بالمواطنين صغارا وكبارا ذكورا وإناثا.

أهم المواقع الاستراتيجية للمشاهدة كان سور مقبرة باب الأسباط الممتدة من باب الأسباط وعلى طرفي الشارع إلى طريق الجثمانية فقد كان السور عالياً ومطلًا على الموكب. أما فيما تبقى من الطريق من الجثمانية إلى رأس العامود فالعيزرية فالخان الأحمر فالنبي موسى فكانت تأتي في المرتبة الثانية.

حملة البيارق كانوا يتجمعون في ساحة الحرم الشريف وأهم البيارق كان يحملها الوجهاء وكل عائلة تفوض حاملاً لبيرقها فكان حافظ الدجاني يحمل بيرق آل الدجاني أو بيرق النبي داود وفؤاد القطب يحمل بيرق آل قطب، وسعيد زايد بيرق الشباب، وفي فترة أخرى كان يحملها الحاج حافظ الطحان، والحاج عمران القزاز يحمل بيرق القزاز، والشيخ عاطف الديسي أو من يمثله بيرق الديسي، وهناك كثيرون غيرهم يحملون البيارق مثل الحاج جودت الحلبي، صالح عبده، أحمد القرجولي، حسين قليو وغيرهم وهذا يعتبر شرفاً كبيراً لهم فهم يسرون في المقدمة - يسبقهم جماعة «يا حلالي يا مالي» وكانت هتافات الهتافين الذين يحملونهم على الأكتاف.

«يا حلالي يا مالي يا ربعي ردوا عليا»

ثم يتابعون هتافتهم و«شعاراتهم» وبعد كل هتاف أو شعار يقولون: يا حلالي يا مالي والناس تردد هذه الشعارات والأهازيج.

أطلق الناس على هذه الأناشيد أو الأهازيج «شواش النبي موسى» وهناك فئة كانت متخصصة في هذه الأهازيج ومنهم الصحصاح، وأبو يوسف، وبدوي حلس واسعد حلس واحد شاهين وغيرهم كثيرون. . وهم من المقربين من المفتي ومحسوين عليه. ولذلك معظم

شعاراتهم أو أهازيجهم كانت خليطاً من الأناشيد و«القريديات» الوطنية وفي مدح وتمجيد الثورة والحاج أمين وضد الصهيونية والانتداب، وبعض التواشيح الدينية مثل:

العنكبوت خيم عالزين . . . خيم على الزين وحماه .
وينتهي البيتان بقول-لا اله الا الله الله

وينتهي الهاتفون، ويسبقهم في بعض الحالات «لعبة السيف والترس» ويتبارى هؤلاء في إظهار مهاراتهم وفنونهم فيقومون بحركات «بهلوانية» بالقفز أو مهاجمة الخصوم أو «ترقيص السيف والترس» إما بوضعه فوق الرأس أو خلف الظهر أو بقذفه في الهواء ومن ثم التقاطه . ومعظم هؤلاء كانوا يلبسون الصدرية البيضاء اللامعة فوق قميص أسود وسروال أسود مما يعطيهم منظراً جميلاً أخاذاً.

أما فرق الكشافة والفرق الموسيقية - وللعلم فإن سلطات الانتداب كانت ترسل فرقة موسيقية للعزف أثناء موسم النبي موسى ولكن لم أر هذه الفرقة ولا أعلم أين كانت تعزف، ثم الفرق الموسيقية التابعة للكشافة والمدارس ودار الأيتام الإسلامية كانت تسير على جانبي الموكب . حتى يصل إلى باب الأسباط ثم تسير خلفه لمسافة قصيرة.

الحاج أمين الحسيني كان يتصدر المسيرة - وقبله كان شقيقه كامل الحسيني - وبعد خروج الحاج أمين من فلسطين لم يتم اختيار خلف له لقيادة الموكب - ولكن «جميل الحسيني» كان المسؤول الأول عن «النبي موسى» في المقام وغير ذلك من الأمور . الحاج أمين كان يسير في مقدمة الموكب حتى يصل إلى باب الأسباط ومن هناك كان يمتطي حصاناً أبيض ويمتطي باقي الوجهاء احصنتهم ويحملون بيارقهم ويسرون نزولاً حتى شارع الجثمانية - وزغاريد النساء وهتافات «التهتفة» وأنغام الموسيقى تملأ المكان - وإضافة إلى الزغاريد فقد كانت النساء ترش الموكب بهاء الورد أو الملابس أو الورود .

الموكب كان يسير ببطء حتى يصل إلى راس العامود فيتحرك بسرعة أكثر حتى يصل إلى مقام النبي موسى بعد عدة ساعات . قبل أيام السيارات، كان الجميع يستعمل الخيل أو «الحناطير أو الكروسات» أو يسير مشياً على الأقدام . أما بعد انتشار السيارات فقد كان الموكب ينتقل بالسيارات من راس العامود إلى النبي موسى وادي هذا إلى اختصار الوقت ولكنه أفقد المهرجان كثيراً من بهجته ورونقه .

يقع «مقام النبي موسى» جنوبي شرقي القدس ويتم الوصول اليه من مفرق النبي موسى القريب من الخان الأحمر ويبعد بضعة كيلو مترات عن هذا الطريق - وطبعاً النبي موسى ليس مدفوناً هناك ولكن لسبب أو لآخر يوجد مقام هناك للنبي موسى ، فيه قبر ومقام

داخل عمارة كبيرة تتكون من أكثر من أربعين غرفة توجد الدكاكين والمخازن والمطابخ في الدور الأرضي اما الدور الأول فمخصص لتناول الطعام والمبيت لذوي الخطوة والمقربين . هناك مطبخان رئيسيان للقيام بواجب الطبخ والضيافة احدهما يشرف عليه آل الحسيني - والآخر يشرف عليه فخذ آخر آل يونس الحسيني - ويتوجب على هذين المطبخين اطعام هذه الأعداد الكبيرة من البشر الذين يتوافدون أثناء الموسم . أما الطعام فكان اللحم المطبوخ باللبن والأرز وكان المحظوظون أو الأصدقاء الذين يحضرون باكرًا يحصلون على القطع الكبيرة والكمية الوفيرة اما من يحضر متأخرًا فعليه أن يقبل بما قسم له .

الغرف العليا لم تكن عادة مخصصة للنوم بل للراحة والطعام ولكن معظمها كان يخصص للنوم في الأيام الأولى من الموسم .

دائرة الأوقاف الاسلامية والمجلس الاسلامي الأعلى كان يقوم بتحمل تكاليف هذا الطعام والاشراف على المقام ونظافته وكنت اسمع أن هناك وقفًا مخصصًا لمقام النبي موسى ولكن لا أعرف التفاصيل عنه .

الألوف المؤلفة كانت تتوافد على مقام النبي موسى - اكثرها من الرجال - ولكن في الأيام التالية كانت النساء يحضرن لمقام النبي موسى للتبرك أو لإيفاء نذر أو «لتطهير» ختان أولادهن - فقد كانت الكثيرات منهن ينذرن بأن يطهرن ابناهن تحت شباك النبي موسى لتحل عليهم البركة والرعاية . ولذلك فقد كانت تقام المخيمات الكثيرة المتعددة فوق مساحة شاسعة من الأرض الصحراوية المجاورة للنبي موسى - حيث لا يوجد سوى عدد قليل مسن الأشجار وحيث كانت المياه شحيحة يحصل عليها من بئر قديم يسمى «بئر الراعي» وفيما بعد تم ايصال المياه الى مقام النبي موسى بحيث زالت ازمة المياه .

المعسكرات أو المخيمات كان لها صبغة «اقليمية» كل بلد أو قرية في مجموعات معينة وهذه المجموعات كانت تقوم بنشاطاتها الفنية المتعددة أمام «معسكرها» وفي الساحة العامة أمام المقام . وكانت الدبكات والصحجات وأغاني الدلعونا والأناشيد والتواشيح الدينية والمواد ودقات الطبول والموسيقى وحفلات «الذكر» تملأ المكان بحيث يستطيع الانسان قضاء اسبوع كامل دون أن يستطيع «التمتع» بشكل كامل بهذه الحفلات الفولكلورية - الوطنية كلها .

التجارة كانت جزءاً هاماً في هذا الموسم فقد كان التجار ينصبون «عرايش» من الخيش لبيع مختلف أنواع السلع على بسطاتهم البدائية وكذلك أصحاب المطاعم تفننوا في

عرض بضائعهم واغراء الزبائن برائحة الكباب المشوي على الفحم - وكان «النش» على الفحم يتسبب في نشر رائحة الشواء لمسافات بعيدة ويغري الجائعين الذين لم ينالوا «اللحم واللبن» بالأكل، وطبعاً كان هناك الباعة المتجولون، وأكثرهم عملاً وطلباً هم بائعوا الخروب والعرقسوس الذين كانوا يحملون «اكوازمهم» الفخارية المزوقة وذات «البعبوزة» الطويلة المكسوة بقطعة من نحاس وعلى وسطهم «محمل» من معدن خفيف يضعون فيه الكاسات وعلى جانبهم شنطة صغيرة من الجلد يضعون فيها النقود. أما اليد اليمنى فكان بها طاستان يفصل بينهما اصبع البائع فيقوم بتحريكهما حركات متتابعة وبشكل سريع فتخرج منها نغمات موسيقية «راقصة» - وهو ينشد - بشكل منغم «شفا وخير» . . «جرب وشوف» . . جرب تمر هندي . . أو سوس وخروب مبرد» ، الى آخر اغانيه الشجية مما يدفعك في هذا الحر اللافت الى الاقتراب منه وطلب كوب مما يبيعه فيخرج الكوب «من المحمل» بيده اليمنى التي تتوقف عن الضرب و«يشطف» الكوب النحاسي المزوق ببعض قطرات الماء من ابريق نحاسي يحمله في يده اليسرى ثم ينحني بكل جسمه ويضع الكوب امام «البعبوزة» ولكن ما إن ينزل السائل حتى يبعد الكوب ويرفع جسمه قليلاً فينزل السائل بقوة بحيث تكون له «رغوة» أو «فورة» تعطيه منظراً مثيراً للعب، فتأخذه وتبلعه وتروي ظمأك ولا تسأل عن أي شيء آخر.

طبعاً كان هناك بعض بائعي البوظة والدندمة والاسكيماو وكل ينادي على بضاعة بنغمة حلوة جميلة: «دندمة رز بحليب» . تعال اتفرج يا حبيب . . اسكيماو - بركس - اسكيماو . . ليمون - ليمون طازة . . ليمون مثلج، كعك - كعك وفلافل . . كعك . . كعك وبيض، عصير . . عصير . . ليه ولحم كبيبة، طحل ومعاليق» .

وسائل الترفيه البريئة كانت متوفرة على شكل المقاهي، مثلها مثل المطاعم والمتاجر، تحت عرائش من الخيش. وكانت أصوات طاولة الزهر والدومينو تملأ المكان مع اصوات «الأراجيل» ورائحة التبغ إضافة إلى أصوات «واحد شاي وصلحه واحد قهوة عالريجة» إلى آخر هذه الطلبات.

أما الأصناف التي كان يهتم بها الأولاد فكانت الحلويات والألعاب. أما الحلويات فأشهرها كانت «حلاوة النبي موسى» وتصنع خصيصاً لهذه المناسبة. وهي حلاوة بيضاء ناصعة تتخللها حبوب الفستق الحلبي الخضراء اللون وأحياناً الجوز، ولكنها قاسية جداً بحيث كان البائع يكسرها بالازميل ويلفها لك في قطعة ورق من دفتر قديم او جريدة، وكان من الصعب تكسيورها في الفم فلذلك كنا نكسرها قطعاً صغيرة ونضعها في فمنا حتى تذوب وعند ذلك نتذوق حلاوتها اللذيذة ويمكن مضغها بحيث تصبح مثل اللبان وتلتصق

بالأسنان ولذلك لم يكن أصحاب «طقوم الأسنان» أو «الأسنان العيرة» يتناولونها لأنها كانت تسبب إحراجاً لهم بحيث تلتصق «الضبتان» العلوية والسفلية ببعضهما البعض وتسقطان من الفم.

والحلويات الأخرى كانت «شعر البنات» أو ما يسمونه غزل البنات - والمهرسة والبسبوسة والمهلبيه وحلاوة السمسمة والجزرية واللوزية وحلاوة جوز الهند وغيرها من الحلويات، والمملحات كان الترمس والفول والبزر والفسق وغيرها.

أما الألعاب فكانت المراجيح المتعددة الأدوار، والمراجيح الدوارة، والمراجيح الفردية والألعاب الأخرى المشابهة للألعاب الأخرى التي عرفناها في ساحة الحرم أيام الأعياد المختلفة أما ألعاب الكبار فكانت سباق الخيل والفروسية ولعبة السيف والترس ولعبة «التبان» ولعبة المصارعة «غير المصارعة التي نراها الآن» والمنافسة في ثني الأذرع وحمل الأثقال وغيرها من الألعاب.

«القردياتية» الذين كانوا يرقصون القروود كانوا يثيرون الاهتمام ويستحوذون على أكبر عدد من المشاهدين الصغار وكنا نسر لمراهم وهم ينامون «نومة العجوز» أو «يعجنون عجين الفلاحة» أو «يضربون سلام تعظيم» إلى آخر العابهم المعهودة - والذين كانوا ينافسونهم في جمهور الأطفال هم لاعبو «الجلال» أو «السحر» أو «السيما» التي كانت كلها عمليات خفة يد غير معقدة، اخراج عصفور بدلا من المنديل أو ألعاب بسيطة أخرى.

بالطبع كان هناك أشياء غريبة تعرض في الموسم مثل «الراس بدون جسم» فقد كنا نشاهد رأساً آدمياً فوق صندوق لا يتجاوز ارتفاعه حوالي ثلاثين سنتيمتراً وهو يتكلم ويرد على الاسئلة ويغني ويصفر ويشرب ويأكل ويقولون لنا انه هكذا رأس بدون جسم، وكنا ننظر تحت الصندوق فلم يكن هناك أي جسم تحته بل كان هناك فراغ وكدنا نصدق.

إننا سمعنا من بعض الكبار أن هذا ليس رأساً وحده ولكن هذا الشخص «مقدوع» أي جسمه صغير جداً وقد حشر في الصندوق وأبقى رأسه خارجاً.

هذه كانت مجالات اللهو البريئة - طبعاً كانت هناك مجالات غير بريئة ولذلك كان الناس ينظرون دائماً إلى الجو وعندما يظهر بعض الغبار يقولون «غبرت» ويعني هذا أن امراً منكراً قد حدث...

من أهم مظاهر موسم النبي موسى «حفلات» الطهور أو الختان. فقد كانت تجرى تحت شبابيك النبي موسى تنفيذاً لنذر الوالدة أو تبركاً.

وكانت العمليات تجري علناً. بالنسبة للأطفال الرضع كان الأمر سهلاً جداً فلا يحس بها الطفل أما الأطفال الأكبر سناً فلم يكن الأمر بهذه السهولة فقد كانوا يمانعون ويعارضون ولكن أما بالرشوة بالحلويات أو الألعاب أو بالقوة «والغصب» كانوا يضعون الطفل تحت تصرف «المطهر» فإذا كان ساكتاً وساكتاً كان «المطهر» يرفع ثوب الطفل ويقول له «شوف الحمامة فوق فوق . . .» فيرفع الطفل رأسه إلى أعلى ويتوجه تفكيره إلى الحمامة فوق فيقوم المطهر بلمح البصر باجراء عملية الختان ويضع الرشوش والرباط على مكان العملية بسرعة البرق وتنطلق الزغاريد والتهتافات والأغاني على دق الطبول والدفوف وتبدأ زفة المطهر ويتوقف نوع الزفة على قدرة العائلة المالية ومكانتها الاجتماعية. فإذا كان موسراً فهناك الفرس الأبيض حيث يركبون الطفل فوقها وهو لا بس دسداشة بيضاء مطرزة وطاقية بيضاء مطرزة بالذهب. أما إذا لم يكن موسراً فالزفة تكون وهو محمولا على يدي والده أو عمه أو سائراً على قدميه وكانت أغاني زفة الطهور كثيرة أهمها:

«منين أزفك يا مطهر. . . منين منين من القلعة. . . لرأس العين

أو :

وقفوا للحمامة صفين صفين منشان أبوك يا نور العين.

وذلك تكريماً لوالده إذا كان لحاماً وتتغير الكلمات حسب وظيفة أو عمل أبيه أو عمه أو خاله أو أخيه فمثلاً تتغير الأغنية إلى :

وقفوا الحلاقين صفين صفين منشان خالك يا نور العين

وقفوا الكندرجية صفين صفين منشان عمك يا نور العين

إلى آخر الأقارب والمهنيين.

ويتكرر هذا الموكب وهذه الأغاني بعد طلعة البيرق حيث يتم زف المطهرين بالاسلوب نفسه في الموكب الذي ينتقل من النبي موسى إلى القدس.

وكانت تحدث طرائف عديدة اثناء عملية الطهور فلم يقتصر الختان على الرضع والأطفال الصغار بل كانت تشمل كبار السن واذكر منهم شيخاً بدوياً عجوزاً أراد أن يقوم بالعملية لأنه حسب قوله كان يريد الذهاب إلى «الحج» ولا يستطيع ذلك قبل عملية الختان، وقد تحمس له الجمهور كثيراً ودوت الزغاريد والتهتافات والدق والطبل والغناء له مما لم يحدث له مثيل سابقاً وانتهت العملية بسلام وسار وسط زفة كبيرة. . . مجاناً.

أما الجراحون الذين يقومون بهذه العمليات منهم فئة محترفة معظمها من الحلاقين الذين كانوا يقومون بالحلاقة والحجامة والتطبيب وغيرها. وأشهر هؤلاء الحاج حافظ أبو غزالة - والد محمد أبو غزالة - أبو داود الذي ورث هذه المهنة عن أبيه وجده والذي قام بعملية ختان أولادي ١٩٦٢ و ١٩٦٣)، وكذلك المغربي (وهناك اثنان أو ثلاثة منهم - احدهم والد الدكتور عبدالله المغربي) وهؤلاء كانوا يعملون في القدس وغيرهم كثيرون. وكانت هناك فئة أخرى هي الفئة «الموسمية» التي تظهر في مثل هذه المناسبات ومعظم هؤلاء من «الأكراد» الذين يجوبون البلاد حاملين «عدة الشغل» معهم ويقومون بعملياتهم في القرى والمدن والمواسم بأسعار أرخص ويتناجح لا يعلمها إلا الله.

«طلعة» البيرق

التجمع الشعبي الفلسطيني في النبي موسى والذي يستمر اسبوعاً لم يقتصر نشاطه فقط على المتعة والترفيه فقد كان هناك جانب آخر وهو الجانب السياسي وبالرغم من أن الحاج أمين الحسيني كان الزعيم الفلسطيني الذي استقطب معظم الجماهير الوطنية حوله والتي كانت تتغنى بأمجاده وانجازاته الوطنية في الأهازيج «والمديحيات» والتي تركزت حول «سيف الدين الحاج أمين» و«حاج أمين يا منصور» وغيرها من الأهازيج إلا أن الفئات المعارضة لسياسة الحاج أمين من الأحزاب المعارضة والثورة المضادة لم تترك المجال مفتوحاً أمام المجلسيين فقط ولذلك كانت تقوم مظاهرات «وشوباشات» في النبي موسى تأييداً لراغب النشاشيبي والمعارضة وتنقلب الهتافات الى:

راغب بك يا منصور ويسيفك هدينا السور
راغب بيك لا تهتم ورجالك شريفة دم

وتكاد تنقلب هذه التظاهرات إلى معارك دامية لولا حكمة البعض وتوسط البعض الآخر لانهاء هذه المشاحنات سلمياً بلا غالب ولا مغلوب!

أثناء وجود الحاج أمين في مقام النبي موسى، كانت تعقد الاجتماعات والندوات السياسية ولكن بعد خروج الحاج أمين من البلاد ١٩٣٧ تقلص دور هذه الندوات السياسية كثيراً وكذلك فقد موسم النبي موسى جزءاً من رونقه ومن كونه وسيلة سياسية تتحدى قوات الانتداب والصهيونية.

لم يقتصر «موسم النبي موسى» على القدس فقط بل شمل مدناً وقرى كثيرة في فلسطين وأهمها ما كان يجري في غزة ويسمى عيد أو موسم «المنطار» أو «خميس المنطار» والبعض كان يطلق على العيد «خميس البيض» أو «عيد باب الدارون» حيث تقوم احتفالات «النبي موسى» من مواكب دينية تشارك فيها الفرق الدينية المختلفة ببيارقها ومواكبها وأناشيدها وطبلها وزمرها، كما تشارك فيها المدارس والفرق الموسيقية الشعبية مثل فرقة «فدعوس» وغيرها من الفرق وتتوجه من وإلى جبل «المنطار» الذي يبعد مسافة قليلة عن وسط البلد. وأساس التسمية كما يتناقلها أهالي غزة والتي رواها لي الأخ أبو صلاح هي كما يلي: «عاش في غزة رجل صالح تقي ورع كان يقوم بالصلاة والامامة والهداية لفترة طويلة وكان اسمه «الشيخ علي المن» انتقل إلى رحمة الله وعندما قاموا بتشجيع جثمانه خرج من التابوت وطار ونزل فوق رأس الجبل فقالوا المن طار واندجت فيما بعد فأصبحت المنطار وأصبح هذا الجبل يسمى جبل المنطار. . والله أعلم».

وما كان يجري في غزة وغيرها كان يجري كذلك في القدس في خميس البيض، فقد كانت هذه العملية عريقة في التاريخ وهي عادة يهودية قديمة توارثها وتناقلها المسيحيون ثم أصبحت عادة تناقلها المسلمون، وأصبحت جزءاً من احتفالات النبي موسى، فالمسلمون والمسيحيون يصبغون البيض في هذه المناسبة ويتفننون في تلوينه ولا يمكن مقارنة تلوين البيض في السابق مع تلوينه في الوقت الحاضر باستعمال التكنولوجيا والأصباغ الحديثة. معظم الألوان كانت بسيطة ومن لون واحد أما بوضع قشور البصل أو أوراق الجوز أو غيرها من النباتات فيخرج البيض بألوان حمراء وخضراء ويمكن استعمال «الدهان» لتلوينه. وكنا نحمل البيض ونتبارى بين بعضنا البعض في اكتشاف أيهم أصلب من الأخرى في مباراة «تطقيش البيض» فكل واحد يحاول كسر بيضات الآخرين. والبعض كان يلجأ للغش والخداع فمثلاً كانوا يقومون بصنع بيض من الحجر الأبيض وذلك بنحت حجر كلسي على شكل بيضة ويحملونها ويدورون على الأولاد ينافسونهم ويكسرون بيضهم حتى يتم اكتشاف أمرهم فينالون عقابهم.

مدينة القدس اثناء احتفالات النبي موسى كانت تعج بالجماهير من مسلمين ومسيحيين فقد كانت الفئتان تحتفلان بمناسبة واحدة في الوقت نفسه: المسلمون يحتفلون بموسم النبي موسى والمسيحيون يحتفلون بعيد الفصح. وبالرغم من وجود عدد كبير من سكان المسلمين في مقام النبي موسى إلا أن أعداداً كبيرة من القدس والمدن والقرى المجاورة كانت تملأ الأسواق وباحات الحرم الشريف والبيوت والمنازل وكانت تشارك

المسيحيين في «الفرجة» على المواكب المسيحية التي كانت تسير في القدس في هذه المناسبة. أما المسيحيون فقد كانوا يتوافدون على القدس من المدن والقرى الفلسطينية ومن شتى أقطار العالم. فقد كان هذا العيد من أهم الأعياد المسيحية ومواكبه أهم من مواكب أعياد الميلاد.

عيد الفصح عند المسيحيين يستمر بشكل «رسمي» لمدة اسبوع والاعداد له كان يبدأ قبل ذلك بمدة طويلة والاحتفالات تستمر بعده بمدة طويلة علماً بأن التوقيت كان يختلف بين طائفة وأخرى. اللاتين والأرثوذكس والبروتستانت والأقباط والأحباش والسريان ولكن أهمها كان ذلك الذي يتواكب مع موسم النبي موسى.

تبدأ الاحتفالات رسمياً «بأحد الشعنينة» أو «أحد النخلة» أو «عيد العزيز» أو غيرها من الأسماء الكثيرة التي كانت تطلق على هذا اليوم، ويبدأ الموكب من العيزرية وينطلق الى بيت فاجا فالالايا - فالجثمانية - فباب الاسباط - فالصلاحية - فالواد - فعقبة السرايا، فباب خان الزيت فعقبة الخمارات فحارة النصارى حتى يكملوا طريق الآلام ومراحله الستة عشرة. في مقدمة الموكب كان يسير «القواص» وهو يحمل عصا طويلة لها رأس معدني مزخرف، وكذلك كان أسفلها مغطى بغطاء معدني سميك بحيث كان القواص يرفعها الى أعلى ويخفضها الى أسفل بشكل منتظم ضارباً الأرض بها فيصدر عن هذا الارتطام صوت عال بشكل موسيقي متناغم. أما ملابسه فكانت الشروال الأسود والصدرية المقصبة ويلبس على رأسه طربوشاً عادياً أو في بعض الحالات طربوشاً قصيراً له «شرشوبة» طويلة جداً ويحمل سيفاً على جانبه بحيث كان هذا الملبس يعطيه طابع المهابة والاحترام والاناقة.

هؤلاء القواصون كانوا مسلمين ومن عائلات متعددة يتوارثون هذه المهنة أبا عن جد، ويعود تاريخ هذه «المهنة» إلى عهد عمر بن الخطاب فبعد فتح القدس واستقرار الأمر فيها للمسلمين وحتى يحافظ على سلامة البطارقة المسيحيين أثناء تنقلهم وتجوأهم عين لكل بطريرك حارساً خاصاً من «الفتوة» يسير أمامه ليفسح الطريق وليؤمن الحماية له واستمرت هذه العادة حتى أيام الصليبيين وبعد عهد صلاح الدين حتى عهدنا هذا!! وهناك عائلات كثير من القدس وخارجها عملوا في هذا المجال المحتسب، سارة، الدجاني، شهوان، وغيرها من العائلات. بعد القواص مباشرة كان يسير «البطرك» أو البطريرك بملابسه المزركشة وقلنسوته المطرزة وعصاه المطعمة بالعاج والفضة يحف به عدد من المطارنة والقساوسة ورجال الدين، ويحف بهم على الجانبين حاملو سعف النخل - أحياناً سعفة كاملة من النخل وأحياناً قطع من سعف النخل مجدولة على شكل عادي أو على شكل صليب

وكذلك حاملو الصليب وحاملو الشمع الطويل كبير الحجم - وتحف بهم مواكب الكشافة والفرق الموسيقية- وكان أهلنا يروون لنا أن البطرك كان يركب حملاً ويضع على رأسه تاجاً من الشوك أسوة بالمسيح الذي سار على هذا الدرب بعد أن وشى به يهوذا الاسخريوطي في العشاء الأخير أو «العشاء السري» وقاده الجنود الرومان للمحاكمة ولكن لا اذكر انني شأهدت ذلك .

بعض الجماهير مسلمون ومسيحيون كان يتبع هذا الموكب والبعض الآخر كان يراقبه من مقبرة باب الأسباط والصور، وسور الصلاحية، ومختلف الأماكن العالية المطلة التي يمر بها الموكب في طريق الآلام التي ذكرتها سابقاً وينتهي الموكب في كنيسة القيامة حيث تقام الصلوات .

يوم الخميس كان «خميس الغسل» عند المسيحيين حيث كان المسيحيون يقومون بغسل قدمي البطرك كما غسل الحواريون قدمي المسيح ولم يكن هناك أي مواكب رسمية بل تقتصر المراسم على رجال الدين الذين يذهبون للصلاة في مواكب صامته .

يوم الجمعة هو يوم «الجمعة الحزينة» ويأتي بعدها «سبت النور» حيث تقام الاحتفالات بظهور النور وتقوم الطائفة المسيحية بالاحتفال بهذا السبت وكذلك في اليوم التالي وهو يوم الأحد وهو عيد الفصح وبعدها تنتهي الاحتفالات ويتفرق الناس ويعودون من حيث أتوا .

مساء الأربعاء يبدأ زوار النبي موسى استعداداتهم «لطلعة البرق» صباح اليوم التالي تغادر البيارق والوفود الرسمية مقام النبي موسى متوجهة إلى القدس حسب الترتيب الذي دخلت فيه وفي طريق العودة يتوقف الموكب في راس العامود - سلوان حيث ينزلون في «خيمة الباشا» وهي خيمة كبيرة ينصبها أهل سلوان لاستضافة الحاج أمين الحسيني ورفاقه وموكب النبي موسى بحيث يتم نحر الخراف وإعداد الطعام لهذه الوفود - وقد كان أبو كامل الغول يذبح ما لا يقل عن عشرين خروفاً لهذه الغاية . وينزل الوفد في الخيمة بينما تقوم فرق الدبكة خاصة من السواخرة وسكان سلوان والتعامرة وسكان القرى المجاورة باحياء حفلة خاصة بهذه المناسبة، كما كانت تقام سوق كبيرة لبيع كافة البضائع إضافة إلى المأكولات والمرطبات تماماً مثل النبي موسى . بعد الطعام والاستراحة - يصل وفد من حملة البيارق من وادي الجوز والقدس ليدعوا الموكب إلى القدس ويبدأ الموكب سيراً على الأقدام وعلى ظهور الخيل، يتقدمهم لاعبو السيف والترس، وضاربوا الكاس والطبل وكذلك كان يتقدمهم أحد

الرجال الماهرين في الرقص والايقاع ضخمة الجثة ، شعره طويل وشاربه طويل جداً وهو يلف عنقه وصدره بثعبان كبير يتلوى معه على الأنغام الراقصة .

الحاج أمين كان يسير في مقدمة الموكب وحملة البيارق و«جماعة الشوباش» يحفون به وينشرون مدائحهم وقصائدهم ويتبعهم حملة البيارق المختلفة من المدن والقرى العديدة حتى يصلوا إلى باب الاسباط ومنها إلى طريق الصلاحية ، فالى طريق الروضة - فالى الواد - فالى المجلس الاسلامي الأعلى حيث يدخلون الحرم من هذا الباب وتستمر الاحتفالات في ساحات الحرم القدسي الشريف .

ما إن تدخل البيارق الحرم حتى يتبارى حملة البيارق في رفع بيرقهم إلى أعلى شجرة في الحرم وغالباً ما كان «الخلايلة» يفوزون بوضع بيرقهم على أعلى شجرة في الحرم .

تستمر حلقات الدبكة والأغاني والدلعونا على أشدها وكما ذكرت كان بطل الدبكات «أبو الشعر» عبد اللطيف (أبو علي) أبو سنية وكان يعمل مباشراً في محكمة الصلح .

وقد كان شباب القدس يتجمعون في باحات المسجد - كل حارة مع بيرقها - بيرق الشيخ لولو، بيرق الشيخ ربحان، بيرق الشيخ جراح، بيرق الشيخ حسن، وغيرها من البيارق، وكذلك القرى والمدن المختلفة وكانت حلقات الذكر تأخذ مكاناً كبيراً من الاحتفالات .

وكانت هناك الأناشيد الوطنية التي ذكرناها سابقاً ولا استطيع أن أذكرها لضيق المجال . . . وأهم الهتافات أو الأناشيد كانت :

يا لجنة تنفيذية	شوفي شباب العربية
مجموعين من الشمال	شرق وغرب وقبليّة
يا قدس مقدسة	نملك في أيدينا
والله ما نفرط فيكسي	ما دامت الحياة فينا
يا زعماء وفدنا	عرفوهم بقصدنا
اطلبو منهم حقنا	بكل سهولة

أما أغاني الدلعونا فكانت كثيرة جداً، وكما ذكرت سابقاً كانت هناك أغاني الدلعونا الوطنية وبعض الأبيات التي كان يوحى بها المقام

وكانت فرقة دار الأيتام الاسلامية بقيادة أحمد صبري أباطة «أبو عثمان» تعزف الموسيقى طوال النهار والليل وكذلك باقي الفرق الموسيقية حتى مساء الجمعة حيث تنتهي الاحتفالات الرسمية وتغادر البيارق مدينة القدس بنفس الأبهة والمهابة التي دخلت بها المدينة ويعود الزوار من حيث أتوا.

آخر احتفال بموسم النبي موسى حضرته كان عام ١٩٤٦ وكان أقل حماساً وأقل حضوراً وأبهة وروعة من سابقاته ولم احضر موسم ١٩٤٧ الذي كان آخر المواسم التي تشهدها فلسطين.

كلمة شكر

أودّ أن أتقدّم بالشكر لسباحة الدكتور عبد العزيز الحياط وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية السابق لتكرّمه بالإيعاز بتزويد بتقرير عن مقام النبي موسى، وبصور ومخططات حديثة للمقام. أعدتها دائرة الأوقاف في القدس.

كما يسرّني أن أنوّه شاكراً بمساعدة السيد المهندس بلال حماد الذي قام بتصغير هذه المخططات، وأشكر كذلك السيد يوسف عبيد في الجامعة الأردنية الذي تكرم برسم خريطة موقع مقام النبي موسى.

كما أتقدّم بالشكر لزوجتي التي وفّرت لي الجوامع الملائم للعمل في هذا الكتاب وفي سائر كتبي.

كامل العسلي

المصادر والمراجع العربية

- أمين، حسين احمد،
دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين (الفصل المعنون «تأملات
في أمر أولياء الله الصالحين»)، بيروت، القاهرة ١٩٨٣ .
- البحيري، صلاح الدين،
جغرافية الأردن، مكتبة الشرق، عمان. ١٩٧٣ .
- البخاري، محمد بن اسماعيل، (ت)
صحيح البخاري، المطبعة الخيرية بحوش جمالية مصر المحمية سنة ١٣٠٤ هـ .
- البرغوثي، عمر الصالح،
تاريخ فلسطين، القدس ١٩٢٣ .
- ابن البطريق (البطريقك افثيشيوس) : ويليهِ نارينخ يحيى بن سعيد الأنطاكي :
كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت
١٩٠٩ .
- ابن بطوطة، محمد بن عبدالله
رحلة ابن بطوطة، ج ١، مؤسسة الرسالة، ط ٣، بيروت، ١٩٨١ .
- البكري الصديقي، مصطفى،
الخمرة المحسنة في الرحلة القدسية، مخطوط مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم
٣٨٤ (نسخة خطية منقولة بخط المؤلف) .
- ابن تغري بردي، جمال الدين بن أبي المحاسن يوسف،
المنهل الصافي، مخطوط باريس رقم Ar. 2069
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف،
النجوم الزاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ج ٧، القاهرة، د. ت .
- التوراة،
سفر التثنية .
- الثعلبي، أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري أبو اسحق،

- قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت.
- الجامعة العربية (صحيفة) عدد ٩ نيسان ١٩٢٨، ٦ مايس / أيار ١٩٢٩.
- ابن جبير، محمد بن احمد بن جبير،
رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري بيروت - القاهرة د. ت.
- ابن جماعة، محمد بن ابراهيم بن عبدالله أبو البقاء، نجم الدين
الدر النظيم في أخبار سيدنا موسى الكليم، مخطوط تشتر بيتي رقم ٣٤٦١
- جوهريّة، يسرى جوهريّة : عرنيطة،
الفنون الشعبية في فلسطين، عمان ١٩٨٨.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد، فتح الباري بشرح صحيح الامام أبي عبدالله محمد
ابن اسماعيل البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ت.
- حداد، يوسف أيوب
خليل السكاكيني، حياته، مواقفه، آثاره، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين
الفلسطينيين - لا مكان، سنة ١٩٨١.
- الحسيني، حسن بن عبد اللطيف
تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر، تحقيق سلامة صالح النعيمات مطبعة شقير
وعكشة، عمان ١٩٨٥.
- الحكيم، يوسف
سورية والعهد العثماني، بيروت د. ت
- الحنبلي، عبد الحي بن العماد
شذرات الذهب، دار الآفاق الجديدة، بيروت د. ت.
- الحنبلي، مجير الدين
الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عمان، ١٩٧٣.
- الخطيمي، أحمد
مثير الغرام الى زيارة القدس والشام لشهاب الدين احمد بن محمد المقدسي، رسالة
دكتوراة، مخطوطة تتضمن تحقيقاً لكتاب مثير الغرام، الجامعة اليسوعية، بيروت.
١٩٨٥.

- ابن خلدون ، عبد الرحمن
تاريخ ابن خلدون ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٩ .
- الخليلي ، محمد
وثيقة مقدسية تاريخية ، تحقيق اسحق الحسيني وأمين أبو ليل ، القدس
١٣٩٩/١٩٧٩ .
- الدباغ ، مصطفى مراد
بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ، ١٩٧٤ .
- دفاتر مهمة «مهمه دفتر لرى» العثمانية .
- الدفاع - صحيفة - أعداد ١٨ و ١٩ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٦ نيسان ١٩٣٥ .
- الذهبي ، محمد بن احمد
دول الاسلام ، ج ٢ ، طبعة حيد أباد الدكن .
- الزركلي ، خير الدين :
الأعلام ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠ .
- سجلات المحكمة الشرعية بالقدس .
- سرحان ، نمر
موسوعة الفولكلور الفلسطيني ، الطبعة الثانية (٣ أجزاء) ، عمان ، ١٩٨٩ .
- السيوطي ، شمس الدين محمد
أتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى ، مخطوط مكتبة عارف حكمت بالمدينة
المنورة ، نمرة ٣ .
- السيوطي ، جلال الدين
زهر الربى في شرح سنن النسائي ، القاهرة ١٣١٢هـ .
- شولش ، الكزاندر
تحولات جذرية في فلسطين ١٨٥٦ - ١٨٨٢ ، ترجمة كامل العسلي ، منشورات
الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٨٨ .

- الطبري، محمد بن جرير
تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، المجلد الأول، دار سويدان، بيروت ١٩٦٧ .
- العابدي، محمود
من تاريخنا (المجموعة الرابعة) عمان، ١٩٧٨ .
- العارف، عارف
المفصل في تاريخ القدس، القدس، ١٩٦١
- العسلي، كامل جميل
مخطوطات فضائل بيت المقدس، عمان، ١٩٨١ .
- العسلي، كامل جميل
وثائق مقدسية تاريخية، مجلد ١، عمان ١٩٨٣، ومجلد ٢، بيروت - عمان ١٩٨٥ .
- العمري (ابن فضل الله)، أحمد بن يحيى
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٢٤ .
- العياشي، عبدالله بن محمد
رحلة الشيخ الامام أبي سالم عبدالله العياشي، طبع فاس، د. ت .
- غربال، محمد شفيق (اشراف)
الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة، ١٩٦٥ .
- غوشة، صبحي سعد الدين
شمسنا لن تغيب، الجزء الأول، أنغام الحياة، الكويت ١٩٨٨ .
- أبو الفداء، اسماعيل بن علي
المختصر في أخبار البشر، المجلد الخامس، تحقيق رايסקه .
- القاياتي، محمد عبد الجواد
نفحة البشام في رحلة الشام، دار اليرائد العربي، بيروت، ١٩٨١ .
- القرآن الكريم .

- القسطلاني، أحمد بن محمد
ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المجلد الثاني، بولاق، مصر، ١٢٦٧،
المجلد الخامس، بولاق، ١٣٠٤.
- الكتبي، محمد بن شاكر
فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ت.
- كلبونة، عبدالله
مقام النبي موسى - أريحا - تقرير مؤرخ في ١/٨/١٩٨٣ (ستنسل).
- الكيالي، عبد الوهاب
تاريخ فلسطين الحديث، بيروت ١٩٨١.
- اللقيمي الدمياطي، مصطفى أسعد
موانح الأنس برحلتني لوادي القدس، مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق.
- مبارك، علي
الخطط التوفيقية الجديدة، بولاق ١٣٠٦/١٨٨٧ - ١٨٨٩.
- مخلص، عبدالله
أعلام الاسلام في موطن الأنبياء فلسطين [مخطوط].
- مخلص، عبدالله
كيف ومتى بدأ موسم النبي موسى عليه السلام - مجلة هنا القدس، العدد ٦، السنة
٣، بتاريخ ٢٩/٣/١٩٤٢، ص ١١.
- مخلص، عبدالله
مئذنة الجامع الأبيض في الرملة، مجلة الكلية، آذار ١٩٣١، ص ٢١٢.
- مردم بك، خليل
أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع، بيروت، ١٩٧٧.
- مرمجي الدومينكي أ. س.
بلدانية فلسطين العربية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧.

- المسعودي، علي بن الحسين
كتاب التنبيه والاشراف، مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٥، (أوفست عن الطبعة التي
حققها البارون روزن).

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، المتوفى ٣٤٦ هـ
مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت ١٩٦٥.

- المقدسي (البشاري) محمد بن احمد
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بريل، لايدن، تحقيق دي خويه، سنة ١٩٠٦.

- المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر،
بيروت، ١٩٦٨.

- مناع، عادل
أعلام فلسطين في أواخر العصر العثماني (١٨٠٠ - ١٩١٨)، جمعية الدراسات
العربية، القدس، ١٩٨٦.

- منظمة المؤتمر الاسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول
أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين، استانبول ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م.

- النابلسي، عبد الغني
الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، مخطوط مكتبة عارف حكمت، في المدينة المنورة.

- النويسري، احمد بن عبد الوهاب
نهاية الأرب في فنون الأدب، مخطوط لايدن رقم Or. 2 m

- نيوتن، فرانسيس أميلسي
خمسون عاماً في فلسطين، ترجمة وديع البستاني، ط ٢، عمان ١٩٦٧.

- الهروي، علي بن أبي بكر
الاشارات الى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سوردل - طومين، دمشق ١٩٥٣.

- الهيئة العربية العليا
نشرة فلسطين، العدد ١٤٦ (أيار ١٩٧٣)

- ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي
معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- اليعقوب، محمد احمد سليم
ناحية القدس الشريف في القرن السادس عشر، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية،
١٩٨٦.
- اليعقوبي، احمد بن اسحق
تاريخ اليعقوبي، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، د: ت.

Bibliography

- Abu-Manneh, Butrus
The Husaynis, “The Rise of a Notable Family in 18th Century Palestine” in: *Palestine in the Late Ottoman Period* ed. D. Kushner Jerusalem, 1986.
- Asali, K. (editor)
Jerusalem in History, Buckhurst Hill, Essex, 1989.
- Baer, Gabriel
“Jerusalem Notables and the Waqf” in: *Palestine in the Late Ottoman Period*, ed. D.d Kushner, Jerusalem 1986.
- Ben Arie Y.
Jerusalem in the Nineteenth Century, The Old City, Jerusalem, 1986.
- Canaan, Tewfik,
Mohammadan Saints and Sanctuaries in Palestine, Ariel Publishing House, Jerusalem (facsimile of the edition published 1927).
- Canaan, T.
“Der Kalender des Palästinsichen Fellachen,” ZDPV, Vol. XXXVI (1913) PP. 266 - 300.
- Clermont – Ganneau
Archeological Researches in Palestine, Vol II, London, 1896
- Conder, C.R.
Tent Work in Palestine, London, 1978.
- Conder C.R., and Kitchener H.H.,
The Survey of Western Palestine, Vol III, London, 1883.
- Dalman, Gustaf
Arbeit and Sitte in Palästina, Georg Olm Buchhandlung, Hildesheim, 1964.
- Fabri, Felix
The Wanderings of Felix Fabri, in *Palestine Pilgrims Text Society*, Vols 9 and 10, AMS Press, New York, 1971.
- Heyd, Uriel
Ottoman Documents on Palestine 1552-1615 Oxford, 1960.
- Hoade, E,
Guide to the Holy Land, Jerusalem, 1946.

- Hütteroth W.D. and Abdul Fattah, K.
Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria
in the Late 19th Century, Erlangen 1977.
- Landau, Jacob
Abdul Hamid's Palästine, Jerusalem, 1979.
- The Macmillan Encyclopedia, London, 1981.
- Mayer L. A.
"Two Inscriptions of Baybars" in *Quarterly of the Dept. of Antiquities
in Palestine*, Vol 2 (1932) pp. 27-33.
- Meyers Neues Lexikon, Band 6, Leipzig, 1963.
- The New Encyclopaedia Britannica - Micropaedia, Vol. 7, 1981, article:
Feast and Festival , pp. 197-202.
- Peters F. E.
Jerusalem, Princeton, N.J. 1985.
- Polkehn, Klaus
Palästina Reisen in 18 und 19 Jahrhundert, Verlag der Nation, Berlin,
1986.
- Post, George E.,
A Narrative of a Scientific Expedition in the Trans-Jordanic Region
in the Spring of 1886 in *Palestine Exploration Fund Quarterly State-
ment*, Oct. 1888, p. 178.
- Prawer, Joshua
The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1972.
- Ritter, Carl
The Comparative Geography of Palestine and the Sinaitic Peninsula,
translated by W. Gage, New York 1986.
- Schick, Conrad
Die Alten Lauren und Klöster in der Wüste Juda, in *Zeitschrift des
deutschen Palestina Vereins*, Vol. III, 1880, p. 16.
- Spoer, Hans
Das Nebi Musa — Fest ZDPV, 32 (1909) p. 220.
- Stephan, St. H.
Evliya Tshelebi's Travels in Palestine — *Quarterly of the Departmen-
of Antiquities in Palestine*, Vols VIII(1938), IX (1939).

- Suriano, Francesco
Treatise on the Holy Land, Jerusalem, 1949.
- Van Kasteren,
Aus der Umgegend von Jerusalem ZDPV (Zeitschrift des deutschen
Palestina Vereins), Vol XIII(1890).
- Warren, Charles
Underground Jerusalem, London, 1876.

الكشافات

- كشف أسماء الأشخاص والعائلات والطوائف
- كشف الأماكن والمواقع
- كشف عناوين الكتب والمخطوطات
- كشف الأعياد والمواسم
- كشف الأمثال

○ ○ ○ ○ ○ ○

● رتب الأسماء في كشف أسماء الأشخاص والعائلات حسب تسلسل الحروف الهجائية، وأهملت الكلمات «أبو»، «ابن»، «أل» في الترتيب وبقيت رسماً فقط. وقد اعتمد المقطع الأخير من الاسم في الترتيب. أما ترتيب الكلمات في الكشافات الأخرى فتم ترتيبها حسب تسلسل الحروف الهجائية. وقد اعتمدت جميع الكلمات في الترتيب باستثناء «أل» حيث أهملت، وبقيت رسماً فقط.

كشاف أسماء الأشخاص والعائلات والطوائف

(آ)

- آل جودة ٦٤
آل الحسيني ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٩٠ ، ١٩٤ .
آل الدجاني ١٣٠ ، ١٩٣ ، ٢٠١
آل الديسي ١٩٠
آل بزبنت ١١٢ ، ١١٣
آل سماره ٢٠١
آل القزاز ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٩٠
آل القطب ١٢٠ ، ١٣٠
آل قليبو ١١٢ ، ١١٣
آل يونس ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٧ - ٧٠ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٩٤ .

(أ)

- أباظة ، أحمد صبري ٢٠٤
ابن أبي شريف ، برهان الدين ٢٢
أحباش ٤ ، ٢٠١
ارثوذكس ٢٠١
أرمن ٤
الأرموي ، أنظر ابن يونس
افتيميوس ، القديس ٣ ، ٤٩ ، ٥٠
أقباط ٢٠١
أكراد ١٩٩
أنباط ٧٧
الأنطاكي ، يحيى بن سعيد (ت ٤٥٨ هـ) ٨٢
أهريان (اله الشر) ٧٦

(ب)

- البخاري ٦
البرغوثي ، عمر الصالح ٨٦

البروتستانت ٨٣ ، ٢٠١
البستي ، أنظر، ابن حبان
ابن بطوطة ١٦
يلفور ١٠٠ ، ١٨٨
بنو اسرائيل ٧ ، ٩ ، ١٥٣ ، ١٥٦
بوست ، جورج ١٣ ، ٩٨
بيرس ، الظاهر أنظر الظاهر بيبرس

(ت)

ابن تغري بردي ٢٨
تنكز (الأمين) ٥١
التيجاني ، أحمد ٧١

(ث)

الثعلبي ، ابو اسحق أحمد بن محمد ٨ ، ٩ ، ١٢

(ج)

جانو ، كليرمون ١٢ ، ٢٩ ، ٤٩
ابن جبير ، أبو الحسن محمد الكناي الأندلسي ١٦٤
الجزائري ، عبدالله قاسم ٢٧
جلبي ، أوليا ٦٣ ، ٩٢
ابن جماعة ، أبو البقاء نجم الدين محمد بن ابراهيم (ت بعد ٩٠١هـ) ١٥ ، ٨٨ ، ١٥٥
الجميل ، محمد اسماعيل ٧٢

(ح)

ابن حبان ، أبو حاتم البستي (ت ٣٤٥٤هـ) ١٠ ، ١٨ ، ١٥٥
ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ١٨
حسن الراعي ٤٨
الحسيني ، جميل ١٩٤
الحسيني ، الحاج أمين ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٨٣ ،
١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣
الحسيني ، الحاج حسن ٥٨

الحسيني ، خاتم محمد طاهر ٥٧
الحسيني ، عارف يونس ١٣٧
الحسيني ، عبد اللطيف بن عبد الله (ت ١١٨٨ هـ) ٦٩
الحسيني ، عبد الله بن عبد اللطيف ٥٨
الحسيني ، عمر بن عبد السلام ٦٩ ، ٩٨
الحسيني ، كاظم ١٨٩
الحسيني ، كامل ١٩٤
الحسيني ، محمد طاهر بن مصطفى ٢٩ ، ٥٨
الحسيني ، مصطفى بن طاهر ٩٨
الحسيني ، موسى كاظم ١٠٠
الحسيني ، وفيق يونس ٧٠
الحكيم ، الملك سليمان ١٧٥
الحكيم ، يوسف ١٧٤
الحنبلي ، مجير الدين أنظر مجير الدين الحنبلي

(خ)

خاصكي سلطان ٦٢ ، ٦٤
ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) ١٧
الخليلي ، الشيخ محمد (ت ١١٤٧ هـ) ٥٨ ، ٦٨ ، ١٦٨

(د)

الدجاني ، الشيخ أحمد ٩٢ ، ٩٣
الديسي ، الشيخ عاطف ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٩٠
الديصطي ، علي بن علي ٢٣ ، ١٦٥
الديوك (بدو) ١٠٧
ذو الشرى (اله الأنباط) ٧٧

(ر)

الرافعي ، مصطفى صادق ١٢٨
ابن ربيع ، جمال الدين ٥٥

رويين ١١٩
الرومان ٧٦ ، ٧٧

(ز)

زرادشت ٨٦
زيتسن ، أولريش ياسبر ٩١ ، ٩٥ ، ٩٦

(س)

ابن سباع الفزاري ، برهان الدين ابراهيم بن عبدالرحمن الشافعي ١٦٤
السُّدي ، اسماعيل بن عبدالرحمن (ت ١٢٨ هـ) ٧ ، ٩
السريان ٢٠١
السفري ، عيسى ١٠٠
سليم الثاني (ابن السلطان سليمان القانوني) ٦٤
السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١ هـ) ١٧
السيوطي ، شمس الدين (ت بعد ٨٨٠ هـ) ٨٧ ، ٨٨ ، ١٥٣

(ش)

شبور ، هانز ٩١ ، ١٠٥ ، ١٠٦
شهوان ٢٠١
شولش ، الكزنندر ٩٩
شيك ، كونراد ١٣ ، ٤٩

(ص)

الصاديقي ، مصطفى بن كمال الدين (ت ١١٦٢ هـ) ٢٣ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٦٦ ، ١٦٧
صفي الدين بن عبدالحق ٨
صلاح الدين الأيوبي ٥١ ، ٧٨ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٨٧ ، ٢٠١

(ط)

الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) ٧ ، ٨ ، ١٥٤
طوقان ، جمال ١٣٧
بن طولون ، محمد ١٦٣ ، ١٦٤

(ظ)

الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦ هـ) ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٥٠ - ٥٦ ،
٦٧ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٧٨ - ١٨٠

(ع)

العابدي ، محمود ٤٨ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٨١
العارف ، عارف ٨٦ ، ١٠٠
عبد الحميد الثاني (السلطان) ٣٠
عبد الله باشا (والي عكا) ٢٩ ، ٣٨
ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن ١٦٣
العسلي ، جميل ١٣٧
العطار ، الشيخ حسن بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ) ٦٨
عليان ، أحمد توفيق ٧١
العماد الأصفهاني ٨٧
ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) ١٥
العياشي ، أبو سالم عبد الله بن محمد (ت ١٠٩٠ هـ) ٢٣ ، ٩٢ - ٩٤

(غ)

غضية ، الشيخ نور الدين ٦٦
غضية ، الشيخ محمد ٦٦
غوشة ، صبحي سعد الدين ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٨٧

(ف)

فابري ، فيلكس ١٢ ، ٨٨ ، ٨٩
الفارسي ، سلمان ١١
فان كاسترن ٤٩
فرس ٤ ، ٧٦ ، ٧٧
ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ) ١٤ - ١٦ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٦٧ ، ١٧٨ .
فيصل (الأمير) ١٠٠

(ق)

القاياتي، الشيخ محمد عبد الجواد (ت ١٣٢٠ هـ) ١٧٢

قايتباي ٥١

القرطبي ١٥٧

القسطلاني، أحمد بن محمد (ت ٩٢٣ هـ) ١٧، ١٨، ٢٢، ٩٣

(ك)

الكتبي، محمد بن أحمد بن شاکر (ت ٧٦٤ هـ) ١٦، ٢٨، ١٧٨

ابن الکلاس، علاء الدين ١٤، ١٥، ٥٥، ١٧٨

کلبونه، عبدالله ٤٨

کنعان، توفيق ٢٤، ١٠٢، ١٠٣، ١٢٣

کوندرا ٩٨

کيٹ روش ١٤٧

کيرتس ١١٤

(ل)

لاتين ٤، ٨٣، ٢٠١

اللقيمي، مصطفى أسعد الدمياطي (ت ١١٧٨ هـ) ٢١، ٩٢، ١٧٠

ليفين (الأب) ٤٩

(م)

مار ثيودوسيوس ٤

مار سابا ٤

ماير ٥٠

مثرا (اله النور عند الفرس) ٧٧

مجير الدين الحنبلي، عبدالرحمن بن محمد (ت ٩٢٧ هـ) ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٨، ٨٨،

٩١، ١٥٦، ١٧٩

مخلص، عبدالله (ت ١٩٤٧ م) ٥١، ٦٧، ٧١، ١٣١، ١٣٧، ١٧٥

المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ) ٨، ١.

المسيح (عليه السلام) ٧٨، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٩٢، ٢٠٢

المعلّى بن طريف ٨١

المقدسي البشاري، محمد بن أحمد (ت ٣٨٠ هـ) ٨، ٨١، ١٧٧

المقدسي، أبو شامة ٨٧

المقدسي، شهاب الدين أحمد بن هلال بن سرور (ت ٧٦٥ هـ) ١٧

المقدسي، ضياء الدين محمد بن عبد الواحد (ت ٦٤٣ هـ) ١٠، ١٨، ١٥٥

المقدسي، يوسف بن محمود بن أبي اللطف ١٦١

المقري، أحمد بن محمد التلمساني ٩٣

من (اله) ٧٦

(ن)

الناقلي، الشيخ عبد الغني بن اسماعيل (ت ١١٤٣ هـ) ١٨، ٢١، ٢٢،

٢٣، ٩٣، ٩٤، ١٦٠، ١٧١

ناصر خسرو، أبو اسحق أحمد بن محمد (ت ٤٢٧ هـ) ٨

النجيبي (النجمي)، جمال الدين بن آقوش ٢٦، ٥٤، ٥٥

النفاتي، الشيخ محمد التونسي ٩٤

نيوتن، فرنسيس ٩٧، ٩٩

(هـ)

الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت ٦١١ هـ) ٩، ١٠، ١٤، ٨٧، ١٧٧

(و)

ابن واصل ٨٧

وارن، تشارلز ١٣، ٢٩

وهب بن منبه ٩، ١٢، ١٥٥

(ي)

ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) ٧، ١٧٧

يشوع بن نون ٧، ٩

اليعقوبي، أحمد بن اسحق (ت ٢٨٤ هـ) ٧

ابن يونس، عبد الله الأرموي ١٥، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٦٧، ١٥٥، ١٧٨

كشاف الاماكن والمواقع

(آ)

آسيا الوسطى ٩٨
أبو ديس (قرية) ١٩١
أبو غوش (قرية) ١١٢
أذرح ٨
الأردن ٧، ١٢، ١٣، ٩٨، ١٨٩
أريحا ٣، ٧-١٨، ٢٥، ٢٩، ٣٠، ٥٠، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ١، ٢، ٨٧، ٨٨، ٩٤،
٩٨، ١٠٧، ١١٢، ١٥٥، ١٥٧، ١٦١، ١٦٤، ١٦٥، ١٧١، ١٧٧، ١٧٨،
١٧٩، ١٨١.
استانبول ٦٣
اسدود ١١
افريقيا ٩٨
ألم (مدينة بألمانيا) ١٢
أيلة ٧، ٨

(ب)

باب الأسباط ٨٤، ٩٨، ١٠٥، ١٢٨، ١٣٠، ١٤٤، ١٤٥، ١٧٩، ١٩٣، ١٩٤،
٢٠١، ٢٠٣
باب الحبس ١٠٥
باب حطة ١٠٥، ١٢٨، ١٧٩
باب خان الزيت ١٠٥، ٢٠١
باب الخليل ١٠٧، ١٢٧، ١٢٨، ١٤٠، ١٨٩، ١٩١
الباب الذهبي ٨٤
باب الرحمة ٨٤
باب الساهرة ١٧٩
باب ستنا مريم ١٠٥
باب السلسلة ١٠٧، ١٣٧، ١٩٠، ١٩٢
باب علاء الدين البصري ١٠٥
باب العمود ١٢٥، ١٩٢

باب لد ١٧ ، ١٧٠
باب المجلس ١٠٥
باب المحكمة ١٠٧
باب الواد ١٩٢ ، ٢٠١ .
بابل ٧٦ ، ٧٧
بادية الشام ١٦
بحر القلزم ٧
البحر الميت ٣ ، ٤ ، ٨ ، ١١ ، ١٣ ، ٢٩ ، ٥٣ ، ٣٣
بحيرة لوط ٦٧
البحيرة المنتنة ، أنظر البحر الميت .
بدّو (قرية) ١١٢
بركة لوط ١٦٦
بصرى ١٧
البلقاء ١٧ ، ١٧٧
بيت إكسا (قرية) ١١٢
بيت دقو (قرية) ١١٢ ، ١٢٢
بيت سوريك (قرية) ١١٢
بيت صفافا (قرية) ١٩١
بيت عنان (قرية) ١١٢
بيت لحم ١٢٧
بئر الراعي ١٩٤

(ت)

تبوك ٨
تركيا ٩٨
ترمسعيا (قرية) ٥٣ ، ٥٦
تكية (العمارة) خاصكي سلطان ٦٢

(ج)

جبال أباريم ١٢ ، ٨٨
جبال الشراه ٧ ، ٨

جبال مؤاب ١٥
جبع (قرية) ١٩١
جبل الزيتون (الطور) ٩٨ ، ١٥٨
جبل صهيون ١٢٧
جبل نابون ٧
جبل نبو ٦ ، ١٢ ، ١٣
جبل النبي داود ١٢٧
جبل النبي موسى ٩٨
جرايا (قرية) ٥٦
جلعاد ٦

(ح)

حبرون ١٦١ ، ١٦٥
الحجاز ٩٠ ، ٩٨
الحرم القدسي الشريف ، أنظر المسجد الأقصى
حزما (قرية) ١٩١
حطين ١٥
حلحول ١١
حوران ١١٩
حيفا ١٢٢ ، ١٨٨

(خ)

الخان الأحمر ٥٠
الخانقاه الصلاحية ٥١
خربة أبي فلاح (قرية) ٥٣ ، ٦٧
الخليل ٥٨ ، ٧٩ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٠ ،
١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ،
١٥٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٩٢ .

(د)

دان ٦
دمشق ١٠ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٩٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤

دير ابن عبيد ٤
دير افتميموس ٤٩ ، ٥٠
دير حجلة ٤ ، ٧١
دير السيق ١٦ ، ٢٥ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٧
دير غسانة ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢
دير القديس يوحنا ٤
دير قرنطل ٤
دير القلط ٤
دير مار سابا ٤ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٤٩
دير ياسين ٧١
ديصط (قرية مصرية) ٢٣
الديوك (قرية) ١١٢

(ر)

رأس الفسجة ١٢ ، ١٣ ، ٨٨
رام الله ٧٢
الرملة ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٨٨

(ز)

زعترة (صوغر) قرية ٦ ، ٥٣

(س)

سلوان (قرية) ١١٢ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٩١ ، ٢٠٢
سور باهر (قرية) ٥٣ ، ٥٦
سوريا ١٠٠
سيناء ١٦

(ش)

الشام ٤ ، ٦ - ٨ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٣ - ٢٥ ، ٥١ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٩٠ ، ١٦٣ - ١٦٥ .
شعفاط (قرية) ١٨٢
شَيحان (قرية) ١٤ ، ١٥ ، ١٧٧

(ص)

صفد ١١ ، ٩٦
صور باهر، أنظر سور باهر
صوغر أنظر زعترة
صيدا ٢٩ ، ٣٨
الصين ٩٨

(ط)

الطور، أنظر جبل الزيتون
طور زيتا (قرية) ٥٦

(ع)

عابود ١٢٢
عجلون ٥٧
عسقلان ٧٨ ، ١٢١
عقبة جبر ٧١
عكا ٢٩ ، ٣٨
عناتا (قرية) ١٩١
العوجة ٦٧
العزيزية ٨٢ ، ٨٤ ، ١٢٠ ، ١٩١ ، ٢٠١
العیسویة (قرية) ١١٢
عين كارم ١٤١

(غ)

غزة ٢٠٠
الغور ١٦ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ١١٩ .

(ف)

فاغور (قرية) ٥٧
الفوّار ٥٣ ، ٦٧

(ق)

قالونيا ١٩١

قبر البشير ١١

قبر الشيخ العمود ٢٠

قبة بيبرس ١٥ ، ١٧ ، ١٨

قبة السلسلة ٢٥

قبة الصخرة ٢٥ ، ٨٤ ، ٩٩ ، ١٢٠ ، ١٧٣ ، ١٧٨ .

القدس ١٦ - ١٨ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ - ٥٨ ، ٦٢ - ٧١ ،

٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ - ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦ - ١٠٨ ، ١٣ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،

١٢١ - ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٤ -

١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٥ - ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٩٤ ، ١٩٨ -

٢٠٤ .

قسطنطينية ٦٤ ، ٦٦

القيامة (كنيسة) ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣

(ك)

كفرين (قرية) ٥٦

كنيسة الروم الارثوذكس ١٠٣

كنيسة القيامة ، أنظر القيامة (كنيسة)

كنيسة مار يعقوب ٨٣

(ل)

اللد ١٧ ، ١٢٢ ، ١٨٨

لفتا (قرية) ١٩١

لندن ١٠٢

(م)

المالحة (قرية) ١٩١

نخيم عقبة جبر ٧١

المدرسة الأشرفية ٥١

المدرسة التنكزية ٥١ ، ١٣٧
 المدرسة الصلاحية ٥١
 مدين ١٠ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٥٥
 المدينة المنورة ٦ ، ١٠ ، ١٦ ، ١٧ ، ٤٩ ، ٩٠ ، ١٥٥ ، ١٦١
 مرج دابق ٩٠
 المزرعة (قرية) ٥٣
 مزرعة العياض ٥٦
 مزرعة واد فوكين ٥٧
 المسجد الاقصى ٦٢ ، ٦٤ - ٦٦ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ،
 ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
 ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ١٩٠ - ١٩٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ .
 مسجد النبي يونس (عليه السلام) ١١
 مصر ٧ ، ٢٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٢٨ ، ١٦٥
 معان ٨
 مقام حسن الراعي ٤٨
 مقام سليمان الفارسي ١١
 مقام السيدة عائشة ام المؤمنين ٤٨
 مقام النبي داود ٩٢
 مكة المكرمة ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٨
 مؤاب ٦ - ٨ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٧

(ن)

نابلس ٢٠ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٥ - ١٢٨ ،
 ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٩١ ، ١٩٢ .
 النبي صمويل (قرية) ١١٢
 نهر الأردن ١٢ ، ١٣ ، ٩٨
 نهر روبين ٧٨ ، ١٢١

(هـ)

لهند ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨
 بيكل سليمان ٨٤

(و)

وَادِ الضُّبْرِ ٦٧

وَادِ فُوكَيْن ٦٧

وَادِ الْقُلْطِ ٥٣ ، ٥٥

وَادِي الْجُوزِ ٢٠٢

وَادِي سَتْنَا مَرِيْم (قَدْرُون) ٨٤

وَادِي سَلْوَان (٩٨)

(ي)

يَافَا ٧٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٥٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨

○ ○ ○ ○ ○ ○

كشاف عناوين الكتب والمخطوطات

- اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى ١٥٣
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ١٧٧
الاشارات إلى معرفة الزيارات ١٧٧
الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ١٥٦
تاريخ دمشق ١٦٣
تبين الأمر القديم في تعيين قبر الكليم ١٦٤
تحفة الحبيب بأخبار الكتيب ١٦٣
التنبيه والاشراف ١٧٧
الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية ١٥٩
الخمرة المحسية في الرحلة القدسية ١٦٦
الدر النظيم في أخبار سيدنا موسى الكليم ١٥٥
رحلة الشيخ الامام العلامة القدوة الهمام العارف الكبير والمحقق الشهير أبي سالم سيدي
عبدالله العياشي ١٥٨
سورية والعهد العثماني ١٧٤
شمسنا لن تغيب ١٨٧
فوات الوفيات ١٧٨
قصص الأنبياء ٨
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٧٨
معجم البلدان ١٧٧
من تاريخنا (المجموعة الرابعة) ١٨١
موانح الأنس برحلي لوادي القدس ١٧٠
نفحة البشام في رحلة الشام ١٧٢



كشاف الأعياد والمواسم

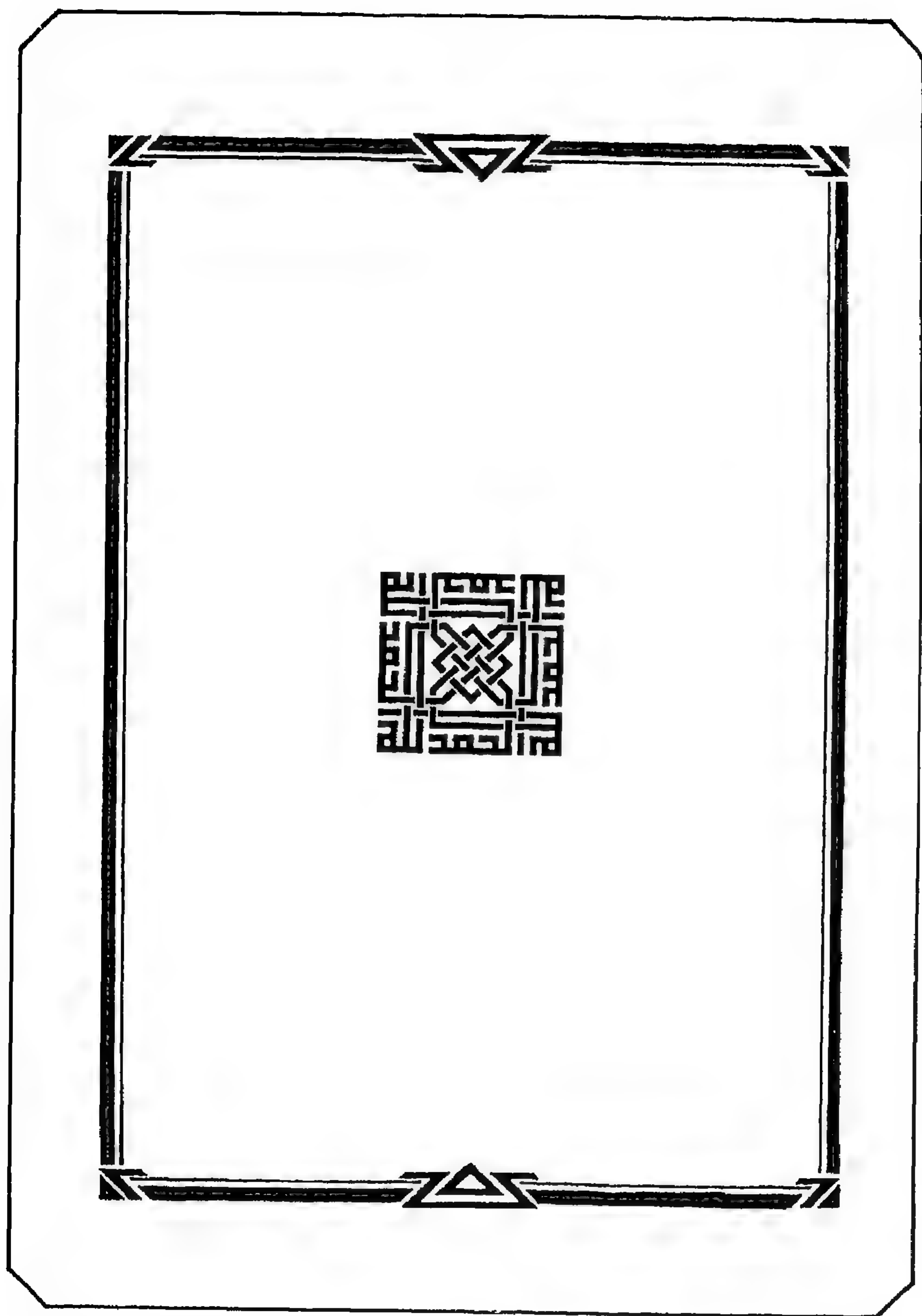
- ابراهيم الخواس (موسم) ١٢٢
أحد الشعانين (عيد) ٨٢ ، ٨٤
أحد النخلة (عيد) ٨٢
ادرياني (عند اليونان) ٧٦
بربارة (عيد) ٨٢
الحسين (موسم) ٧٨ ، ٨٥ ، ١٢١
الخريف والحصاد عند الكنعانيين ٧٨
الخضر (موسم) ١٢٢
خميس البيض (موسم) ٢٠٠
ديونيسيوس (عيد عند اليونان) ٧٦
سبت النور (عيد) ٨٣
الشيخ اعمر (موسم) ١٢٢
الشماسي (عيد) ١٠٦ ، ١٤٤
الصليب (عيد) ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢
علي بن عليم (موسم) ٨٥ ، ١٢١ ، ١٢٣
العنصرة وقت الحر (عيد) ٨٢
الفصح (عيد) ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠١ ، ١٠٤ ،
٢٠٠ ، ٢٠٢
القلندس (عيد) ٨٢
القيامة (عيد) ٨١
لد (عيد) ٢ .
الميلاد (عيد) ٨٢
النبي أيوب (موسم) ١٢٢
النبي روبين (موسم) ٧٨ ، ٨٥ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٨٨
النبي كفل (موسم) ١٢٢
النيروز (عيد) ٧٦ ، ٨٢
وادي النمل (موسم) ٧٨

○ ○ ○ ○ ○ ○

كشاف الأمثال

٨٢	إذا جاء القلندس فتدفي واحتبس
٧٩	إن أبرقت على الصليب ما بتغيب
٨٠	أيلول ذنبه مبلول
٨٠	خلي فحماتك الكبار لعمك آذار
٣	دستور ابن عمران اللي ناره من حجاره
٨٠	شباط ما عليه رباط
٨٠	في آب أقطف ولا تهاب
٨٠	في تموز تغلي الميه في الكوز
٨٠	في عيد لد احرث وشد
٨٠	في عيد لد شدّ يا فلاح شدّ ما بقي للشتاء تعدّ
٨٠	في كانون كون في بيتك وكثر حطبك وزيتك
٨٠	في نيسان ضبّ العدّة والفدان
٧٩	مالك الصيفيات بعد الصليبيات
٨٠	مية نيسان بتحبي الانسان
٨٢	إذا جاء عبد برباره فليتخذ البناء زماره





رقم الايداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية
(١٩٩٠/٣/١٤٥)

Publications of the University of Jordan



The Nebi Musa Feast in Palestine

A History of the Feast
and the Sanctuary

by

Kamil J. Asali

First Edition

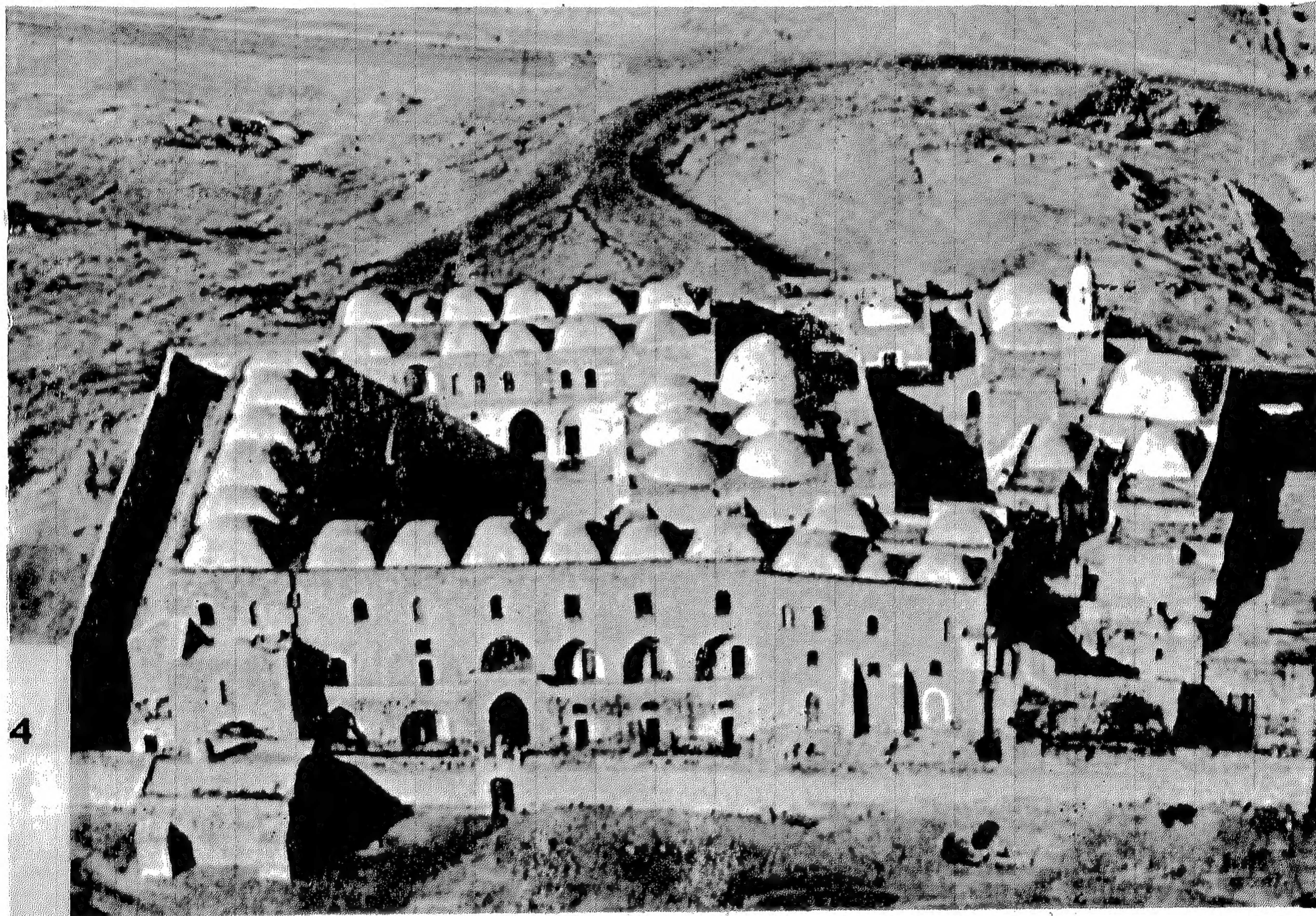
Amman, 1990

Publications of the University of Jordan



The Nebí Musa Feast in Palestine

A History of the Feast
and the Sanctuary



By: Kamil J. Asali

Amman, 1990